



مجلة

مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَدْرَافِيَّةِ

عدد خاص

في اذكرى الأعرابيين الثامن المجمع

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى
عمان — الأردن
١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٦/٢٢٦/د)

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر
هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

حقوق الطبع محفوظة لمجمع اللغة العربية الأردني
ويمنع تصوير هذا الكتاب أو إعادة طبعه من دون إذن المجمع



مجلة

مَجْمُوعَةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَدْرَافِيَّةِ

عدد خاص

في ذكرى الأعراسين لثاني المجمع

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

هيئة التحرير

الأساذ الذكور خالذ الكسكى؁ مرئس النحرى

الأساذ الذكور سعىذ النل الأساذ الذكور مأمذ عذنان البعىذ

الأساذ الذكور إسحق أأمذ فرعان الأساذ الذكور سمىراسنىىة

الأساذ الذكور عبالجىذ نصىر الأساذ الذكور مأمذ مأمذ حور

الذكور مأمذ سلىمان السعوى؁ الأمىن العام للمجمع

الإخراج الفنى:

عسان أبوعلىا

التحرىر:

نادر مرق

علاء باصجىن

عبالله حافظ

مها أبوزىىة

اللجنة العليا للإشراف على الاحتفال بالذكرى الأربعين لتأسيس المجمع

الأستاذ الدكتور خالد الكركي، رئيس المجمع

الأستاذ إسحق فرحان

الأستاذ عبد المجيد نصير

الأستاذ عبد اللطيف عرييات

الأستاذ محمد حمدان، نائب رئيس المجمع

الأستاذ محمد عدنان البخيت

الأستاذ عيد دحيات

الأستاذ عبد الحميد الفلاح

الأستاذ سمير اسنينة

الأستاذ جعفر عباينة

الدكتور محمد سليمان السعودي، الأمين العام للمجمع

المحتويات

رقم الصفحة

الموضوع

١١	 أ. د خالد الكركي، رئيس المجمع	تقديم
----	--	-------

١٣		١ - الباب الأول: شهادات حول المجمع
----	-------	------------------------------------

١٥	 أ. د عبد الكريم خليفة	- ومضات حول نشأة مجمع اللغة العربية الأردني بمناسبة مرور أربعين عاماً على تأسيسه
----	-----------------------------	--

٢٣	 أ. د إسحق فرحان	- مجمع اللغة العربية الأردني في مسيرته عبر أربعة عقود
----	-----------------------	--

٢٧	 أ. د همام غصيب	- مجمعنا: شهادة
----	----------------------	-----------------

٣١	 أ. د عبد اللطيف عربيات	- شهادة حول المجمع
----	------------------------------	--------------------

٣٧		٢ - الباب الثاني: الراحلون
----	-------	----------------------------

٣٩	 أ. د عبد المجيد نصير	- الدكتور أحمد سعيدان - سيرة وأثار
----	----------------------------	------------------------------------

٤٥	 أ. د إبراهيم بدران	- الدكتور محمد سعيد النابلسي
----	--------------------------	------------------------------

- ٥١ أ.د محمد حمدان -الأستاذ ذوقان الهنداوي
- ٥٧ أ.د أحمد شيخ السروجية -الدكتور قنديل شاكر
- ٥٩ أ.د عبد الجليل عبدالمهدي -الدكتور محمود إبراهيم الأديب المجمعي
- ٦٣ أ.د عبد الحميد الفلاح -عيسى الناعوري
- ٧١ أ.د سمير استيتية -الريادة والثقافة عند روكس بن زائد
العزيمي: قراءة في سيكولوجية الحدث
- ٧٩ أ.د محمد حور -ناصر الدين الأسد مجمعياً
- ٨٥ أ.د جعفر عابنة -عبد الكريم غرايبة كما عرفته
- ٨٩ أ.د عودة أبو عودة -الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني: سطور من
حياته وومضات من شعره

٣ -الباب الثالث: إنجازات مجعية..... ٩٥

- ٩٧ أ.د سري سبع العيش -دور مجمع اللغة العربية الأردني في ترجمة
العلوم
- ١٠٣ أ.د فتحي ملكاوي -مجمع اللغة العربية الأردني: رؤية جديدة
- ١١٥ أ.د سمير الدروبي -مجمع اللغة العربية الأردني وتحقيق
التراث

٤ - الباب الرابع: في رحاب مجامع اللغة العربية ١٧٣

١٧٥ - دور مجامع اللغة العربية في تعريب أ. د. عبدالقادر عابد
المصطلحات العلمية

٢١١ - دور المجامع اللغوية والعلمية العربية أ. د. جعفر عباينة

٥ - الباب الخامس: بحوث مختارة من الموسم الثقافي ومجلة المجمع ٢٢٥

٢٢٧ - تصنيف العلوم عند العرب أ. د. إحسان عباس

٢٦١ - تجربتي مع التراث العربي عبدالسلام هارون

٢٨٩ - نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه المستشرق الفرنسي جيرار تروبو

٣٠٧ - نشأة الثقافة العربية الإسلامية: نظرة إلى أ. د. عبدالعزيز الدُّوري
العراق

تقديم

يأتي صدور هذا العدد الخاص من مجلة الجمع في ذكرى احتفاله بمرور أربعين عاماً على تأسيسه (١٩٧٦-٢٠١٦م)، وقد رأت الهيئة العليا للاحتفال بهذه المناسبة العزيزة أن يصدر هذا العدد في إطار مختلف عن السياق الذي يحكم المجلة، إذ تمّ المزج بين استعادة مسيرة الجمع، وتقديم شهادات عن الراحلين من أعضائه، والبحث في آفاق المستقبل وأسباب النهوض بالرسالة والدور في مرحلة تاريخية تواجه فيها اللغة العربية تحديات معقدة في سائر البلدان والمستويات، بالإضافة إلى المظهر الخارجي لاستعمالها الوظيفي في التواصل بين الناس؛ بين ما فعلته الأمية من تراجع، وما قطعته العامة من أوصال الفصيحة وتاريخها العظيم.

أقول: هذا عددٌ خاص، بل هو مميّز، لأن أهل المسيرة هم الذين يقرأون أبعادها، ويبحثون في القضايا الملّحة التي تواجهها، ويلتمسون طرائق جديدة لتعليمها وإعادة الكلام والكتابة بها إلى مستوى "العربية السليمة" كما نصّ قانون الجمع الجديد، وقانون حماية اللغة العربية.

في هذا العدد تحضرُ ذكرى السنوات الطويلة من العمل والجهد في الترجمة والتعريب والتحقيق والمصطلحات، وتعود إلى الحضور أسماء الذين كانوا بيننا من كبار أهلها ورواد الدفاع عنها: ناصر الدين الأسد، وعبدالكريم غرايبة، وإبراهيم زيد الكيلاني، ومحمد سعيد النابلسي، وعيسى

الناعوري، وأحمد سعيدان، وذوقان الهنداوي، ومحمود إبراهيم، وقنديل شاكر ... رحمهم الله جميعاً، وتحضر بيننا أسماء روّاد ما زالوا -حفظهم الله- بيننا؛ الأستاذ الرئيس عبدالكريم خليفة، ومحمود السمرة، وإسماعيل عمايرة، والوجوه الكريمة من الأعضاء العاملين، وأعضاء الشرف، والأعضاء المؤازرين.

وقد حمل هذا العدد صوراً قلمية من الزملاء أعضاء الجمع لجهود الراحلين، وملامح تستشرف مستقبل العمل في الجمع، وشهادات على المسيرة الطويلة، وكتابات متميزة حول الدور المنتظر من مجامع اللغة العربيّة، ومن مجمعنا الأردني الذي يمثل امتداداً متقدماً لمسيرة المجامع العربية من أن نشأ أوّل مجمع علمي في دمشق سنة ١٩١٩م يوم قامت الحكومة العربيّة، ومنذ أن قرّر الأمير عبدالله بن الحسين في أوائل العشرينيات أن يكون بين مؤسسات الإمارة الناشئة مجمع لغوي عمل لفترة على التأسيس واستشراف مستقبل اللغة.

وإذا كان هذا العدد قد تخلّى عن شروط التحكيم الأكاديمي لما ينشر في المجلة، فنحن نراه فرصة للكتابة الحرّة والبحث عن الأفكار الجديدة، بل هو عددٌ مجمعيّ بامتياز لأنّ كتابه جميعاً من أعضاء الجمع، وهم أدري بالجهود والعطاء وآمال المستقبل، فلهم الشكر الخالص على هذه النصوص المهمة التي تشكّل شهادات ورؤى لزمانٍ كان، ولزمانٍ آخر يطلّ من الأفق القريب.

الأستاذ الدكتور خالد الكركي

الباب الأول

شهادات حول المجمع

ومضات حول نشأة مجمع اللغة العربية الأردني

بمناسبة مرور أربعين عاماً على تأسيسه

الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

تعود بذور نشأة مجمع اللغة العربية الأردني الأولى إلى الحدث التاريخي المهم في العصر الحديث، ويتمثل بإعلان تأسيس الدولة العربية السورية عام ١٩١٩م، بزعامة الملك فيصل الأول بن الحسين بن علي، بعد سقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى التي وضعت أوزارها عام ١٩١٨م. قاد الملك فيصل الأول جيش الثورة العربية الكبرى التي أعلنت في مكة بقيادة شريف مكة الحسين بن علي في التاسع من شعبان ١٣٣٤هـ / الموافق ٢ حزيران (يونيو) ١٩١٦م إلى جانب الحلفاء. وكان من أولويات الدولة السورية الناشئة سنة ١٩١٩م، إعادة دور اللغة العربية الفصيحة، لغة العروبة والإسلام، إلى دورها التاريخي في التعبير عن الحضارة العربية الإسلامية. فبادرت الدولة السورية بزعامة الملك فيصل الأول بن الحسين إلى تعريب التعليم في جميع مراحل التعليم في وقت واحد. وقد حدثني المرحوم الأستاذ حسني سبوح الطبيب الجراح رئيس الجامعة السورية، ورئيس مجمع اللغة العربية بدمشق آنذاك، كيف أنه مع رفاقه من الأساتذة كانوا يترجمون المحاضرات ليلاً إلى اللغة العربية، لإلقائها على الطلبة في صباح اليوم التالي في "معهد الطب" الذي أصبح فيما بعد كلية الطب. وكذلك الأمر في معهد

الحقوق الذي أصبح فيما بعد "كلية الحقوق" في الجامعة السورية. وعلى الرغم من اجتياح الجيوش الفرنسية بقيادة الجنرال "غورو" الدولة السورية الناشئة، إثر معركة "ميسلون"، والاحتلال الاستعماري المباشر والقضاء على الدولة السورية، لم يستطع الاحتلال الفرنسي على مدى حوالي ربع قرن أن يبعد اللغة العربية عن مجالها الحيوي في معهد الطب وكذلك في معهد الحقوق، بل في جميع مجالات الأنشطة الثقافية والتعليمية والحيوية، حتى جلاء فرنسا عن سورية عام ١٩٤٥م، وإعلان سورية جمهورية عربية سورية، وسيادة اللغة العربية الفصحى في جميع دوائر الدولة، وفي جميع مراحل التعليم ومجالاته العلمية والتقنية والأدبية^(١).

إن ما يسمى "الأردن" في العصر الحديث وقبل نشأة "إمارة شرق الأردن"، يطلق على الأراضي الواقعة شرقي نهر الأردن ويشمل منطقة "الكرك" ومنطقة "البلقاء" ومنطقة "عجلون"، حتى نهر اليرموك. وفي عام ١٩٢٢م تأسست "إمارة شرق الأردن" بحدودها الحالية وبزعامة الأمير عبدالله بن الحسين، الملك المؤسس للدولة الأردنية الهاشمية في العصر الحديث، وكان مما يتحلى به ثقافته العربية الإسلامية الواسعة، وتذوقه الأدبي شعراً

١- وكان لي الشرف بعد تخرجي من دار المعلمين العالية ببغداد، أن أكون مدرساً للغة العربية، بالتعاقد مع الحكومة السورية إثر استقلالها وجلاء الاستعمار الفرنسي، وعينت مدرساً سنة ١٩٤٦م، في مدرسة التجهيز الرابعة بخان العلية بحلب الشهباء، ثم نقلت إلى دار المعلمات ١٩٤٧م-١٩٤٩م، ثم إلى دار المعلمين بحلب من عام ١٩٤٩م إلى أيلول عام ١٩٥١م، عندما التحقت بجامعة باريس "السوربون" لنيل درجة الدكتوراه.

ونشراً، فكان يؤم ديوانه الشعراء والأدباء من جميع الأقطار العربية، لا سيما من بلاد الشام، وكان لهذا الاتجاه الأدبي أثره الكبير في نشر اللغة العربية الفصيحة في الإمارة. فأصبحت اللغة العربية لغة جميع دوائر الدولة الرسمية، ولغة التعليم الوحيدة في جميع مراحل التعليم "الابتدائي والثانوي". وفي عام ١٩٢٤م أسس الملك عبدالله مجمعاً للغة العربية في العاصمة بعمان، تحت رعايته شخصياً، وبرئاسة الشيخ سعيد الكرمي رئيس المحاكم الشرعية آنذاك، وكان من أعضاء هذا المجمع الفقيّ: الأستاذ إسحق النشاشيبي من فلسطين، والأستاذ أحمد زكي، شيخ العروبة من مصر، والفيلسوف التركي المعروف رضا توفيق، والأستاذ محمد الشريقي من دمشق/ عمان وآخرون.

لم تسعف الظروف المالية هذا المجمع الوليد على الاستمرار، فتوقفت أعماله، وعندما أرّخ الأمير مصطفى الشهابي لمجمع اللغة العربية في البلاد العربية، قال: "وأما مجمع عمّان فلم يقيض له الاستمرار لقلّة المال والرجال"!!!!.

مرت السنون وتعاقت الأحداث... ولكن اللغة العربية بقيت في الأردن أصيلة في التعبير عن جميع شؤون الحياة وفي دوائر الدولة جميعها، وفي التعليم بجميع مراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية، وتجاوزها ليشمل فيما بعد المعاهد في دور المعلمين والمعلمات..، ثم إلى الجامعة الأردنية منذ تأسيسها عام ١٩٦٢م. وذلك في تطور طبيعي. وقد بدأت الجامعة الأردنية "الأم" بكليتين: كلية الآداب بأقسامها المختلفة، وكانت تشمل أيضاً قسمي التربية وعلم النفس، وكلية الاقتصاد والتجارة. ومما يجدر ذكره، أن التدريس في

جميع المواد ما عدا قسم اللغة الإنجليزية (بطبيعة الحال)، كانت تدرس باللغة العربية. وكانت الاستعانة بأعضاء هيئة التدريس من سورية، متفرغين وغير متفرغين يدرسون جميعهم باللغة العربية السليمة، وكانت الأمور تجري في مسارها الطبيعي، إذ كانت الجامعة السورية بدمشق تدرس باللغة العربية السليمة.

طُرحت قضية "التعريب الشامل في الوطن العربي" بصورة رسمية باعتبارها جزءاً أساسياً من التحرر الوطني، لأول مرة في المغرب. وكان من المعروف انحياز الملك محمد الخامس إلى مصاف ثورة الشعب المغربي بمكوناته الرئيسة من عرب وبربر، من شمال المغرب إلى جنوبه. اعتبر الملك محمد الخامس الذي كان يطلق عليه لقب "الملك الصالح المصلح"، أن إعادة سيادة اللغة العربية، لغة العروبة والإسلام جزءاً أساسياً من استكمال السيادة الوطنية. فبادر إلى دعوة جميع الحكومات العربية في إطار "الجامعة العربية" إلى عقد مؤتمر في الرباط على مستوى وزراء الخارجية العرب، ومثل الأردن المرحوم قدرى طوقان وزير الخارجية آنذاك.

حدد هذا المؤتمر مفهوم مصطلح "التعريب"، ووضح أهدافه وغاياته ووسائل تنفيذه في مجالاته اللغوية والتربوية. فوضع من حيث المبدأ قضية "التعريب الشامل" في موضعها الصحيح على خريطة التحرر الوطني واستكمال السيادة الوطنية باستعادة اللغة العربية الفصيحة سيادتها في أوطانها. وكان مما حدّده المؤتمر استعمال اللغة العربية السليمة في كل مرفق من مرافق الأمة العربية في كل بلد من بلاد العرب. وأوصى المؤتمر بإنشاء

"مكتب تنسيق التعريب" بالرباط، كما أوصى أن تنشأ في كل بلد عربي، ليس فيه مجمع للغة العربية، لجنة تسمى "اللجنة الوطنية للترجمة والتعريب والنشر".

وقد استجاب الأردن لهذه التوصية مباشرة، فتأسست "اللجنة الوطنية للترجمة والتعريب والنشر" في الأردن، برئاسة الأستاذ قدري طوقان، وكان كاتب هذه الكلمات أحد أعضائها. وقد اجتمعت هذه اللجنة في نابلس، وكانت المملكة الأردنية الهاشمية إذ ذاك تشمل ضفتي نهر الأردن الشرقية والغربية، قبل أن تتوالى الأحداث السياسية المرة وتقع الضفة الغربية تحت الاحتلال اليهودي... .

دعا مكتب تنسيق التعريب بالرباط إلى عقد المؤتمر الأول في الرباط في المدة الواقعة بين الثالث والسابع من نيسان (إبريل) ١٩٦١م، وللأسف قبيل انعقاد هذا المؤتمر اللغوي العربي على مستوى الدول العربية بعدة أسابيع، توفي الملك محمد الخامس في ٢٦ شباط (فبراير) ١٩٦١م، في ظروف غامضة!!^(١)

عقد المؤتمر في موعده المحدد الثالث من نيسان (أبريل) ١٩٦١م بالرباط، وحمل اسم "مؤتمر التعريب الأول"، وشاركت فيه ممثلاً عن المملكة الأردنية الهاشمية إلى جانب نخبة من رجال الفكر واللغة في الوطن العربي.

١- ولد محمد الخامس بمدينة فاس في ١٠ من شهر أغسطس ١٩٠٩م، وقد أصبح سلطان المغرب بين (١٩٢٧م-١٩٥٧م)، وانحاز إلى الشعب المغربي في ثورته ضد الحماية الفرنسية. نفتته السلطات الفرنسية إلى جزيرة مدغشقر حيث قضى فيها من عام ١٩٥٣م إلى عام ١٩٥٥م. اضطرت ثورة الشعب المغربي سلطات الاستعمار الفرنسي إلى إعادة محمد الخامس من منفاه يوم ١٦ شباط (فبراير) ١٩٥٥م، وبعد بضعة أشهر تم إعلان استقلال المغرب يوم (٢) من شهر مارس ١٩٥٦م.

استمر وميض وحدة الأمة من خلال سيادة لغتها العربية الفصحى، واستمرت اللجنة الوطنية للتعريب والترجمة والنشر بالأردن، في تحقيق أهدافها القومية والوطنية في النهضة والوحدة. وتوجت هذه الجهود بإنشاء "مجمع اللغة العربية الأردني"، بصدور إرادة صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال في ١٩/٩/١٩٧٦م بتعيين أسماء الخمسة الأول من أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني، وهم: الدكتور عبدالكريم خليفة: رئيس الجامعة الأردنية سابقاً ورئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب في الجامعة الأردنية، والدكتور محمود السمرة: نائب رئيس الجامعة للشؤون الأكاديمية، والدكتور سعيد التل: عميد كلية التربية في الجامعة الأردنية، والدكتور محمود إبراهيم: أستاذ اللغة العربية في كلية الآداب في الجامعة الأردنية، والسيد عيسى الناعوري: سكرتير اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر. وفي ٢٠/١٠/١٩٧٦م صدرت الإرادة الملكية السامية بتعيين كاتب هذه السطور رئيساً لمجمع اللغة العربية الأردني. فتولى رئاسة المجمع منذ الأيام الأولى من نشأته. وسرعان ما حاز مجمع اللغة العربية الأردني بعمان على ثقة المجمع اللغوية العربية الشقيقة، وانضم إلى اتحاد المجمع اللغوية العربية، وأصبح العضو الرابع إلى جانب مجمع اللغة العربية بدمشق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومجمع اللغة العربية ببغداد.

وربما يكون من المفيد في هذه النظرة الشاملة لمسيرة مجمع اللغة العربية الأردني، أن نشير إلى أن قانون مجمع اللغة العربية الذي صدر بإرادة ملكية تحت عنوان "قانون مؤقت رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦م قد اتّصف بالثبات، ولم

تجر عليه سوى تعديلات طفيفة، وذلك حتى سنة ٢٠١٥، عندما صدر قانون رقم (١٩) لسنة (٢٠١٥م) قانون مجمع اللغة العربية الأردني، يحمل تعديلات مهمة ومنها: ينتخب مجلس المجمع من بين أعضائه العاملين رئيساً للمجمع لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد لمرة واحدة، كما نصّت عليه الفقرة (أ) من المادة (١٠) قانون مجمع اللغة العربية الأردني رقم (١٩) ٢٠١٥، ونصّها: "ينتخب المجلس من بين الأعضاء العاملين وبحضور ما لا يقل عن ثلثي الأعضاء رئيساً للمجمع لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد لمرة واحدة، ويحدد المجلس راتبه وسائر حقوقه المالية الأخرى بموافقة رئيس الوزراء".

وآخر ما نقوله في هذه المناسبة، فبفضل من الله سبحانه وتعالى وتوفيقه، وبفضل الجهود الخيرة التي بذلها ويذلها الزملاء والمتخصصون في خدمة اللغة العربية، استطاع مجمع اللغة العربية الأردني أن يكسب ثقة أشقائه في جميع الجامعات اللغوية العربية واحترامهم، وأن يوثق مكانته العالمية في خدمة العربية من حيث هي لغة العلم والفقه والأدب. فأتمنى لهذا المجمع ولجميع الجامع العربية أن تحقّق الهدف السامي في وحدتها في مجمع واحد للغة واحدة خالدة، لغة التزليل العزيز، لغة العروبة والإسلام.

مجمع اللغة العربية الأردني

في مسيرته عبر أربعة عقود

الأستاذ الدكتور إسحق أحمد فرحان

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
وأصحابه أجمعين، وبعد:

فهذه كلمة موجزة عن مجمعنا الأردني ومسيرته السباق في خدمة اللغة
العربية في الأردن، والعالم العربي بعامة، عبر لجانه المختلفة التي تعنى بتعريب
المصطلحات والنهوض باللغة العربية في مجالات الحياة المختلفة. ويشرفني أن
كنت عضواً مؤسساً فيه ابتداءً من ولادة لجنة التعريب والنشر إلى مسيرة
المجمع خلال الأربعين سنة الماضية، متمنياً له مستقبلاً واعداً في ظل قانونه
الجديد، وقيادته الواعدة الدكتور خالد الكركي، رئيس المجمع ونائبه المخطط
الدكتور محمد السعودي.

وفي بضع فقرات عن مسيرة هذا المجمع التاريخية، لا ننسى أن نذكر
أن:

- أول ولادة لمجمع اللغة العربية كانت في عشرينيات القرن العشرين
الماضي، وكان من أوائل قوانين الجامع اللغوية في البلاد العربية، ولكن
لم يكن نشاطه ذا أهمية لغوية معتبرة.

- ثم تلا ذلك تأسيس لجنة الترجمة والتعريب والنشر في المملكة الأردنية الهاشمية في ستينيات القرن الماضي، القرن العشرين، وقامت هذه اللجنة بنشاطات ذات قيمة وأهمية في تعريب المصطلحات وخدمة اللغة العربية مع المؤسسات التعليمية في الأردن طيلة عقدين من الزمان.
- وتلا ذلك ولادة مجمع اللغة العربية بجهود حثيثة من أعضاء لجنة التعريب ورئيسها الدكتور عبدالكريم خليفة وساعده فيها الأستاذ عيسى الناعوري، وأعضاء اللجنة التي تشرفت بعضويتها آنذاك.
- وكان عام ١٩٧٦م عام خير؛ ولد فيه قانون مجمع اللغة العربية الأردني بإرادة ملكية سامية في ١٩٧٦/٦/٢م، وكان بداية مرحلة جديدة لنشاط المجمع، حيث بدأ المجلس في مرحلته الأولى بخمسة أعضاء ثم تطور العدد حتى بلغ ثلاثين عضواً في شهر تموز ٢٠٠٦م.
- ويعمل المجمع في خدمة اللغة العربية عبر لجان مختلفة بلغت في بعض المراحل أكثر من عشرين لجنة متخصصة في سائر المباحث العلمية والأدبية والفنية. ومن اللجان الأخرى ذات الأهمية لجنة هيئة تحرير المجلة، ولجنة المعجم المدرسي، ولجنة المصطلحات التي أشرفت على تعريب عشرات الآلاف من المصطلحات التي تعتبر من أهم المؤسسات في هذا المضمار في الوطن العربي.
- وظل المجمع برئاسة الدكتور خليفة، جزاه الله خيراً، يتابع الوزارات المختلفة لإصدار قانون جديد للمجمع أكثر من عشرين سنة، حتى تحقق ذلك في عام ٢٠١٥م بعد جهود حثيثة من المجمع ووزارة التربية والتعليم، واللجنة القانونية في مجلس النواب. وهذا يعتبر من أكبر

الإنجازات في تاريخ الجمع، وعليه تعقد الآمال في تعريب المصطلحات التجارية والفنية والرسومية في القطاعين الرسمي والشعبي، وتشرف على ذلك لجنة من الجمع والوزارات المختلفة والقطاع الخاص.

- والشكر في مجالات نشاط الجمع موصول إلى أمنائه العامين الأستاذ عيسى الناعوري، والدكتور عبداللطيف عريبات، والدكتور عبدالحميد الفلاح على حسن إدارتهم وتحمل مسؤولياتهم في سائر نشاطات الجمع عبر سنوات طويلة من عمر الجمع. واليوم يخلفهم الدكتور الكركي والدكتور السعودي لمواصلة المسيرة.

- ومن أهم ما يقوم به الجمع أيضاً المساهمة عبر لجانه المختلفة، وبخاصة لجنة النهوض باللغة العربية على المستوى العربي خلال بضع سنوات مضت ولا تزال تعمل.

وختاماً، فالحديث عن الجمع نشأة وتاريخاً وتطوراً، له أبعاد كثيرة، ولا تغني عن ذلك كلمات موجزات، فما يصدر عنه من مجلة دورية يفخر بها، وندوات فكرية على المستوى الأردني والعربي، ونشاطات لجانه المختلفة في خدمة اللغة العربية، تعتبر مفخرة للأردن بخاصة وللعالم العربي بعامة.

وختاماً، جزى الله العاملين لخدمة اللغة العربية، خير الجزاء، فهي لغة القرآن الكريم، ولغة الأمة الواحدة، والله أسأل أن يسدد خطى القائمين على هذا الجمع، برئاسة معالي الدكتور خالد الكركي، ويجزيهم خير الجزاء، متمنياً لجمعنا دوام التطور والتطوير، والتوفيق والنجاح. وبالله التوفيق.

مجمعنا: شهادة

الأستاذ الدكتور همام بشارة غصيب

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

قصة المجمع أنبل وأجمل مما يُظنّ؛ لكنّ أنشودته لم تُغنّ بعد! فما كُتب عنه أقلّ من القليل؛ ومعظم ما نُشر عنه مجرد سردّ وجرد لمنشوراته وإنجازاته الأخرى. وسأعرج في هذه العجالة على بعض المحطّات المجمعية التي أثرت في نفسي ورسخت في وجداني. وسأختتمها ببعض انطباعاتي عن شخصيّات مجمعية رحلت عن دُنيانا.

- ١ -

المحطة الأولى: لقائي الأوّل مع الرئيس المؤسّس، الأستاذ الجليل عبدالكريم خليفة (مع حفظ الألقاب هنا وفي بقية المقال). وكان ذلك في حفل التخرج السنويّ لجامعتنا، الجامعة الأردنية، في منتصف السبعينيّات من القرن الماضي؛ بعد تأسيس المجمع بسنة تقريباً. وكانت المحبة الخالصة من أول نظرة. وكان واضحاً لي أنّه صاحب رسالة كبرى.

المحطة الثانية: زيارتي الأولى لمقرّ المجمع. وكان آنذاك بيتاً مُستأجراً في جبل الحسين بعمّان. وما زلتُ أذكر شعوري بالسكينة في رحابه منذ اللحظات الحيّة الأولى. وسرعان ما بدأت أشارك في اللجان الفنيّة الخاصّة بالمصطلحات والرموز العلميّة، بصفتي "خبيراً". وتوجّحت هذه المشاركة بمُساهمتي في حملة "تعريب التعليم الجامعي" التي شنها المجمع بحماسة مُنقطعة النظير في السنة الثالثة من عمره المديد العريض العميق، بإذنه تعالى. وتناولتُ

هذه التجربة الثريّة باستفاضة في أحد فصول الكتاب التذكاريّ. بمناسبة "أربعينيّة" المجمع. وفي هذه المرحلة، انتقل المجمع إلى مقرّه الدائم (عام ١٩٨١م). وواصل حملة التعريب. كما بدأ سلسلة مواسمه الثقافيّة. وكان لي الشرف أن أشارك في الندوة الأولى ضمن الموسم الأوّل (عام ١٩٨٣م)؛ جنباً إلى جنب مع الأستاذين الجليلين عبدالكريم خليفة وإسحق فرحان.

المخطّة الثالثة: انتخابي عضواً عاملاً في المجمع، وصدور الإرادة الملكيّة السامية بتعييني في ١٨ تشرين الثاني ١٩٨٤م. وكان هذا شرفاً كبيراً لي، لا سيّما أنّي كنت آنذاك في منتصف الثلاثينيّات من عمري (وكان قانون المجمع يسمح بذلك، قبل تغيير المادّة المعنيّة بـ "لا يقلّ عمر [العضو العامل] عن أربعين سنة"). وقدّمني لمجلس المجمع بُعيد ذلك أحد أصدقاء العمر، عضو المجمع (منذ ١٩٨١م)، عبدالمجيد نصير. وكم كان هذا تقليداً مجمعيّاً جميلاً! ولكم أتمنّى أن يعود!

المخطّة الرابعة: "الانخراط" في اللجان المختلفة التي يتركز عليها عمل المجمع. وقد استهوتني منذ البداية لجنة المصطلحات. وأسعدني دخول الحاسوب بُعيد ذلك إلى المجمع في وقتٍ مُبكّر؛ قبل سائر الجامعات العربيّة. وكان لأمينه العام آنذاك، عبداللطيف عربيّات، دورٌ أساسيٌّ في ذلك.

-٢-

دفعني التجربة المجمعية الجديدة إلى التفكير بعمق في العلاقة العضويّة بين اللغة والنهضة. ومن ثمّ، انتهيتُ إلى أنّ العمل الجمعيّ يقع في صلب المشروع النهضويّ للأمة. من هنا، فهو جدير بأن يوضع في سلّم أولويّاتنا. وهذا ما جعلني أقدم على هذا العمل بلا ملل أو كلل. وأعجبتني الأجواء الحضاريّة

-٢٨-

السائدة في المجمع. فمهما كان الخلاف في الرأي حاداً، كانت الغلبة في النهاية للمودة والوئام والأخوة. كما تأثرت بهيبة المجمع. فذكرني ذلك بما كنت أقرأ عن "مجمع الخالدين" في مصر، وعن أعضائه الكبار الذين علّمونا الكثير. ولعلّ أهمّ سمات العمل الجمعيّ أنّه عمل جماعيّ بكلّ معنى الكلمة. فالأفراد يُنتجون ويُدعون؛ لكنّ، ضمن الفريق المتكامل. وهذا هو الدرس الأبلغ الذي يستطيع المجمع أن يُقدّمه للأمة. فلا عجب أن أصبحت حياتي أغنى وأعمق بالمجمع وشخصيّاته.

وإذا كان ثمة بعض الحرج في الحديث عن الأحياء من أعضاء المجمع، أمدّ الله في أعمارهم، فلا حرج في بعض الذكريات ذات الدلالة عن الراحلين رحمهم الله.

أذكر عيسى الناعوري، أوّل أمين عام للمجمع، برشاقته الذهنيّة وحماسته الفائقة وتفاؤله الدائم. وأذكر الشيخ إبراهيم قطّان في آخر اجتماعات له في المجمع قبيل وفاته؛ وكنتُ ما زلت "خبيراً". فوجدته إنساناً كبير النفس، حلو المعشر، يتذوّق الملحّة ويعرف كيف يسردها؛ عدا عفويّته وبساطته. وهذه شمائل تحلّى بها حسني فريز أيضاً، بوجهه الحاني الذي اطمأنت إليه نفسي منذ اللحظات الأولى؛ وروكس بن زائد العُزَيزي، بدمائته ووفائه وحكمته الهادئة. وكنتُ رفيقاً لهما على مدى سنوات طوال في "سيّارة المجمع" التي كانت تُقلّنا من بيوتنا إلى المجمع وبالعكس لحضور جلسات مجلسه؛ وكانت هذه تُعقد آنذاك بانتظام مرّتين في الشهر. وحدّث بلا حرج عن "أحاديث السيّارة" من حيث تنوّعها وصراحتها. وانضمّ إلينا

في أوقات متفرقة إبراهيم السامرائي، بصمته العميق وصبره الجميل؛ وحسن الكرمي، بدقته المعجمية وولعه بالجدل والجدال. كذلك أذكر محمد أحمد سليمان، بثقافته الطبية والعلمية اللغوية الواسعة؛ وعبدالرحمن بشناق، بملاحظاته الذكية ومرحه الدائم؛ وأكرم زعيتر، بنبرته الخطابية حتى في سنيّه المتأخرة وثقافته السياسية التاريخية وقلبه الكبير؛ وأحمد سعيدان، بروحه الشابة الوثابة وعمقه في تراثنا العلمي؛ ومحمود إبراهيم، بفصاحته وبلاغته وإنسانيته وبشاشة مُحيّاه؛ وقنديل شاكر، بخُلُقهِ القويم وحسّه الإنسانيّ العميق وتحملهُ الشدائد بعزيمة لا تلين؛ وعبدالعزیز الدورى، بكلامه القليل لكن الطيّب وهدوئه البليغ؛ والشيخ إبراهيم زيد الكيلاني، بثقافته الشرعية العالية وحصافته وشاعريته "الكيلائية"؛ وعبدالكريم غرايبة الذي كان أمهر مَنْ عرفت في قراءة ما بين السطور وما تحتها ووراءها والذي كان مولعاً بغير المؤلف في الماضي والحاضر.

كذلك أذكر ناصر الدين الأسد، بحضوره اللغوي الطاعني وحُسن تعامله؛ وذوقان الهنداوي، بتجربته الغنيّة في مجالات عدّة؛ وإحسان عباس، بموسوعيّته ودقته؛ و"محمد سعيد" النابلسي، بألمعيته الماليّة والاقتصاديّة. إلّا أنّ هؤلاء المجمعين الأعزّاء الأربعة لم يحضروا جلساتنا إلّا نادراً (بل إنهم انقطعوا عن الحضور نهائياً) لسببٍ أو لآخر.

ويبقى المجمع صامداً بعد أربعين سنة من الكفاح المتواصل. ولعلّه دائم الاخضرار بالدماء الجديدة التي تسري في عروقه. وأحسبه مستعداً الآن لمواجهة التحديات المستجدة التي تزداد حدةً يوماً عن يوم في عالم زئبقيّ سريع الإيقاع.

شهادة حول المجمع

الأستاذ الدكتور عبداللطيف عربيات

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

يعبر إنشاء مجمع اللغة الأردنية الأردني عن انتماء الأردن إلى حضارة وهوية الأمة في وقت سادت فيه تيارات معادية وأمواج طاغية، غزت جوانب أساسية من فكر الأمة وهويتها ووجودها..

فاللغة العربية وعاء الفكر ومكونات الحضارة العربية الإسلامية التي سادت أنحاء العالم، وكانت عنوان التقدم والعلم والمعرفة لغزة اليوم وعلى مدى قرون طويلة. فاللغة العربية أصبحت اليوم في موضع تساؤل عند بعض أبنائها، وطغت لغات أخرى على جوانب الحياة العامة ومراكز العلم أو المعرفة فيها.

وعى الأردن - ومنذ إنشاء الإمارة في أوائل القرن العشرين - هذه الحقيقة، وقام بإنشاء مجمع يعنى باللغة العربية برئاسة المرحوم الشيخ الكرني وعدد من العلماء والمختصين، شكلوا نواة لمؤسسة تعنى بمهمة المجمع في بعض البلدان العربية.

وفي منتصف السبعينيات من القرن الماضي تنادى عدد من الغيورين والعلماء لتأسيس مجمع اللغة العربية الأردني القائم حالياً، وكان المجمع الرابع بعد مجامع القاهرة ودمشق وبغداد..

أصبح مجمع اللغة العربية الأردني مؤسسة عامة حسب تصنيف المؤسسات في الأردن، وكان ارتباطه إما بوزارة التربية والتعليم أو وزارة

التعليم العالي والبحث العلمي مع استقلاله استقلالاً تاماً إدارياً ووظيفياً، والارتباط هو من أجل التوصل بمراجع القرار العليا في الدولة.

يقود الجمع رئيس يتم انتخابه من الأعضاء العاملين في الجمع ويساعده مكتب تنفيذي ينتخب من أعضاء المجلس العاملين.

وللمجمع أمين عام يتولى الجوانب الإدارية، ويساعد رئيس الجمع في تسيير أمور الجمع الفنية والإدارية.

وللمجمع مكتبة متخصصة، فيها عدد من الموظفين الماليين والإداريين والفنيين، يقومون بالأعمال الموكولة إليهم لتسيير أمور الجمع كل حسب اختصاصه.

يصدر الجمع مجلة علمية محكمة، لها لجنة متخصصة برئاسة رئيس الجمع، وهي لجنة من اللجان الدائمة والمتخصصة في جانب هام ينقل صورة الجمع للخارج، وتسهم في نشر الثقافة والمعرفة المتخصصة للمعنيين.

وفي الجمع عدد من اللجان الدائمة وأخرى مؤقتة، في مختلف الاختصاصات التي تخدم أهداف الجمع في هذا الميدان.

مجمع اللغة العربية الأردنية عضو في اتحاد الجامعات العربية، ويسهم بشكل فعال على المستويين المحلي والعربي.

ويمكن أن أسجل الملاحظات الآتية بمناسبة مرور أربعين عاماً على إنشاء الجمع ودوره في المجتمع.

أولاً: المجمع وموقعه بين المؤسسات الأخرى في الدولة.. يخضع المجمع لمفهوم المؤسسة العامة غير الحكومية؛ مما يكسبه الاستقلالية بين المؤسسات الرسمية من جانب، ومن جانب آخر تخضع مخصصاته إلى تقدير بعض المسؤولين في وزارة المالية، وهذا عامل محدد لحجم المخصصات التي تقرر له سنوياً.

ثانياً: بالرغم من محدودية المخصصات في موازنة الدولة للمجمع، فقد قام المجمع بجهود متميزة في تعريب المصطلحات العلمية والعسكرية والأدبية، وأنشأ بنكاً لهذه المصطلحات حيث تمت حوسبتها كاملة، وأصبحت مرجعاً هاماً لكل من يحتاجها.

ثالثاً: قام المجمع بترجمة الكثير من الكتب العلمية والطبية الجامعية ووضعتها في متناول طلبة الجامعات.

كما قام بتحقيق كتاب الفلاحة الأندلسية وطبعه ونشره، ويعدّ المجمع المترجم أو الناشر الأول لهذا المرجع الكبير. كما قام بوضع مرجع المصطلحات العامة، وهو الأول من نوعه في الأردن.

رابعاً: قانونا المجمع وحماية اللغة العربية

نشأ المجمع بموجب قانون منذ بداية عمله في منتصف السبعينيات، ويعتبر العمل في المجمع عملاً تطوعياً لأعضائه العاملين، وتدفع مكافأة قدرت بعشرين ديناراً منذ إنشائه، ولم تتغير منذ إنشائه حتى السنة الأخيرة من عمر المجلس الذي وصل إلى الأربعين عاماً هذه الأيام، حيث بلغت خمسين ديناراً على الجلسة الواحدة منذ عام واحد. يقابل ذلك رواتب ومخصصات أخرى

لعضوية الجامع العربية الأخرى. كانت هناك مضيقات كبيرة لتعديل قانون الجمع حيث قدمت هذه التعديلات منذ ما يزيد على عقدين من الزمن، ولم يتم الأخذ بها إلا في العام الأخير من هذا التاريخ الذي نحتفل به.

ويقدر كل التقدير للمسؤولين في السلطتين التشريعية والتنفيذية بإقرارهما قانون حماية اللغة العربية، الذي يعتبر متميزاً في كل أنحاء الأمة العربية. هذا القانون الذي أعطى الجمع وبعض الوزارات والمؤسسات في الدولة سلطة حماية اللغة العربية في المجالات التعليمية والاقتصادية والاجتماعية كافة؛ مما ألقى مسؤوليات كبيرة على المجلس والمؤسسات ذات العلاقة.

خامساً: اللجنة الوطنية للنهوض باللغة العربية

بناءً على قراري القمة العربية في عامي ٢٠٠٨ و ٢٠٠٩ بإنشاء لجان وطنية عربية للنهوض باللغة العربية، تم تشكيل اللجنة الوطنية الأردنية برئاسة الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة الرئيس السابق للمجمع. احتضن المجمع هذه اللجنة التي تم تشكيلها بقرار من رئيس الوزراء وعضوية عدد من أعضاء المجمع بصفاتهم الشخصية وعدد آخر من أهل الاختصاص. قامت اللجنة بوضع أولويات لميادين العمل ذات العلاقة المباشرة بالنهوض باللغة العربية، ومنها الإعلام والتربية والتشريع والتقنيات الحديثة.. وغيرها، وخططت لامتحانات الكفاية باللغة العربية التي تعتبر من متطلبات الدراسة الجامعية والعمل الوظيفي في الدولة وغيرها.

شكلت اللجنة الوطنية لجاناً متخصصة لدراسة واقع اللغة في ميادين حددتها اللجنة ومنها: اللغة والإعلام، واللغة ولغة التشريع في المحاكم،

وأصدرت كتابين فريدين من نوعهما على مستوى البلاد العربية. وهناك كتب متخصصة في طريقها للظهور بإذن الله.

ترأس الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة المجمع خلال هذه المدة السابقة والكلمات تعجز عن إعطائه حقه في نوع وكمية العطاء، بالرغم من المحددات الكثيرة التي واجهها المجمع. وتسلم الأستاذ الدكتور خالد الكركي رئاسة المجمع بعد انتخاب مباشر من أعضاء المجمع وهو بحق خير خلف لخير سلف، والله ولي التوفيق.

الباب الثاني

الراجلون

الدكتور أحمد سعيدان - سيرة وأثار

الأستاذ الدكتور عبد المجيد نصير

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

ولد الدكتور أحمد سعيدان في صفد شمال فلسطين سنة ١٩١٤م. وفيها تلقى تعليمه الابتدائي. وفي الكلية العربية تلقى تعليمه الثانوي. وكان من أوائل الطلبة فيها، فبعث إلى الجامعة الأمريكية في بيروت. ومنها تخرج سنة ١٩٣٤م بكالوريوس في الرياضيات. عاد منها ليدرس في المدرسة الرشيدية والكلية العربية حتى نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨م. وفي هذه الأثناء كان يكتب ويترجم مقالات مختلفة، ويعد كتباً تدريسية؛ كما كان مسؤولاً عن الأخبار العلمية في إذاعة القدس.

وخرج من فلسطين بعد نكبة ١٩٤٨م مدرساً في الخرطوم في السودان، في المدارس والجامعة حتى سنة ١٩٦٩. كما حصل على الدكتوراه في تاريخ العلوم من جامعة لندن سنة ١٩٦٩م. عُيِّن سنة ١٩٦٩م عضو هيئة تدريس في قسم الرياضيات في الجامعة الأردنية. وظل فيها حتى تقاعده سنة ١٩٧٩م. وزاملته في هذا القسم ثلاث سنوات (١٩٧١م - ١٩٧٤م). وختم خدمته الجامعية بمنصب عميد كلية العلوم من ١٩٧٧م إلى ١٩٧٩م. ثم عمل عميداً مؤسساً لكلية العلوم في ضاحية أبي ديس في القدس إلى أن أبعده سلطات الاحتلال.

انتخب د. سعيدان عضواً في مجمع اللغة العربية الأردني، ومنه عضواً مؤازراً في المجمع العلمي العراقي، ومجمع اللغة العربية في القاهرة. ومنح وسام التربية الأردني من الدرجة الأولى سنة ١٩٦٨م؛ كما نال سنة ١٩٨٠م جائزة الكويت الأولى في تحقيق كتب التراث الرياضية. كان الدكتور من

أنشط أقرانه وأغزهم إنتاجاً على مختلف المستويات، وبخاصة في تبسيط العلوم بمقالات أو بكتب. فكان المستشار لهيئة تحرير مجلة "آفاق علمية" التي انطلقت من بيروت بدعم من مؤسسة شومان. ولم تعمر هذه المجلة طويلاً. كما كتب في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني عن تحقيق التراث العلمي، وعن تعريب العلوم. كما شارك في عدد من ندوات المجمع. وكتب عن عدد من علماء التراث العلمي. وشارك في ندوات إذاعية وتلفزيونية، ومقابلات صحفية. وظل يكتب حتى وافاه الأجل في كانون الثاني سنة ١٩٩١م. ونشر له بعد وفاته كتابه "الهندسة بأيدي عربية".

الكتب والرسائل المحققة المنشورة في الحساب:

حقق الدكتور سعيدان في الحساب ما يلي:

١- كتاب المنازل السبع لأبي الوفاء البوزجاني (٣٢٨هـ/—/٩٤٠م-٣٨٨هـ/—/٩٩٨م). وهو كتاب تدريسي فيما يحتاج إليه الكتاب والعمال (أي الموظفين) وغيرهم من أعمال الحساب.

وقدم معه دراسة مقارنة لكتاب آخر في الحساب هو "الكافي في الحساب" لأبي بكر محمد بن الحسن الكرجي (ت ١٠٢٩م على الأرجح)، اعتماداً على نسخة واحدة، هي مخطوطة دامت إبراهيم بإسطنبول رقم ٨٥٥.

٢- كتاب "الفصول في الحساب الهندي" لأبي الحسن أحمد بن إبراهيم الأقلديسي، الذي كان يعيش في دمشق سنة ٩٥٢م. وأصله كان رسالة الدكتوراه للدكتور سعيدان المقدمة للجامعة لندن سنة ١٩٦٥م.

٣- كتاب "جوامع الحساب بالتخت والتراب" لنصير الدين الطوسي (٥٩٧هـ/١٢٠١م-٦٧٢هـ/١٢٧٤م)، وهو آخر الكتب المهمة التي تستخدم التخت والتراب كما في العنوان. نشرته مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية في بيروت، المجلد ٢٠/٢ ص ٩١-١٦٤، مجلد ٢٠/٣، ص ٢١٣-١٩٢.

٤- كتاب "مراسم الانتساب في معالم الحساب" ليعيش بن إبراهيم الأموي الأندلسي (توفي بعد ٧٧٢هـ/١٣٧٠م). نشره معهد التراث العلمي العربي في حلب سنة ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

٥- كتاب "أصول حساب الهند" لكوشيار بن لبنان الجيلي (حوالي ٣٥٠هـ/٩٦٤م-٤٢٠هـ/١٠٢٩م). مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٦م.

٦- كتاب "التكملة في الحساب" لعبدالقاهر البغدادي (...-٤٢٩هـ/١٠٣٨م) نشره معهد المخطوطات العربية، الكويت ١٩٨٥. كذلك، نشر معه "كتاب في المساحة" للمؤلف نفسه. وفيه مساحات أشكال مختلفة وحجوم عدة أجسام.

٧- كتاب "المقالات في الحساب" لابن البناء المراكشي (٦٥٤هـ/١٢٥٦م-٧٢١هـ/١٣٢١م)، دار الفرقان، عمان ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

علم الجبر:

هو استخراج المجهولات من المعلومات بطرق الحساب.

نشر الدكتور سعيدان "تاريخ علم الجبر في العالم العربي" في جزأين سنة ١٩٨٦م، خصص الجزء الأول للمشرق، والثاني للمغرب. وهو دراسة مقارنة وتحليل لكتب الجبر التي وصلته حتى ذلك التاريخ. ففي الجزء الأول درس كتاب الخوارزمي وكتابي أبي كامل: الجبر والمقابلة وطرائف الحساب. وكان الدكتور سعيدان حقق كتاب "طرائف الحساب" لأبي كامل شجاع بن أسلم المصري الحاسب (ت حوالي ٣٤٠هـ/٩٥١م). ونشره في مجلة معهد المخطوطات العربية؛ وكتاب الفخري للكرجي مع نصه المحقق مقارنة مع كتاب "الباهر" للسموأل ومسائل ديوفانتوس؛ وأتبع ذلك بكتاب "علل حساب الجبر والمقابلة" للكرجي. كما قدم بإيجاز إضافات سموأل (ت ٥٧٠هـ/١١٧٥م)، والمعادلات التكميلية للمظفر شرف الدين الطوسي (ت حوالي ٦١١هـ/١٢١٣م). وفي هذا الجزء، حقق الدكتور سعيدان كتاب الفخري للكرجي. ويختم د. سعيدان تحقيقاته بكتاب "علل حساب الجبر والمقابلة" للكرجي.

ويخصص د. سعيدان الصفحات الأخيرة، القسم الرابع، من الجزء الأول على ما عنوانه "علم الجبر في المشرق العربي بعد الكرجي". ويذكر في هذا القسم إضافات سموأل، والمعادلات التكميلية، والمظفر الطوسي، ومسائل جبرية، والكاشي والجبر، وبهاء الدين العاملي والجبر.

وخصص د. سعيدان الجزء الثاني من "تاريخ علم الجبر في العالم العربي" للجبر في المغرب العربي. وقد حقق فيه "كتاب الجبر والمقابلة" لأبي عبدالله

محمد بن عمر بن محمد بن بدر الأندلسي، الذي عاش في إشبيلية في القرن السابع. كذلك حقق فيه "كتاب الجبر والمقابلة" لابن البناء المراكشي. مع تعليقات وشروح لكل منهما.

في الهندسة:

حقق د. سعيدان في الهندسة عدة أعمال؛ قد يكون أهمها ما نشر بعنوان "هندسة أقليدس بأيد عربية"، الذي صدر بعد وفاته بأشهر عن دار البشير في عمان. ويشمل الكتاب تحقيق مخطوطتين هما "كتاب الأصول لأقليدس، المقالات ١-٦" (النقل المأموني مع إضافات النيريزي)؛ و"كتاب تجريد أقليدس" لعلي بن أحمد النسوي. كما كتب مقدمة موجزة عن علم الهندسة قبل الإسلام، مع إشارة إلى بعض علمائها.

كما حقق د. سعيدان ست رسائل قصيرة تهتم بثليث الزاوية. كما حقق د. سعيدان لأبي الريحان البيروني رسالة عنوانها "تسطيح الصور وتبطين الأكر".

ونشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت، له كتاب "رسائل ابن سنان" سنة ١٩٨٤م. وهو إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة (٢٩٦هـ/٩٠٨م - ٣٣٥هـ/٩٤٦م).

كما أن له إسهامات مهمة في الرياضيات والعلم والفكر، نذكر منها:

١- قصة الأرقام والترقيم، وهو كتيب يتحدث فيه عن الأرقام والأعداد

والترقيم. نشرته دار الفرقان في عمان سنة ١٩٨٣م.

٢- متعة التفكير، وهو كتيب يثير فيه حب الاستطلاع عند القارئ الذكي، بأفكار ونوادير وألغاز.

ومع ان برنامج الماجستير في كلية العلوم بدأ سنة ١٩٧٤م - ١٩٧٥م، فإن الطلاب لم يجدوا تشجيعاً للعمل مع د. سعيّدان. وعمل معه في ذلك طالبان فقط، وهما (الدكتور) محمد الفيومي و(الدكتور) هارون الربضي، ولم يكملا في موضوع تحقيق الرياضيات. وأنوه إلى مشاركة د. سعيّدان في كتابة فصول في عدة موسوعات تعنى بتاريخ العلوم العربية بالعبية والإنجليزية.

ولقد نمي إلى أن المرحوم الدكتور أحمد سعيّدان ترك وراءه أعمالاً منها تحقيقات بعضها مكتمل وبعضها لم يكتمل. وقد حاولت مع أسرته لأصل إليها ولم أفلح.

وربما الجريمة التي ارتكبتها جامعتا الأردنية واليرموك، هي أنهما لم تستفيدا من وجود د. سعيّدان ونشاطه، وقيمتة العلمية في تحقيق التراث العلمي، فلم تنشأ مدرسة أردنية تتلمذ على يديه وتحمل الراية من بعده.

الدكتور محمد سعيد النابلسي

الأستاذ الدكتور إبراهيم بدران

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

لا يذكر اسم الدكتور محمد سعيد النابلسي وهو من مواليد يافا عام ١٩٢٨م، ومن أصول سورية إلا ويذكر معه دوره المتميز في إدارة الاقتصاد الأردني عموماً، وفي عالم النقد والتمويل والتنمية بشكل خاص. ومع أنه بدأ تعليمه في الحقوق في جامعة دمشق وحصل على درجة البكالوريوس فيها، إلا أنه تحول إلى دراسة الاقتصاد في الماجستير والدكتوراه وعمل مدرساً لهذه المادة في جامعة دمشق لفترة قصيرة. وبعد قدومه إلى عمان عمل في البنك المركزي لفترة مديراً ومديراً تنفيذياً لدائرة الأبحاث فيه. ثم تولى بعدها منصب وزير الاقتصاد الأردني في حكومة زيد الرفاعي الأولى عام ١٩٧٢م. بعد ذلك انتقل الى عالم المال والنقد فتم تعيينه محافظاً للبنك المركزي لمدة ثمانية عشر عاماً على فترتين الأولى من ١٩٧٣م إلى ١٩٨٥م، والثانية من ١٩٨٩م إلى ١٩٩٥م، قاد خلالها البنك المركزي والقطاع النقدي في الأردن بشكل متميز وبانضباط شديد ودقة متناهية واستقلالية تامة. وكان حرصه على استقرار سعر صرف الدينار وإيمانه بدور البنك المركزي في التنمية إلى جانب النقد، وإصراره على دور فاعل للحكومة في متابعة وتنظيم الشأن الاقتصادي والمالي، يمثل المؤشر الرئيسي والبوصلة الفاعلة في سياساته النقدية والتنمية. وبعد أن أنهى خدماته في البنك المركزي عمل خبير تمويل في اليونيدو لفترة قصيرة، ثم في الاسكوا، ثم خبيراً تمويلياً في القطاع الخاص إلى

أن وافته المنية في ٢٤/٧/٢٠١٣ بعد حياة حافلة بالإنجازات امتدت على مدى خمسة وثمانين عاماً.

وخلافاً للكثير من العاملين في القطاعات المالية والنقدية كان الدكتور النابلسي يتمتع بشخصية محبة قريبة إلى النفس وسهلة القبول للرأي الآخر والقدرة على التفاعل مع وجهات النظر الأخرى، ولكنه كان يتسم بالحكمة في اتخاذ القرار والتأني والدقة ومتابعة التفاصيل والتأكيد دائماً على الأثر الاقتصادي للقرارات والسياسات؛ ما أعطاه مكانة متميزة في الدوائر الوطنية والدولية. وكان مهنياً وحيادياً في اتخاذ القرار إلى أبعد الحدود. وفي الوقت نفسه كان عروبياً يؤمن بالتكامل العربي ويسعى إلى تحقيقه بشق السبل. وهذا مكنه من أن يصل الى مواقع مرموقة بين الخبراء العرب المناظرين. وكانت ثقته بنفسه وبالقدرات الشابة تدفعه إلى إتاحة الفرص لذوي الإمكانيات ليتحركوا إلى الأمام ويحتلوا المراكز القيادية. وقد خرج من تلامذته الكثير من الوزراء والأمناء والمدراء العامين. وكان قيادياً دون تسلط أو جبروت يحسن القيادة في الفترات الصعبة وفي الأزمات تماماً كما يحسنها في الأيام العادية، وقد كان من أبرز الأعضاء في لجنة الأمن الاقتصادي التي كانت تتابع القضايا الاقتصادية من منظور الالتزام بالقانون والمصلحة الوطنية. وعندما وقعت الأزمة المالية عام ١٩٨٨م استدعته الحكومة لاستلام زمام الأمور في البنك المركزي بعد أن كانت الحكومة نفسها قد أقالته من المنصب ذاته قبل سنتين. وكان يؤمن بالدور التنموي للبنك المركزي خلافاً لاتجاهات كثير من البنوك المركزية ولا يكتفي بالدور النقدي له. ولذا عمل

بقوة على المساعدة في إنشاء العديد من المؤسسات والشركات ذات العلاقة بالتنمية مثل المؤسسة الأردنية للاستثمار وبنك الإسكان وإنشاء صندوق سيادي لمؤسسة التقاعد لتستثمر أموالها داخل الاردن وليس خارجه. كما كان يؤمن بدور البنك المركزي في المساهمة في حل المشكلات القطاعية. فكان يساعد بقوة على تدبير التمويل اللازم لمؤسسات الإقراض المتخصصة مثل مؤسسة الإقراض الزراعي. وكان دوره بارزاً في إنشاء السوق المالي (البورصة) ليكون السوق المالي الأردني الثالث في العالم العربي بعد مصر ولبنان. وعندما انعقد مؤتمر القمة العربي في عمان عام ١٩٨٠م، كان الدكتور محمد سعيد النابلسي واحداً من عشرين شخصية عربية صاغت الوثائق الاقتصادية للمؤتمر. وكان إيمانه بالتكامل العربي يدفعه إلى اقتناص أي فرصة لتعزيز التكامل والتعاون الاقتصادي بين أي شركاء عرب.

عرفت الدكتور محمد سعيد النابلسي شخصياً في أوائل الثمانينيات حين كنت أميناً عاماً لوزارة الصناعة والتجارة ثم أميناً عاماً لوزارة الطاقة. وكثيراً ما كنت أبعث إليه ببعض الآراء والمقترحات التي كان يتقبلها بصدر رحب حتى لو كانت تحمل بعض النقد هنا وهناك. وعرفت الجانب اللغوي والأدبي لديه حين تشرفت بعضوية مجمع اللغة العربية في عام ١٩٨٣م. ومع أن ظروف عمله من جهة وصحته من جهة أخرى لم تكن تسمح له بالمواظبة على حضور جميع اجتماعات المجمع بسبب الأدراج الطويلة وعدم وجود مصعد في مبنى المجمع، إلا أن اهتمامه وحرصه على الحضور والمشاركة بفعالية كان بارزاً ومحل تقدير. وبقدر ما كان ضليعاً في المسائل المالية

والاقتصادية عن معرفة واقتدار بقدر ما كانت مداخلاته في نقاشات الجمع تكشف عن اهتمام عميق باللغة والتمكن منها والاهتمام بمستقبلها. ولعل ذلك الاهتمام يعود في أحد جوانبه إلى حرصه الشديد على الدقة في التعبير والوضوح في المعنى انطلاقاً من حسه القانوني ومهنيته في النقد والمال.

كان محمد سعيد النابلسي هادئاً ورزينا وفي الوقت عينه متواضعاً ودوداً يفيض قلبه بالمشاعر الإنسانية. وكان يشعر بالآلام الآخرين وخاصة البؤساء منهم. فكان يقدم المساعدات من ماله الخاص عن طيب خاطر ورغبة في المساعدة. ولم تستطع مهنته كمصرفي وخبير تمويل واقتصادي تنموي أن تحوله إلى محب للمال وأسير له. بل كان راضياً بما وصل إليه من مواقع تمكنه من خدمة بلده ومجتمعه. ولكنه لم يكن ليجلس ساكناً في بيته حين يكون خارج العمل العام. فقد كان شغفه بالعمل وتوظيف ما لديه من وقت وخبرة في خدمة المؤسسات المالية كبيراً. فكان مستشاراً للعديد من المؤسسات. كما أنشأ مع شركاء شركات مالية واستثمارية متعددة. توفي - رحمه الله - وراتبه التقاعدي ثلاثمائة وخمسون ديناراً. وحين وقعت الأزمة المالية النقدية في الأردن عام ١٩٨٨م، وكان يشغل آنذاك منصب خبير في الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الكويت تم استدعاؤه لقيادة البنك المركزي، فلم يتردد لحظة أن يترك موقع الخبير المالي بكل المغريات المالية ليتولى استلام الدفعة النقدية من جديد، وقد نجح في ذلك بشكل ملفت للنظر.

لقد كانت ثقة الدكتور محمد سعيد النابلسي بنفسه مصدراً من مصادر قوته. فرغم المشقة الحركية التي كان يعاني منها إلا أن خبرته وسداد رأيه ومهنيته واقتحامه مجالات العمل المختلفة، كل ذلك أعطاه المكانة المرموقة المتميزة على المستوى الوطني والعربي والدولي. فكان يشار إليه بالبنان كواحد من أبرز الشخصيات العربية في شؤون النقد والمال والاقتصاد.

الأستاذ ذوقان الهنداوي

الأستاذ الدكتور محمد حمدان

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

على الرغم من الألقاب الرفيعة التي حملها أثناء مسيرته العملية، كما سوف نورد أدناه، ظل اللقب المحبب إلى عقله وقلبه ووجدانه هو لقب الأستاذ أي المعلم لأنه بدأ حياته معلماً وأحب هذه المهنة، وأكد دوماً اعتزازه بها. لقد كان الأستاذ ذوقان الهنداوي معلماً ناجحاً ومربياً خبيراً لإعداد المعلمين لمهنة التعليم من خلال أدائه التربوي والإداري المتميز في دور المعلمين. وكما أحب مهنة التعليم أحب بالقدر نفسه اللغة العربية، إذ كان من التربويين الذين لا يتحدثون إلا باللغة العربية السليمة، وكان يدعو زملاءه المدرسين بجميع تخصصاتهم أن يستخدموا اللغة العربية السليمة في تدريسهم. وكان هذا كله يأتي انطلاقاً من إيمانه العميق بضرورة المحافظة على اللغة العربية وتعزيز مكانتها في جميع المؤسسات الوطنية، وبخاصة التربوية منها في جميع مستوياتها. وبتاريخ ١٩٧٧/١/٢٦م صدرت الإرادة الملكية السامية بتعيين الأستاذ ذوقان الهنداوي عضواً في مجمع اللغة العربية الأردني، وظل يحمل هذه العضوية حتى وفاته بتاريخ ٢٠٠٥/٧/٢م.

ولد الأستاذ ذوقان الهنداوي في عام (١٩٢٧م) في بلدة النعيمة بمحافظة إربد. وبعد أن أتم دراسته الابتدائية في مدرسة النعيمة التحق بمدرسة إربد الثانوية حتى الصف الثامن. وبعد إنهائه هذه المرحلة الدراسية عام (١٩٤٣م)،

وكان الأول على صفه، وقع عليه الاختيار كمبعوث على نفقة الحكومة إلى الكلية العربية في القدس. وبعد أن أنهى الهنداوي الدراسة فيها عام (١٩٤٧م)، أوفدته وزارة التربية والتعليم في بعثة دراسية لدراسة التاريخ في جامعة القاهرة، التي كانت تعرف باسم جامعة فؤاد الأول آن ذاك. وكانت من الجامعات المرموقة على المستوى العربي والعالمي.

عاد الهنداوي من القاهرة إلى الأردن عام (١٩٥٠م) بعد حصوله على شهادة البكالوريوس في التاريخ، وكان حينئذٍ من الجامعيين القلائل في الأردن. وقد تم تعيينه معلماً في مدرسة الكرك ثم معلماً في إربد، ثم نُقل إلى عمان لشغل وظيفة مساعد مفتش في الوزارة، ومديراً لمكتب الوزير، الذي كلفه بمهام عدّة شملت مسؤوليات إدارية متعددة. وفي منتصف الخمسينيات تم ابتعاث الأستاذ ذوقان الهنداوي إلى جامعة ميريلاند في الولايات المتحدة الأمريكية التي حصل منها على درجة الماجستير في التربية. وبعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية، عمل مديراً لدار المعلمين الريفية في بيت حنينا في القدس لمدة خمس سنوات.

في عام (١٩٦٢م)، عين الأستاذ ذوقان الهنداوي مديراً لدائرة الشؤون الاجتماعية في وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، ثم عُين عام (١٩٦٤م) ملحقاً ثقافياً في القاهرة، وعاد بعدها إلى عمان في العام نفسه ليشغل وظيفة وكيل وزارة الإعلام. وفي عام (١٩٦٥م) تم اختياره ليشغل منصب وزير الإعلام، ثم وزير التربية والتعليم.

تولى الأستاذ ذوقان الهنداوي حقبة التربية والتعليم أربع عشرة مرة في الفترة الممتدة بين عامي (١٩٦٥م و١٩٩٣م). وقد عمل في جميع فترات توليه الوزارة على النهوض بمسيرة التربية والتعليم بجميع محاورها، وذلك انطلاقاً من خبرته المعمقة وتجربته الثرية في العمل التربوي بجميع مستوياته، إذ كان وزيراً يتميز بأنه "ابن وزارة التربية والتعليم". ولقد عمل على تحسين البيئة التعليمية من حيث إنشاء المدارس الحديثة، كما ركز على تطوير التشريعات المتعلقة بالمعلم من حيث تأهيله ورعايته وتوفير أفضل الظروف الوظيفية له؛ مما كان له الأثر الأكبر في تعزيز أداء المعلمين وانتمائهم واعتزازهم بمهنتهم، وبالتالي تميز أداء طلبتهم. وكونه وزيراً للتربية والتعليم، كان الأستاذ ذوقان رئيساً للجنة الوطنية الأردنية للتربية والثقافة والعلوم. وبهذه الصفة، مثل الأردن في اجتماعات منظمة اليونسكو، حيث قدم العديد من الاقتراحات والتوصيات حول ضرورة المحافظة على التراث المقدس الإسلامي والمسيحي والإنساني في القدس المحتلة بالإضافة إلى كتابة حول "القضية الفلسطينية"، نشر الأستاذ ذوقان الهنداوي عدداً من البحوث القيمة ومن أهمها بحثه المعنون "الأسس التي ينبغي مراعاتها عند وضع مناهج العلوم الاجتماعية للمرحلة الابتدائية". وللأستاذ ذوقان الهنداوي مقالات تربوية عدة منشورة في مجلة "رسالة المعلم".

في عام (١٩٧١م) عين الأستاذ الهنداوي سفيراً فوق العادة في الكويت، ثم عُيِّن سفيراً فوق العادة في جمهورية مصر العربية عام (١٩٧٧م). وفي عام (١٩٨٩م) عُيِّن الأستاذ ذوقان الهنداوي رئيساً للديوان الملكي الهاشمي العامر

تقديرًا لإنجازاته الوطنية، إلا أنه في نهاية عام (١٩٨٩م) رفع استقالته لجلالة الملك من رئاسة الديوان الملكي ليخوض انتخابات المجلس النيابي الحادي عشر، التي نجح فيها بجدارة مستحقة، كما كان أدائه في المجلس متميزاً.

في حزيران عام (١٩٩٤م) شارك في حكومة الدكتور عبدالسلام المجالي نائباً للرئيس، إلا أنه قدم استقالته من الحكومة في نهاية عام ١٩٩٤. وعمل لاحقاً عضواً في مجلس الأعيان، ونائباً لرئيس المجلس ومقررًا للجنة الشؤون الخارجية فيه حتى عام (٢٠٠١م).

ولقد حاز الأستاذ ذوقان الهنداوي - أثناء مسيرته العملية - على عدد كبير من الأوسمة الرفيعة منها: وسام الكوكب الأردني من الدرجة الأولى، ووسام التربية الممتاز، ووسام الاستقلال الأردني، ووسام الحسين بن علي، ووشاح الملك عبدالعزيز آل سعود/ من المملكة العربية السعودية، ووسام الجمهورية من الدرجة الأولى/ من جمهورية مصر العربية، ووسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة/ من الجمهورية العربية السورية، ووسام الجمهورية التونسية من الصنف الأول/ من جمهورية تونس، وأوسمة أخرى رفيعة المستوى من كل من ألمانيا وفرنسا واليونان والباكستان والفايتيكان.

وقد كان الأستاذ ذوقان الهنداوي لطيفاً في تعامله مع الناس ومتفهماً لمشاكلهم وساعياً دوماً لتقديم العون والمساعدة لهم. وكان، رحمه الله، بشوشاً وهادئاً في الحديث والحوار والنقاش، مستخدماً أدوات المنطق السليم والتفكير الناقد العميق في طرح آرائه، مع تقديره واحترامه للرأي الآخر.

ولقد كان ذلك كله واضحاً خلال مسيرته الناجحة الموفقة في خدمة الوطن
بكل استقامة وأمانة وتفانٍ وإخلاص.

الأستاذ الدكتور قنديل شاكر

الأستاذ الدكتور أحمد شيخ السروجية

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

ولد المرحوم قنديل شاكر في خان يونس سنة ١٩٣١م، وبعد أن أنهى الدراسة الثانوية عمل لمدة عام أو عامين في التعليم التحق في كلية الطب في جامعة القاهرة. وفي عام ١٩٥٦م، أبعده من الجمهورية المصرية فغادر إلى العراق حيث أنهى دراسة الطب، والتحق بعدها في الدراسات العليا في قسم الأمراض الباطنية. وبعد أن أنهى تدريبه في العراق سافر إلى إنجلترا لإكمال تخصصه في الأمراض الباطنية وأنهى ذلك بالحصول على شهادة عضوية الكلية الملكية للأطباء فكان من أوائل من حصلوا على العضوية في الأردن. وقد عاد رحمه الله للأردن في أوائل ستينيات القرن العشرين حيث عين لمدة عامين كما كان مطلوباً من الأطباء بعد عودتهم إلى الأردن، وخلال ذلك مُنح الجنسية الأردنية. وبعد تركه للخدمات الطبية الملكية افتتح عيادة خاصة في عمان فكانت من أنجح العيادات. واستمر يعمل فيها حتى تم افتتاح كلية الطب فطلب منه الدكتور عبدالسلام المجالي العمل في الكلية وأقنعه بذلك فكان أول طبيب في العلوم السريرية يعين في كلية الطب وأصبح فيما بعد رئيس قسم الأمراض الباطنية ثم نائب عميد كلية الطب. وقد أوفد في عام ١٩٨٠م إلى الولايات المتحدة للتخصص في موضوع التعليم الطبي حيث حصل بعد عام على شهادة الماجستير وعاد إلى كلية الطب لرأس مركز تنمية القوى البشرية الذي أسس حديثاً. واستطاع عقد عدة اتفاقيات مع الكليات الملكية في مختلف التخصصات، جعلت من الممكن إجراء الامتحانات للكليات المختلفة في المركز.

وقد تم تعيين الدكتور قنديل رحمه الله عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية الأردني حيث ترأس لجنة العلوم الصحية وأشرف بهذه الصفة على ترجمة كتاب الموجز في ممارسة الجراحة لبيلي ولاف الذي أنجز عام ١٩٩٧م، بعد حوالي أربع سنوات في أربعة أجزاء.

الدكتور قنديل شاعر تزوج في عام ١٩٥٩م، في بغداد وله أربع بنات وأربعة بنين وقد تعرض الزوجان إلى نكسة كبيرة عندما توفي أكبر أبائهما في حادثة غرق مؤسسة في بغداد، وقد احتملا هذا الحادث المؤسف بإيمانهما الرائع الذي يفوق الوصف. وقد منّ عليهما بمولود ذكر أسمياه عمار تيمناً باسم أكبر أبائهما المتوفى.

وكان أبو عمار مثلاً على الإيمان وقد عرف بصبره على الشدائد، وكان في كل الوظائف التي تبوأها مثلاً على الإخلاص في العمل سواء أكان هذا العمل إدارياً أو طبياً، حيث كان ينظر إليه على أنه مرجع موثوق في كل الأعمال التي قام بها.

وبعد حياة حافلة بكل أعمال الخير التي قام بها على خير وجه انتقل أبو عمار إلى رحمه ربه في عام ٢٠٠٥ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه مع الصديقين والشهداء. ولا يمكن في هذه العجالة المقتضبة أن نفي أبا عمار حقه، فهو أكبر من كل الكلام والوصف الذي يستطيعه أيُّ منا أن يقدمه عن أبي عمار رحمه الله.

الدكتور محمود إبراهيم الأديب المجمعي

الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهيدي

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

تتعدد المحاور عند الحديث عن الأستاذ الجليل الدكتور محمود إبراهيم رحمه الله، ويمكن أن تتمثل في المحاور الآتية:

- محمود إبراهيم الإنسان، محمود إبراهيم الأديب والأستاذ الجامعي في الجامعة الأردنية وغيرها من الجامعات الأخرى.
- محمود إبراهيم المربي، في وزارة التربية والتعليم، وفي سائر أعماله بين الوزارة والجامعة، وفي سائر المؤسسات العلمية والثقافية، وأخص بالذكر مديرية المناهج والكتب المدرسية، ومنظمة اليونسكو.
- محمود إبراهيم المجمعي في مجامع اللغة العربية في عمان ودمشق وبغداد، وقد كان -رحمه الله- مثلاً للنشاط المجمعي في مجمعنا، مجمع اللغة العربية الأردني، وقد ترك فراغاً كبيراً في الجمع والجامعة، وفي سائر المؤسسات العلمية التي عمل فيها، وهو عضو عامل ومؤسس في الجمع، وكان له دوره الكبير فيه.
- محمود إبراهيم رئيس فرع الأردن، بل فروع الدول العربية في رابطة الأدب الإسلامي، وصاحب الدور المؤسس في بابه، وصاحب الرأي المستقل الذي يعبر عن الأمة في مواقفها تجاه دينها وأرضها.

- وكان للمرحوم أبي جهاد دور ملموس في الدعوة إلى التعريب وتدريس العلوم المختلفة باللغة العربية في الجامعات وغيرها من المؤسسات العلمية.

- وقد شارك في عدد من مؤتمرات التعريب في طرابلس/ ليبيا، وبغداد، وعمان، وطنجة، وقدم أبحاثاً في تلك المؤتمرات التي عقدت في سنوات عديدة في القرن الماضي. وكتب كتاباً عنوانه (تعريب التعليم الجامعي) في عام ١٩٨٦م، وكان قد قدمه إلى لجنة تنسيق التعريب، ونشر في الكويت، وهو كتاب مهم في مجاله، وكتب بحثاً آخر بعنوان (تعريب العلم وأثره في الفكر العربي) عام ١٩٨٧م، وألقي في ندوة "تعريب التعليم الطبي واللغة الطبية".

- وشارك المرحوم أبو جهاد بترجمة مختارات من شعر أبي الطيب المتنبي، وأخرى من شعر أبي فراس الحمداني إلى اللغة الإنجليزية.

القدس في وجدانه وفكره:

لقد كان محمود إبراهيم صاحب موقف، ويتجلى كل ذلك في حديثه عن القدس، فيما صنفه من مصنفات تربطه بها في إسلامياتها وعروبته، والحث على رفع راية الجهاد في سبيل تحريرها من الاحتلال ماضياً وحاضراً.

وهو بعد جلي تجلى في مصنفاته القيمة، وتجلى في أحاديثه ومحاضراته ومواقفه.

وتبدو تجليات القدس جلية في وجدانه وفكره، وذلك في العديد من مصنفاته:

- صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني.
- حطين بين أخبار مؤرخيها وشعر معاصريها.
- فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة.

ولعله يحسن القول منذ البداية أنه قد قضى ردحاً من الزمن بالاشتغال بأدب الحروب الصليبية، وهو ممن عملوا على إرساء تدريس هذا النوع في الجامعة الأردنية، وفي جامعات أخرى. وهو يرى أن هذه العناية تمثل خصوصية في جامعاتنا وديارنا الشامية. إن جل ما كتبه محمود إبراهيم وجهه لدراسة حقبة مهمة من أدبنا العربي، وتاريخنا الإسلامي. وهو يهدف إلى خدمة قضيتنا المصرية.

ويقدم في كتاب صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني دراسة أدبية نقدية تحليلية لأصداء ذلك الغزو، ويركز على الأشعار التي سجلت أحداث الغزو في العهد الزنكي، ويتمثل في التغني بالانتصارات والدعوة إلى الجهاد، ويستغرب الأستاذ الجليل صمت الشعراء حول أحداث الغزو مدة طويلة من الزمن، ويعلل ذلك بأن المسلمين كانوا يمرون بمرحلة هزيمة لم تدفعهم إلى القول.

وفي هذا السياق يركز على حركة الجهاد وغاياتها التي تتمثل في تحرير المحتل من ديار الإسلام.

وفي كتاب حطين بين أخبار مؤرخيها وشعر معاصريها، يقدم لنا آراءه في مقدمة الكتاب وخاتمته، إذ نراه يركز على الاهتمام بذكرى هذه المعركة الحاسمة في تاريخ الإسلام، وما توحى به تلك الذكرى من ترسيخ الأجداد في النفوس، وبث الثقة فيها، وتقوية الانتماء، والحث على الاقتداء، والربط بين الماضي والحاضر.

وينبه إلى خصوصية هذه المعركة من حيث المكان، ومن حيث كونها معركة حاسمة أخرى تحرر الديار، وتقضي على الوجود الصهيوني الغريب المفروض في فلسطين. وتحسن الإشارة هنا إلى تصوير الشعراء النصر في حطين، وبيت المقدس، وغيرهما من ديار الإسلام، وتمجيد الشخصية المحورية المتمثلة في البطل صلاح الدين الأيوبي. وهكذا نتبين التشابه بين أوضاع مضت، وأوضاع قائمة، وهو تشابه ليس بخافٍ على أي منا، وذلك من خلال الحديث عن الغزوين الفرنجي الأوروبي، والصهيوني القادم من أوروبا.

وفي الحديث عن فضائل بيت المقدس يرى أبو جهاد أن العمل في هذا المضمار واجب مقدس يسهم في معركة القدس، ويرى أن نصنف دراسات أكاديمية هادفة تركز على الحقائق، وترد على "محاولة الاستلاب الثقافي والتراثي الذي تواجهه المدينة المقدسة وما حولها". ويأمل أن يكون عمله في هذا المجال "كاشفاً للقراء من أبناء أمتنا عن أن المدينة المقدسة ليست مدينة تسكن ويبنى فيها، ويزرع في أرضها التين والعنب والزيتون، بل هي قاعدة لعقيدة الإسلام وتاريخه لا تقوم مقامها مدينة أخرى على هذه الأرض حتى لو احتوت القصور الشامخات، وأنبتت الثمار الدانيات، ووفرت لقاطنيها كل أشكال الرفاه والنعيم".

رحم الله الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم رحمه واسعة وأسكنه فسيح جناته.

ونضرع إلى المولى سبحانه وتعالى أن نرى القدس محررة من الاحتلال الصهيوني. ويرتفع فيها شعار المسلمين والعرب، ولا يكون هذا إلا برفع راية الجهاد، وتوحيد العالمين العربي والإسلامي.

وكلنا أمل أن نرى لغتنا العربية سائدة في جامعاتنا العربية تدرس بها العلوم المختلفة.

عيسى الناعوري

الأستاذ الدكتور عبد الحميد الفلاح

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

عيسى الناعوري ينتمي إلى أسرة الدبابنة في السلط، ولد في قرية ناعور سنة ١٩١٨م، وإليها ينسب، غير أن المحامي سليم الصويص ابن خالته يقول: إنه ولد في بلدة الفحيص، معتمداً في ذلك على نصّ للناعوري في مذكراته التي لم تنشر، يقول فيه: ((أما المكان الذي ولدت فيه فهو قرية الفحيص على جبل الرهوة أيام المساطيح، وأمي فحيصية من عشيرة الصويصات)). ويمكن التوفيق بين القولين أن أمه كانت في زيارة لأهلها في الفحيص، فأجاءها المخاض، فولدته، وعادت به إلى بيتها ومسكنها في ناعور.

كانت طفولته قاسية ومأساوية كما جسّدها في كتابه "الشريط الأسود"، حيث يقول: ((أنا إنسان قُدِّرَ عليه في طراوة السن أن يحطم الصخر، ويفتت الحديد بيديه وحدهما؛ لكي يستخرج منها ما يأكل وما يشرب، وما يلبس، وكم من أيام مرت بي حسدت فيها المتسولين لأنهم لا يجوعون)).

وفي شهادة للدكتور شوقي ضيف أنه عاش طفولة تعسة، مرّة كالحنظل تجرّعها غصصاً في أسمال بالية، ولكنه استطاع بإرادته الصارمة الحازمة أن يقلّم مخالف البؤس التي كانت تطبق على عنقه.

يؤكد الأستاذ عيسى الناعوري هذه الإرادة القوية، والثقة بالنفس والعزم والتصميم في مغالبة الصعاب، وتحقيق الآمال بقوله: ((كانت تعزيتي الوحيدة، وأنا أشق طريقي من الحضيض بكل مرارة راضياً بالسير على المسامير الملتهبة والشوك، هو أنني كنت واثقاً أنني سأحقق إنسانيتي الكريمة بجدارة)).

في هذه الظروف الصعبة والقاسية درس الناعوري الابتدائية في القرية، وفي الحادية عشرة من عمره أرسل إلى مدرسة داخلية في القدس تعدّ الكهنة، وأمضى فيها أربع سنوات ثم تركها، وعاد إلى قريته، ثم عاد ثانية إلى القدس يبحث عن عمل يخلصه من الفقر والحرمان.

عشق الناعوري العربية، وأحبّها أيّما حب، فدرّسها خمس عشرة سنة في مدرسة الساليزيان ثم في مدرسة اللاتين في رام الله، ثم ترأسنطة في القدس، وعمل بعدها سكرتيراً ومفتشاً لإدارة مدارس الاتحاد الكاثوليكي في الأردن من ١٩٤٩م إلى ١٩٥٢م، ثم موظفاً في وزارة التربية والتعليم من ١٩٥٤م إلى ١٩٧٥م، حيث استقال، وأسندت إليه وظيفة منشئ أثناء عمله في الوزارة، ليصوّب ما يعتور مراسلاتها من عيوب لغوية وأسلوبية، ويرتقي بها إلى ما كانت عليه لغة الدواوين في القديم من فصاحة وبيان.

وفي عام ١٩٦١م أنشأت وزارة التربية والتعليم اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، وعهدت إليه بأمانة سرّها، وهي اللجنة التي انبثقت عنها فكرة تأسيس مجمع اللغة العربية الأردني سنة ١٩٧٦م، وكان أحد الأعضاء

العاملين والمؤسسين للمجمع، وتقلد منصب الأمين العام للمجمع بتاريخ ١٠/٢/١٩٧٦م، وبقي يشغل هذا المنصب حتى استقال في نهاية أيلول ١٩٨٥م، وسافر بعدها للمشاركة بمرور ثلاثين عاماً على إصدار مجلة الفكر التونسية التي كانت له مشاركات في كثير من أعدادها، وأصيب بنوبة قلبية عصر اليوم الثالث من تشرين الأول ١٩٨٥م، وتوفي والقلم بيده، وهو يعدّ المحاضرة التي سيلقيها في هذا اليوم.

كان عيسى الناعوري عصامياً، بكل ما تعنيه هذه الكلمة، درس الأدب العربي شعره، ونثره في مظانه على نفسه، وتعمّق فيه، وتعلّم اللغة الإيطالية والإنجليزية على نفسه أيضاً، وأتقنهما، ودرس اللاتينية أربع سنوات، واليونانية سنتين، دراسة نظامية، وفهم الفرنسية والإسبانية، ووقف في مصافّ الأدباء والمشاهير في الأردن، والعالم العربي، والغربي، ينظم الشعر، ويؤلف، ويترجم، ويحاضر، ويشارك في المؤتمرات والندوات، ويكتب في الصحف والمجلات.

ولست بصدد الحديث عن شهرة عيسى الناعوري الأدبية التي طبقت الآفاق، فالمقام لا يتسع لذلك، فقد ألّفت فيها الكتب وكتبت فيها البحوث والرسائل الجامعية، وعرفته الأوساط الأدبية والثقافية والأكاديمية العربية والعالمية، شاعراً وأديباً وكاتباً، وقاصّاً وناقداً وصحفيّاً، ومترجماً ناجحاً، وبلغت منشوراته ستين كتاباً مطبوعاً في القصة القصيرة، والرواية، والشعر والنقد الأدبي، والبحث والدراسة، والتراجم والسير، وأدب الأطفال،

والأحداث التي مرت بها الأمة، والترجمة من اللغة العربية وإليها، وله كتب وبحوث بالإيطالية والإنجليزية، ومجموعة شعرية بالإيطالية غير مطبوعة، ومذكرات لم تنشر بعد.

وقد تُرجم كثير من نتاجه الأدبي إلى لغات عالمية عدّة، مثل الإيطالية والإسبانية، واليابانية، والروسية، والمجرية، والرومانية. وتقديراً لجهوده الأدبية وترجماته الرائعة من الإيطالية وإليها كرّمته جامعة باليرمو بإيطاليا بدكتوراه فخرية سنة ١٩٧٦م، ويعدّ ثالث عربي يحصل عليها بعد طه حسين، وحسن عثمان، كما كرّمته بمثل هذه الدكتوراه الأكاديمية العالمية للفنون والثقافة تايبيه/ الصين الوطنية سنة ١٩٨٢م.

كان عيسى الناعوري صادقاً أميناً مخلصاً لعمله، فعندما تقلّد منصب الأمين العام للمجمع عام ١٩٧٦م، لم يكن للمجمع مقرّ، فجعل من بيته المتواضع ومن مكتب الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة في قسم اللغة العربية بالجامعة الأردنية - آنذاك - مقرّاً للمجمع، فكان يعمل في بيته وحده، يكتب القرارات والمراسلات والمكاتبات، ويطبّعها على الآلة الكاتبة القديمة، ويحمل الملفات من بيته إلى الجامعة الأردنية، حيث يعقد مجلس المجمع والمكتب التنفيذي اجتماعاتهما، ويعود بها ثانية إلى بيته ليستكمل الإجراءات اللازمة، دون كلال أو ملل مدة سنة ونصف تقريباً حتى تيسر للمجمع مقرّ في عمارة مستأجرة بجبل الحسين.

وكان يحب عمله، ويتفاني في إتقانه، ويحرص على تأديته على أكمل وجه وأحسنه، فقد تولّى تحرير مجلة المجمع منذ العدد الأول إضافة إلى وظيفته، وقد وُجه إليه سؤال حول المحافظة على مستواها الأدبي والعلمي،

مؤداه هل للناشئة من الأدباء نصيب للنشر فيها؟ فأجاب: إنني أحرص على مستوى المجلة كل الحرص؛ لأنها النافذة التي يطلُّ بها المجمع على الثقافة في الأردن والخارج، وهذا أمر لا يُسمح للمحرر فيه أن يتصرف كما يشاء، وإنما هو أمانة مقدسة في عنقه... والأدباء الناشئون بحاجة إلى تشجيع على أن لا يكون على حساب مستوى المجلة الأدبي والفكري.....

ومن إخلاصه في عمله أنه لم يكن يتوانى عن أداء واجبه في خدمة المجمع، وخدمة اللغة العربية، وهو في أصعب الظروف الصحية، فقد قرر الأطباء إجراء عملية قلب مفتوح له في المدينة الطبية، فكان يتساءل من سيقوم بأداء مهامه، فقلت له: شفاك الله وعافاك، المهم أن تتعافى، والمجمع بخير، فقال: أعذرني إنني أرعى هذا المجمع كما أرعى واحداً من أولادي، فقد بدأت معه عضواً عاملاً ومؤسساً في مجلسه ومكتبته التنفيذي، وأميناً عاماً له، وأحب أن استمر في خدمته حتى آخر نفس في حياتي، فكان له ذلك حيث استقال من المجمع قبل وفاته بأيام معدودة.

وكان ينهج نهجاً مميزاً في الإدارة، يقوم على مبدأ لا تكن لينا فتعصر، ولا يابساً فتكسر، ولو كانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت. كان عدد موظفي المجمع قليلاً، وكان يعاملهم معاملة الأب لأبنائه، يجتمعون في مكتبه صباحاً، ويقدم لهم التوجيهات، ويحفّزهم على الإنجاز، ويقول لهم: الأمانة تقتضي أن يكون كل واحد منّا أميناً ومخلصاً إلى مجتمعه، وأن نعمل جميعاً، ما وسعنا الجهد، لتحقيق أهدافه، وأن نلتزم بالانضباط في كل شيء، وكان

قدوة لنا في ذلك، فما عهدناه تأخر يوماً عن الدوام، ولا خرج قبل انتهائه إلا لضرورة قصوى.

وخلاصة القول في أخلاقه أنه كان بطبعه سمحاً متسامحاً، بشوشاً لطيف المعشر، دمثاً متواضعاً، لا يحمل حقداً ولا ضغينة لأحد، بعيداً عن النفاق والرياء، هادئاً، وهي صفات واضحة لكل من عاشه، وتعامل معه، وعمل معه، كما أنها صفات تجسّدت في أدبه والمساجلات الأدبية في الصحف المحلية والعربية التي جرت بينه وبين عدد من الأدباء والمفكرين.

وفي الختام أقول: إن الجمع مدين له في كثير مما أنجزه وحققه في مراحل تأسيسه، وفي ذروة عطائه.

وأود أن أذيل مقالتي هذه بشهادتين عن عيسى الناعوري أولا هما للدكتور نبيل الشريف يقول فيها: ((كما أُحبّ في عيسى الناعوري تلك التزعة المنفتحة على العالم، الثائرة على الانغلاق، وهو لم يكتف برفض الانغلاق والتفوق في كل كتاباته، ولكنه أضاء شمعة للتواصل الثقافي من خلال اهتمامه الكبير بالترجمة، خصوصاً عن الإيطالية))^(١).

والثانية للأستاذ سليم الصويص، يقول: ((.... ولهذا فإن الخيار الوحيد الذي قبل به وأراد، هو أن يموت ثائراً متمرداً، لا أن يحيا خاملاً

١. تيسير النجار، عيسى الناعوري كاتب أردني بنكهة عالمية، ط١، ١٤٢٨هـ،

٢٠٠٧م، ص٦.

مسحوقاً؛ ولهذا كان نضاله متعدد الجوانب، فكان نضالاً ضدّ الفقر....
ونضالاً ضدّ الجوع والبرد، ونضالاً ضدّ المرض، ونضالاً ضدّ مجتمع مغلق،
وعادات بالية، وكان يدرك أن الطريق وعراً وشاقاً، مليء بالأشواك
والصخور، وأنه يعيش ليلاً لا يبدو أن له فجراً، ومع ذلك فإنّ شعله الحرية
والنهوض لم تخبُ في نفسه، وظلّت تسطع إلى أن فتحت كوة من الأمل،
ولج فيها، فشقّ طريقه إلى أن صار أديباً أردنياً وعربياً ودولياً، يشار إليه
بالبنان^(١).

١. جامعة عمان الأهلية، أديبان من الأردن، حسني فريز وعيسى الناعوري، عمان

١٩٩٣م، ص ١٧٠.

الريادة والثقافة عند روكس بن زائد العزيزي

قراءة في سيكولوجية الحدث الريادي

الأستاذ الدكتور سمير استيتية

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

تكشف توجهات بعض الأفراد في المجتمع عن البيئة الاجتماعية والفكرية لذلك المجتمع، ليس بسبب كونهم منه وأنهم أبنائه، وأن واقعهم من واقعه - وإن كان كل ذلك صحيحاً - ولكن لسبب آخر، وهو أن هؤلاء الأفراد يمثلون تطلعات المجتمع، وتشرّب أعناقهم وقلوبهم إلى سدّ الفجوات الثقافية، وملء الثغرات العلمية فيه، وإلى كسب معركة الانتقال من عصر إلى عصر في الزمن نفسه الذي يعيشون فيه. وقد لا تكون توجهاتهم ثورة مباشرة على الواقع، ولكن لا شك أنها مبادرات ريادية في نقل مجتمعهم إلى ما يرغبون فيه، أو إلى ما ينبغي أن تسير إليه تطلعات المجتمع نحو المستقبل. وهنا يظهر أثر التوجّه الفرديّ في الريادة التي هي في الحقيقة قيادة فكرية. على هذا المبدأ قامت الحضارات، وبسقوطه سقطت دولٌ عظيمة في التاريخ. والريادة ليست حكرًا على مرحلة معينة، فهي مطلب كل زمان وكل مكان.

يظهر هذا المبدأ واضحاً جلياً في سيرة بعض الروّاد الأردنيين، وما من ريب في أن روكس بن زائد العزيزي واحد منهم. وعلمنا أن نقرأ التاريخ والسيرة وما بينهما من وشائج وتواصل في المجتمع الأردني، حتى نفهم التوجه الثقافي والفكري عند الرجل، ولا ينبغي أن ننظر إلى الأحداث والمبادرات

بمعايير أيا من هذه، لأنها ستبدو عادية لا تلفت الأنظار. ينبغي إذن أن ننظر إلى تلك الأحداث بمعايير تلك المرحلة. وسأقف عند المحطات البارزة في حياته باعتبارها أعمالاً ريادية في تلك الأيام. وُلِدَ روكس سنة ١٩٠٣م في مدينة مأدبا، وهو اسم عريق في التاريخ، فالكلمة سريانية مكونة من ثلاث كلمات هي: (ܪܟܫ)، ولفظها: (مَيّ)، ومعناها في العربية: ماء، وهي لفظة عربية كذلك، فقد جاء في اللسان: (مَيّ) لغة في الماء. والكلمة الثانية هي الاسم الموصول في السريانية: الدولث (ܕܠܬ)، وهو يعمل على ربط كلمتين في تلك اللغة. والكلمة الثالثة وهي ܡܕܒܐ، ولفظها مأدبا، ومعناها الخصرة والبساتين، ولها نظير في القرآن الكريم: ﴿وفاكهة وأباً﴾، (عبس ٣١)؛ فيكون معنى المدينة: مياه البساتين. وإذا أردنا أن نتوسع في الترجمة قلنا: الخصرة والماء، وهو ليس توسعاً ينأى بالتركيب عما يُراد منه. وعلينا أن نقرأ المدينة كما يدل عليها اسمها هذا؛ فهي ذات خصرة ومياه، ومن الطبيعي أن يظهر أثر هذه الطبيعة على بعض أبناء المدينة، ولذلك كانت فيها ريادة تعليمية؛ في مرحلة مبكرة من تاريخ الأردن.

التحق العزيزي بمدرسة اللاتين في مأدبا، ودرس فيها المرحلة الابتدائية، وما أدراك ما المرحلة الابتدائية في تلك الأيام! إنها تفوق مرحلة التعليم الثانوي في كثير من البلاد العربية في هذه الأيام. انقطع العزيزي بعد ذلك عن متابعة دراسته، لظروف خاصة اضطرتّه إلى ذلك، فأحضر له والده معلماً يعلمه اللغة الفرنسية، وآخر يعلمه الإنجليزية. هذا الحدث ينبغي أن

يُقرأ باعتباره علامة مضيئة؛ ففي مرحلة مبكرة من سيرته، ومن تاريخ الأردن والمنطقة بأسرها، يتوجه طالبٌ في المرحلة الابتدائية إلى دراسة هاتين اللغتين، دون أن يطلب أحدٌ منه ذلك؛ فهو يريد أن يربط نفسه بعالم ثقافي يتجاوز عالمه المحدود في مدينته، دون أن يكون ذلك تكليفاً مدرسياً أو مطلباً مقررًا، فنحن حقاً أمام شخصية تفوق توجهاتها المنظورَ العاديَّ في المجتمع المحليّ في ذلك الوقت، في أكثر بلاد المنطقة. وسنجد أن إمام الرجل باللغات الثلاث لا يجعله مثقفاً فقط ، ولكن يجعله رائداً من رواد الثقافة والعلم في الأردن.

عاد العزيزي بعد ذلك إلى المدرسة بعد أن تركها أعوام عدة ، وهي محطة أخرى ينبغي أن نقرأها في سياقها السيכולوجي والاجتماعي؛ لأنها ليست حدثاً عابراً في سيرة حياته؛ ولا هي حدث سهل في حسابات تلك الأيام؛ فكان الذين يخرجون من المدرسة لا يعودون إليها. هذا الحدث يعني أن هذا التلميذ ما زال قلبه معلقاً في المدارس، وأنّ هذا التعلق هو الذي وَلَدَ إصراره على أن يعود إلى المدرسة، ليحقق ما تصبو إليه نفسه. وكونه يتصرف على خلاف ما تجري به عادة بعض التلامذة - وهم يتفльтون من المدارس - يعني أنّ التلميذ عَصِيٌّ على الخضوع للتوجه الذي يخضع له أقرانه، ويستعصي على الظروف التي يستسلم لها غيره، وأنّ شأنه في هذا ليس كشأنهم فيه. وكيف لا يكون كذلك، وهو الذي يتطلع إلى ما يجعله في المستقبل في مقدمة الركب التعليمي والثقافي في الأردن؟ أحْدِسْ بل أجزم أن قرار عودته إلى المدرسة لم يكن سهلاً بالنسبة إليه وللأسرة. ولكنها طريق

صحيحة، وإن لم تكن أيسر، والرواد ليس من شأنهم أن يختاروا الأيسر في تكوين حياتهم الريادية. ولما كانت كفة الأمية هي الأرجح في تلك الأيام، فرجوعه إلى المدرسة يعني أنه أصبح بهذا القرار قادراً على أن يتجاوز إحيات الأمية السائدة، وهذا التجاوز سمة أساسية في رواد العلم والثقافة.

توجهه العزيزي إلى القدس ليستكمل الدراسة في مدرسة ترسانطة. ويبدو هذا الحدث ضمن الأحداث الجارية في مُعتاد السلوك، لو أنه حدث في هذه الأيام؛ بمعنى أنه ليس عملاً خارقاً ولا جباراً. ولكنه في تلك الأيام عملٌ غير سهل؛ فالفتى سينتقل من بيئة يغلب فيها سَمْتُ البداوة، إلى بيئة تتعدد فيها الثقافات الخاصة ضمن ثقافتها الموحدة، ومن بيئة تغلب فيها الأمية، إلى بيئة تحمل أهلها على العلم بسبب كونها محط أنظار المؤمنين في العالم بأسره؛ فكان كثيرون من أهلها يجيدون عددًا من اللغات.

اشتغل العزيزي بعد تخرجه في التعليم، فقد عمل معلماً للغة العربية مدة طويلة. وهذان الحدثان يظهران ضمن السلوك المألوف هذه الأيام. غير أنّهما بمنطق هاتيك الأيام، يظهران على خلاف ذلك تماماً؛ فالمعلم لم يكن قدوة للطلاب فقط، ولكنه قدوة في المجتمع كله. كان أكثر الشباب ينتظرون اللحظة التي يتخرجون فيها من أجل أن يعملوا معلمين، ليس بسبب كون مهنة التعليم هي المتاحة أكثر من غيرها فقط، ولكن لأنها مصنع الرواد في المجتمع. وليس من المبالغة أن نقول إنّ المعلمين الرواد هم الذين صنعوا الثروة التعليمية للأردن، حتى أصبح الأردن مصدرًا من مصادرها الأساسية، وظهر أثر هذه الثروة الأردنية في كثير من الدول العربية، وما زال هذا ماثلاً أمام

أعيننا حتى الآن. وليس من الصواب أن ننظر إلى العلماء والأدباء والفنانين ورجالات السياسة والفكر والثقافة، في أيامنا هذه، بمعزل عن المدرسة الريادية التي صنعتهم، وصنعت أساتذتهم. لقد صنعت تلك المرحلة رجالاً أذاً سلموا الراية لرجال كثيرين بعدهم.

ألف العزيري كتباً كثيرة، بعضها تعليمي، وبعضها الآخر في التاريخ والثقافة والفكر، وما يعنيني سردها هنا شيئاً، ولكنني أشير - ضمن تركيزي في هذه الورقة على سيكولوجية الريادة - إلى ثلاثة أمور، أولها أن الكتب التعليمية التي ألفها العزيري تتضمن **نكهة ثقافية**، تخرجها من الطابع التعليمي التقليدي الحريص على المعلومات، إلى الطابع العلمي الثقافي الذي يجذب المتعلم والقارئ العادي معاً؛ فالمزج بين العلم والثقافة، أمر ريادي لم يكن مألوفاً في تلك الأيام. والمبدأ السيكولوجي الذي يعمل على تحويل العلم إلى ثقافة قائم على أن العلم والتعلم عندما يصبحان جزءاً من تكوين المرء المعرفي، يصبحان جزءاً من حياته، فإنهما يمتزجان بمفاهيمه الحياتية وتطبيقاتها العملية؛ أي أنهما يصبحان مكونين ثقافيين في شخصيته، فلم يعودا معلومات مجردة في سلوك هذه الشخصية أو تلك، فهذه سمة أساسية في رواد الفكر والثقافة، وثانيها أن المجالات والموضوعات التي كتب فيها العزيري كتبته متعددة، وهذه في ذاتها ريادة في تلك الأيام. وثالثها أن حرصه على العربية لا يعني أنه متمكن منها فقط، إنه أكثر من ذلك بكثير، فهو يعني عنده أن العربية جامع، وليست مانعاً. جامع لأنها تجمع العرب كلهم على صعيد واحد، مهما اختلفت توجهاتهم ومذاهبهم وأديانهم. وأما أنها ليست مانعاً،

فيعني ذلك أنه لما كانت العربية لسان العرب ودارهم جميعاً، فالدارُ لا تمنع أحداً من أبنائها أن يأوي إلى حضنها، واللسان يجمع أبنائه ولا يعزل أحدهم عن محيطه، وأعتذر للمناطفة لأني صرّفتُ مصطلحهم (الجامع المانع) في غير ما وضعوه له أصلاً.

لا أريد أن أتوقف عند المحطات الكثيرة التي تحويها كتبه، ولكني سأقف عند كتاب واحد منها أعدّه شعلة علمية ثقافية في التاريخ اللغوي الاجتماعي، أو ما نسميه: اللسانيات التاريخية الاجتماعية **historical sociolinguistics**، وهذا الفرع من التخصصات النادرة في اللسانيات الاجتماعية؛ لأنه يقتضي معرفة عميقة في التاريخ والمجتمع وعلم الاجتماع. هذا الكتاب هو: قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية. وأول ما أقف عنده هو استعماله كلمة القاموس للدلالة على المعجم. ومعنى القاموس في الأصل: البحر، وربما كان أول من استعمل كلمة القاموس جزءاً من عنوان لمعجم، هو الفيروزآبادي الذي سَمّى معجمه: القاموس المحيط، فيكون معناه: البحر المحيط. وقد أوهم هذا الاقتران كثيراً من المثقفين، وبعض المتخصصين، أن كلمة (قاموس) تعني المعجم، حتى شاعت هذه الكلمة بهذه الدلالة في أيامنا هذه. وسبب هذا الشيوع أن شيوخ الأزهر وطلبته في مراحل سابقة، كانوا يرجعون إلى القاموس المحيط كثيراً، فتكررت عبارة: جاء في القاموس (أو ما يشبهها) كثيراً على ألسنتهم وفي كتاباتهم، يريدون: القاموس المحيط، ثم شاعت في البلاد العربية كلها. وهو أمرٌ يتلقفه جُمّاع الأخطاء الشائعة — دون روية ولا تبصّر — بالتخطئة والتشنيع. وبعيداً عن كيفية تسلل هذه

الكلمة إلى الاستعمال بدلالتها على المعجم، لا أرى فيها ضيراً؛ لأنّ كل معجم - حقيقة - هو بحرٌ من بحور اللغة. ثم إنّ شيوع هذه الكلمة بدلالتها على المعجم، بابٌ من أبواب تطور الدلالة بما ليس فيه أيّ خروج على قواعد اللغة.

اعتنى هذا المعجم القاموس بعادات الناس في تلك الأيام، ولا شك أنّ كثيراً من هذه العادات قد اندثر أو أوشك أن يندثر، فهو سجل يحفظها قبل اندثارها. وأما اللهجات فقد حصدها كثيراً من التلاحق والتغيير، وقد جمعها العزيزي قبل أن يحدث هذا على نطاق واسع. والأوابد وهي جمع أبدة، ومعناها: الغريب من الكلام، وتأتي غرابتها من كونها قديمة؛ فهي إذن قديمة في تلك الأيام، فماذا تكون في أيامنا هذه؟ جمع العزيزي هذا كله في عمل واحد، وهو عمل رياديٍّ بمعايير المرحلة التي عاش فيها، وبمعايير أيامنا هذه. ومن واجب مجمع اللغة العربية الأردني أن يحتفي بهذا العلم، وهو أحد مؤسسيه الرواد: روكس بن زائد العزيزي.

ناصر الدين الأسد مجمعياً

الأستاذ الدكتور محمد حُور
عضو مجمع اللغة العربية الأردني

(١)

لم يكن صدفة أن يكون إنشاء مجمع اللغة العربية بدمشق عام (١٩١٩م) من أول القرارات التي اتخذها الأمير فيصل الأول بن الحسين عند تسلمه سدة الحكم على سورية بعد الحرب العالمية الأولى. وإنما كان إيماناً منه بأن "اللغة العربية" هي الحصن الحصين للأمة العربية، ودينها المجيد، وتراثها الخالد.

وأخذاً بهذا المنهج، سار أخوه الأمير عبدالله في الأردن، فأنشأ "مجمع اللغة العربية" في الأردن بعد ذلك بأربع سنين. لكن الظروف لم تساعد هذا المجمع على الاستمرار مثل سابقه، فتوقف نصف قرن ونيف إلى أن أنشئ من جديد عام (١٩٧٦م).

وترسّخ في أذهان الأمة العربية في أقطارها المتعددة، أن اللغة لها الأولوية في العناية والرعاية؛ وذلك بعد إدراكها أن خصوم هذه الأمة - في الشرق والغرب - يعمدون إلى تقويض اللغة العربية، وتهوين أمرها. فالتفتت هذه الأقطار إلى إنشاء "مجامع" للغة العربية فيها. وليس أدلّ على ذلك، من أنه كان في مصر "المجمع العلمي المصري" وقد أنشئ في القرن التاسع عشر، واستمر إلى يومنا هذا. ومع ذلك، أنشئ "مجمع اللغة العربية" بالقاهرة عام

(١٩٣٢م) إلى جانبه. وما هذا إلا لإبراز اللغة العربية والحرص عليها. وقل مثل هذا في بقية الأقطار.

(٢)

وكان ناصر الدين الأسد يرى أن "مجمع اللغة العربية" "أشخ صرح تعلق إليه الأعناق، وأمنع معقل تتناول إليه الهمم، وأعلى منارة ترنو إلى ضوئها الأبصار". وكان يرى في أعضائه أنهم "صفوة الصفوة وخيرة الخيرة، ممن يتوسم فيهم القدرة على أن يكونوا حماة اللغة العربية، وحراس تراثها، وسدنة ثقافتها"^(١). ولم يكن بدعاً في هذا، وإنما هو انطباع يرقى إلى حدّ اليقين، ما دام "الممتازون من رجال العلم والفكر يتطلعون إلى شرف العضوية في المجمع العلمية"^(٢). وقد ترسّخ هذا الأمر، وبات واضحاً للعيان حين حملت المجمع مسميات مجازية كـ "مجمع الخالدين" ولا يخلو هذا التعبير من دلالة على أهمية هذه المجمع، وعلى مكانة أعضائها؛ وهو ما سوّغ لنا ناصر الدين الأسد أن ينعت المجمع بتلك النعوت.

وإذا كان هذا مفهوم المجمع ورسالته، وتلك سمات العضو الذي ينتمي إليه وخصائصه، فما بالك إذا كان الشخص عضواً في مجمع؟! وإذا كان

١. كلمة ناصر الدين الأسد. مناسبة اختياره عضواً في المجمع، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة،

الجزء (٣٢)، نوفمبر ١٩٧٣م.

٢. مهدي الإعلام، مرحباً بنا ناصر الدين الأسد، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء (٣٢)،

نوفمبر ١٩٧٣م.

المرء يكتسب مكانته بين أهله وفي بلده، فما بالك إذا تخطى كل ذلك، وامتد إلى الأقطار العربية، وتجاوز هذا إلى المجامع العالمية؟!

كان هذا حال ناصر الدين الأسد، ابن الأردن، مع المجامع؛ فهو عَلمٌ من أعلام الأدب والفكر والثقافة منذ منتصف القرن الماضي. وبلده الأردن كان سباقاً في معرفته وإدراكه لأهمية "مجمع اللغة العربية" للمجتمع والأمة، ولرابطة العقد فيها بـ "اللغة العربية"؛ أقول: كان ناصر الدين الأسد علماً في وطنه العربي، وكانت المجامع تتطلع إلى الأعلام لتملأ بهم ما يخلو فيها من الكراسي، ليحل عالم جليل محل عالم جليل^(١). لذا التفت "مجمع اللغة العربية" المجمع الأول في الوطن العربي بدمشق إليه، وإلى مكانته، فاختره عضواً فيه عام (١٩٦٩م). واختاره "مجمع اللغة العربية" بالقاهرة عام (١٩٧٣م). وأنشئ "مجمع اللغة العربية الأردني" عام (١٩٧٦م). وكان ناصر الدين الأسد عضواً فيه عام (١٩٧٧م) (!!). واختارته "أكاديمية المملكة المغربية للعلوم" عضواً فيها عام (١٩٨٨م). واختاره "المجمع العلمي المصري" عضواً فيه عام (١٩٩٦م). ولا ننسى قبل هذا وبعده، أن كان رئيساً لـ "المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية" عام (١٩٨٠م). هذا على صعيد الوطن العربي، الذي لم يتوقف الأمر عنده، بل امتد إلى المجامع العالمية، إذ اختاره "المجمع العلمي الهندي" عضواً فيه عام (١٩٧٦م). كما اختاره "مجمع اللغة العربية" في الصين عضواً فيه عام (١٩٩٤م).

١. مهدي الإعلام، مرحباً بناصر الدين الأسد، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء (٣٢)، نوفمبر ١٩٧٣م.

(٣)

وكان ناصر الدين الأسد يرى أن للمجمع رسالة يتوقع منه أن يؤديها وتتمثل في:

- الحفاظ على سلامة اللغة العربية: محادثة، وقراءة، وكتابة.
 - تمكين المعلمين والمدرسين من لغتهم ليكونوا مؤهلين لنقلها لتلاميذهم في مراحل التعليم المختلفة.
 - استعمال العربية لغة للتدريس في الكليات العلمية، ولغة للبحث العلمي في الجامعات.
 - العناية بالمصطلحات العلمية الكثيرة الوافدة من لغات عدة، والعمل على وضع مصطلحات مقابلة: تعريباً، أو ترجمة، أو إحياء لكلمة قديمة.
 - العمل على تعميم هذه المصطلحات من خلال المجامع في الوطن العربي، واعتمادها في جميع المؤسسات العلمية والجامعات، لتتوحد الدلالات والمعاني.
- الحرص على أن تكون اللغة العربية السليمة هي أداة التفكير؛ كما أنها أداة التعبير، إذ إن تفكير المرء في مستوى لغته^(١).

(٤)

وأخذاً بهذه المفاهيم والرؤى لدى ناصر الدين الأسد: المجامع وأهميتها ومكانتها، وأعضاؤها ومواصفاتهم، وأهدافها ووظائفها، كان لا بد أن يشفع

١. مهدي الإعلام، مرحباً بناصر الدين الأسد، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء (٣٢)، نوفمبر ١٩٧٣م.

بهذه الجوانب الجانب التطبيقي الذي ينم على وعي وإدراك بما يقول، وعلى أن الهدف قابل للتحقيق بتضافر الجهود، والإخلاص في النية، والصدق في العمل. أقول: كانت دراساته التطبيقية "المجمعية" دليلاً على إمكانية قيام الجامع بمهامها المرتجاة منها.

تمثل تراث ناصر الدين الأسد المجمعي في ثمانية أعمال منشورة في: مجلة "مجمع اللغة العربية" بالقاهرة، ومؤتمرات "مجمع اللغة العربية" بالقاهرة. ومجلة "مجمع اللغة العربية الأردني" بعمّان. هي:

- كلمته بمناسبة اختياره عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

جهود بعض المحدثين في "العامي والفصيح".^(١)

معاجم ومعجمات^(٢).

أعراب وبادية^(٣).

نواد وأندية^(٤).

وديان وأودية^(٥).

حماس وحماسة^(٦).

العشرينات والعشرينيات^(٧).

١. مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الدورة السادسة والخمسون، (٢٦/٢ - ١٢/٣/١٩٩٠م).

٢. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء (٢٥)، نوفمبر ١٩٦٩م.

٣. مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، آذار (مارس) ١٩٧٦م.

٤. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء (٢٧)، فبراير ١٩٧١م.

٥. المصدر السابق، الجزء (٢٩)، مارس ١٩٧٢م.

٦. المصدر السابق، الجزء (٣٤)، نوفمبر ١٩٧٤م.

٧. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (١)، يناير ١٩٧٨م.

وكان ناصر الدين الأسد يستثمر معرفته العميقة بالتراث والأدب، في معالجة القضايا اللغوية؛ ولذا جاء هذا النظر جامعاً بين التنظير والاستعمال، مما يعكس تمكناً في الأدب واللغة، ظهر بارزاً في أعماله المجمعة.

وإن عناوين هذه الأعمال تشفّ عن رغبة صادقة في التعامل ما يشغل المعنيين من تساؤلات، في أن يسهم أعضاء المجامع فيما يروونه يشغل الناس، ويعمل كل منهم بجهد، مهما كان متواضعاً، إلا أنه بالتراكم، وتكاتف الجهود يكون الإنجاز. وهذا ما رآه ناصر الدين الأسد، وعمل به، عليه رحمة الله.

عبدالكريم غرايية كما عرفته

الأستاذ الدكتور جعفر نايف عبابنة

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

عبدالكريم غرايية هو (مُعَلِّم) جامعيّ، كما يُحِبُّ أن يُسمَّى كلُّ أستاذ في الجامعة؛ "فالمعلم" - في عالم الفلسفة والمعرفة - تدل على الحكمة وعلى النظر العميق والاطلاع الواسع الذي لا تحدُّه حدود. وهي أعلى مرتبة وأكثر احتراماً في نظره من كلمة أستاذ التي ابتذلت حتى فرَّغت من بعض معانيها.

إنه عالمٌ موسوعي كان التاريخ له مهنةً، لكن العلم الواسع الذي اغترف منه وشرب عللاً بعد نهل، كان ديدنه وميدانه وحياته وعنوانه.

يلاقيك ويحييك ويبادرك بسؤال لغوي أو بدهي يعرف جوابه مسبقاً، ولكنه يختبرك ليعرف مدى اطلاعك واستيعابك لتخصصك.

إنه صديق "لسان العرب" وكل المعجمات العربية الكبرى، يستشيرها ويستفتيها ويقلِّبها ويستهديها، وربما انتقى منها مسألة في منطقة رمادية "لائذة"، يعاجل بها من يريد أن يمتحنه. وكأئن من رجل سقط في هذا الامتحان. لكن المعلم لم يكن ليشهر بأحد أو يتشقى به، لأنه بلغ رسالته، فعرف المعنيون بما مبلغ ضعفهم، فخففوا من غلواء أنفسهم، وربما رجعوا إلى أمات الكتب لكي يستدرکوا ما فاتهم.

لقد فهم المعلم التاريخ علماً رصيناً، لا حكايات تروى وقصصاً تُسرَد. إنه عنده التحقيق والتدقيق والفكر الناقد والتحليل العميق.

كنت طالباً في السنة الأولى في الجامعة الأردنية حينما دخل علينا المعلم الجليل مدرساً لمادة التاريخ الإسلامي، وإذا التاريخ عنده شيء مختلف لم نعهده من قبل، وإذا بذور الفتن والانقسام وحفر الانهدام في تاريخنا الإسلامي تمتد جذورها إلى أيام الإسلام الأولى، وحال الأمصار والشعوب التي دخلت الإسلام، ولم يُلقَ إليها العرب بالاً، بل أخذوها - وهم غارقون في خلافاتهم جادّون في نزاعاتهم - على أنها شيء مسلم به.

وهكذا علّمنا أن نَحرَ فهمنا الساذج للأشياء، ونأخذ في السؤال: لِم وكيف؟

إنه المعلم الإنسان؛ فكم من طالب أخذ بيده حتى نال أعلى الدرجات العلمية، وتدرج في المناصب الجامعية حتى أصبح رئيساً له، ومنهم من بلغه الوزارة أو ما يساويها من الرتب العالية، لا يريد بذلك جزاءً ولا شكوراً.

وكم فعَلَ من خير لا يعلمه إلا الله. وأعرف كثيرين لم يعرفوا أن المعلم هو الذي زكّاهم وسعى من أجلهم ورقّاهم، إلا بعد زمن طويل.

إنه حطيئة التاريخ، لم يرحم أحداً من نقده، إذا رأى فيه اعوجاجاً أو علم عنه شيئاً جهلته العامة، سواءً في ذلك صانعو التاريخ وشخصه من قدامى ومُحدّثين. وعبدالكريم غرايبة معلم غرائبي، يصعب التنبؤ بما سيفعله أو كيف يتصرف في بعض المواقف. وكان يحب عمل "المقالب البيضاء" فيمن رأى

فيهم ضعفاً بشرياً ما، كالعجب بالنفس أو التكبر أو التجبر، يريد أن يقول لهم اعرفوا قدر أنفسكم.

ولم تكن نفسه تذهب حسرات على جاه أو منصب فاتة، حتى إنه لم يطلب شيئاً من هذا أصلاً.

وإذا كان غيره يملك قناطير مقنطرة من الذهب والفضة، فإنه يملك قناطير مقنطرة من بطاقات وجذاذات وأوراق سجل فيها خواطره أو ما شاهده طوال حياته.

إنه ورّاق من عصر قديم وصحفيّ من عصر حديث، لم يكفّ عن نسخ كل صغيرة وكبيرة، وكل خبر طريف، وكل معلومة وصلته أو حادثة بلغته، يسعفه في ذلك ذاكرة جبارة وخيال قوي وعزيمة لا تفتّر. واجتمع له من الأسرار والأخبار ما لم يجتمع لغيره. وقد حاول في أيامه الأخيرة أن يفرّغها ويصنفها وينشر ما يصلح للنشر منها، ولكن المنية عاجلته فلم يتمّ ما نوى فعله.

إنه حاد الذكاء، فكم من مسألة إدارية أو أكاديمية استعصى حلها، فوجد لها بفكره الثاقب حلاً خفياً لم يتنبّه إليه أحد غيره.

إنه نسيج وحده، يقرّ شيئاً إذا كان رئيساً للقسم ويرفضه عميداً، قائلاً في تسويغ ذلك، إنه يقر ذلك الشيء في القسم - ولو لم يقتنع به - لأنه ليس رأيه وحده، ويرفضه عميداً، لأن له في المسألة رأياً آخر. والطرائف والنوادر كثيرة في هذا الباب يرويها كل أصدقائه ومعارفه.

كان المعلم يحترم النساء كثيراً، وكان احترامه لهن موازياً لاحترامه زوجته
المرحومة، تلك المرأة العظيمة التي أخلص لها كل الإخلاص، وكان يجلّ كل
موظفة أو مدرّسة في الجامعة؛ بل كان يدعو إلى زيادة في عدد المدرّسات
لتوافق الزيادة في أعداد الطالبات.

كانت لديه مكتبة واسعة، حوت من كل فنّ بهيج، ولم يكن ضئيلاً بها، إذ
كان يتيحها لكل طالب علم، أو باحث في مسألة من المسائل، بل كان
يُهدي منها إلى كل من يعرفهم، على وفق تخصصهم.

لقد كان متواضعاً، وعلم كل الذين يعرفهم لين الجانب والتسامح
ونخفص الجناح.

وبعد؛ فهذا غيض من فيض، ومن يستطيع أن يفهم هذا الشيخ حقّه؟
رحمه الله، وطيب على الدوام ذكره.

الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني سطور من حياته ومضات من شعره

الأستاذ الدكتور عودة خليل أبو عودة
عضو مجمع اللغة العربية الأردني

قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَأَثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا بَكَافِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ الشعراء ٦٩-٧٧.

تلخص هذه الآيات الكريمة حياة الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني منذ نعومة أظفاره، وتفتح قدراته في مطلع شبابه، وانطلاقه بعد ذلك في الدعوة إلى الدين الحق، والمنهج الخالص في سبيل تحكيم شرع الله، والاقتداء بمنهج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الدعوة إلى الله التي هي دعوة إلى أن يقوم الناس في حياتهم الفكرية، وصلاتهم الاجتماعية، ومصادرهم الشرعية، وفق الفهم الدقيق، والسلوك العملي الحكيم، لدين الله وسنة رسوله الكريم، ومنهج السلف الصالح من الحكماء والعلماء المخلصين.

ولقد شاع عند عامة الناس، جهلاً أو خطأ، اعتقاد أن العلماء والدعاة عندما يخطبون على المنابر، أو يكتبون في الصحف، أو يتحدثون في الندوات، إنما هم يوجهون كلامهم إلى الحكام والمسؤولين في بلدانهم، وفي هذا القول بُعد كبير عن الصواب، في منهج الدعوة، وفي فهم الدعاة، بل هم كانوا

يدر كون ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الرعد: ١١، وهذا يعني أن صلاح الأمة هو صلاح أئمتها، وهذا تحقيق مضمون الحديث الشريف "كما تكونوا يولى عليكم". ولقد أنفق الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني جلّ عمره في هذه الدعوة الواعية، والسنة الحكيمة لإقامة شرع الله عز وجل في حياة الناس.

ولد سماحة الشيخ الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني في ١٨/٤/١٩٣٧م، وقد توفاه الله عز وجل في ٢/٤/٢٠١٣م.

وفي هذا العمر الخصب بالخير والعلم والخطابة والتأليف والمشاركة في الجمعيات الخيرية، والندوات الثقافية، والجامع اللغوية، مما لا يخفى على امرئ عايشه أو قرأ ما كتب عنه، وهذا ما جعل عمره عتيد يمتد مع مرور الأيام والسنين، حتى كأنه ما زال حياً بأعماله، مساهماً بأفكاره وآرائه، في كل مجمع، أو ندوة يتحدث فيها الناس عن شؤون اللغة أو شؤون الحياة، فكأن المتنبّي كان يقصده ويعنيه ويتحدث عنه بقوله:

لَوْ لَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ	الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ
وَأَتَمَّا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ	مَا كُلَّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ شِمْلَالُ
ذِكْرُ الْفَقِي عُمُرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ	مَا قَاتَهُ وَقُصُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

وسأسرد فيما يلي - بإيجاز شديد - بعض أعمال الشيخ الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني، في حياته الغنية المثمرة بالعمل والجهاد والدعوة، وأترك للقارئ الحصيف أن يقدر هذه الأعمال، وأن يقيسها على الأيام والسنين ليعلم أن العمر يحسب بالعمل والإنتاج، وليس بعدد الأيام والسنين:

- ١- كان - رحمه الله - وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية عام ١٩٩١م.
- ٢- وكان عضواً في مجلس النواب الثاني عشر من عام ١٩٩٣م حتى ١٩٩٧م، وكان في هذه الفترة رئيساً للجنة القانونية في مجلس النواب، التي أقر في عهدها وعهده القانون المدني الأردني، وهو أول قانون عربي مستمد من الفقه الإسلامي. وكان هذا القانون الشغل الشاغل للجنة التحضيرية التي كانت تعمل على وضعه منذ عام ١٩٧٦م، برئاسة دولة الأستاذ بهجت التلهوني، وتضم في عضويتها عدداً من العلماء والأعيان والمختصين، يضيق مجال هذه التحية السريعة عن ذكرهم. ولكن مقررها كان سماحة الشيخ إبراهيم زيد الكيلاني رحمه الله.
- ٣- وكان عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة، في الجامعة الأردنية، وأستاذ التفسير ومادة الثقافة الإسلامية فيها من ١٩٧٤م إلى ١٩٩٣م.
- ٤- ثم ما لبث أن صار عميد كلية الشريعة لأكثر من دورة. وفي هذه الأثناء عمل على وضع برامج للدراسات العليا على مستوى الماجستير والدكتوراه في الفقه وأصوله والقضاء الشرعي والتفسير. ووضع خططاً لمتطلبات جامعية كالثقافة الإسلامية، وشارك في وضع مناهج دراسية لعدد من الجامعات العربية في الرياض والإمارات العربية وسلطنة عمان.
- ٥- وكان - رحمه الله - مدير البرامج الدينية في الإذاعة الأردنية من عام ١٩٦٠م-١٩٧٤م. وهو أول من قدم برنامجاً دينياً يومياً في الإذاعة منذ عام ١٩٦٠م.
- ٦- وكان عضو مجلس الإفتاء الأردني لعدة دورات.

- ٧- وكان عضواً في مجلس الأوقاف الأردني.
- ٨- وعضواً في المجلس الأعلى للتربية والتعليم في عدة دورات.
- ٩- وكان رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم من عام ١٩٩٢م حتى السنوات الأخيرة من عمره الحافل بالعطاء.
- ١٠- وكان أخيراً - وليس آخراً- عضواً في مجمع اللغة العربية الأردني، وحسبها من عضوية حقيق بالمرء أن يعتز بها، وأن يعمل على القيام بواجبها.

وهذه العضوية الأخيرة تلزمني بالإعلان على أن سماحة الشيخ إبراهيم زيد الكيلاني - رحمه الله - كان له في اللغة العربية حديثاً وتأليفاً ونثراً وشعراً وخطابة، مثل ما له في الفقه والأصول وعلوم التفسير. ومن هنا كان الشيخ شاعراً محلقاً ينشد القصائد الحسان في معظم المناسبات التي تمر به، ومنها مناسبات وطنية واجتماعية وأسرية وإخوانية، وكان لفلسطين في ديوان الشاعر مكان واسع ومكانة كبيرة.

قال في حريق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م:

يا حريقاً ضرمت نيرانه	عصبة الغدر بيت المقدس
أي نار أكلت منبره	وهو في القيد رهين الحبس
أين نور الدين قد هياه	قبل فتح القدس فتح الأنفس

وقال في اجتماعياته يخاطب طبيب القلب الذي كان على وشك إجراء عملية له:

يا طبيبَ القلوب رفقا بقلبي ليس فيه سوى محبة ربي
أثخنه الجراح في حب طه ورمته السهام من كل صوب
يا إلهي أنت المرجى وقلبي بك يشفى ونظرة منك حسي
في طريقي إليك أرهقني الجرح وقلبي مع الأذان يُلبي

وقال في رثاء حماته (أم زوجته) ولعله أول من فعل ذلك من الشعراء،
وقال في الإخوانيات، وفي مقاومة الأعداء، وفي الحث على الوحدة، وقال..
وقال، فليت المقام يتسع لعرض بعض النماذج!
وبعد...

فهكذا عاش سماحة الشيخ إبراهيم زيد الكيلاني، وعلى هذه الحال
الكريمة من العمل الدؤوب، والجهاد المستمر، والدعوة الصادقة إلى شرع الله،
والإعلان المستمر عن هموم الأمة في خطبه وبخاصة في أيام الجمع في المساجد،
وفي كتاباته وفي أحاديثه، هكذا، ودّع هذه الحياة، توفاه الله عز وجل، ولعل
كثيراً من الناس لا يشعرون بما في هذه العبارة من خير، ومن دفء ومن
قرب، توفاه الله واختاره في جواره، قال الله عز وجل في حق عيسى عليه
السلام: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ آل عمران: ٥٥، إن
الإنسان الذي يحيا في طاعة ربه، لا يموت، إن الحياة في الشرع الإسلامي هي
الحياة في طاعة الله عز وجل والعمل على تحقيق شرعه، وإن الموت هو البعد
عن طاعة الله عز وجل ومقاومة شرعه. فكم من ميت يعيش بين ظهرانينا
يتحرك في قبره، وكم من حيّ غادرنا وهو يعيش في رضوان الله.

قال الله عز وجل في كتابه الكريم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ
لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ مريم: ٩٦، وانظر إلى كلمة (سيجعل)، وقال الله عز وجل

أَيْضاً ﴿وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ الشعراء: ٨٤، قال المحققون: في هذا دليل على استحباب اكتساب ما يورث الذِّكْرَ الجميل. وقال ابن العربي: في هذا دليل على الترغيب في العمل الصالح الذي يكسب الثناء الحسن.

فسلام عليك - يا سيدي - في الصالحين، وأسأل الله عز وجل أن يجعلك من ورثة جنة النعيم، وأن يجمعنا بك في رحمته عز وجل يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، والحمد لله رب العالمين.

الباب الثالث

إنجازات جمعية

دور مجمع اللغة العربية الأردني في ترجمة العلوم

الأستاذة الدكتورة سري سيع العيش

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

من البديهي أن تُعنى مجامع اللغة العربية بكل ما ينهض باللغة العربية ويعزز مكانتها، ويثري مفرداتها وينقيها من كل شائب وغريب ومستهجن يلحق بها. وكذا كان مجمع اللغة العربية الأردني دائم الدفاع عن اللغة العربية يفند كل من يشوش نسقها ويحاول أن ينتقص من رفيع مكانتها وعظيم قدرها ويهين أصيلها ويستبدل هجين اللغات بها. ولما كان وضع اللغة العربية في بلادنا لا يحسد عليه من حيث إهمال اللغة، والاستهانة بقواعد نحوها، وأنيق لفظها وجميل خطها وصحة مخارج حروف أبجديتها وسليم نطق ولفظ كلماتها. ولأن لغتنا العربية غنية بالتصريف ثرية بالاشتقاق وميسرة لخلق وتوليد المفردات كان لا بدّ من عمل متواصل مكثف للتعامل مع ما يظهر من جديد الكلمات والمصطلحات العلمية والطبية والتقنية باللغات الأجنبية وبخاصة الإنجليزية. وذلك بترجمة المصطلح الأجنبي أو وضع بديل بالعربية مكافئ له أو تعريبه إذا لزم الأمر. لذلك حرص مجمع اللغة العربية على تأليف لجان للترجمة والتأليف، وأخرى لوضع المصطلحات المناسبة في شتى العلوم وبخاصة في الطب بمختلف تخصصاته، وطب الأسنان والصيدلة، وعلم الدواء والتشريح المرضي،

والتمريض. وفوق كل ذلك كان المجمع وراء إصدار قانون حماية اللغة العربية الذي يحتاج للكثير من الجهد في تفعيله وصد الجائرين والمنقلبين عليه.

ولما كانت الحياة المعاصرة المتسارعة تترافق مع ظهور مفردات جديدة وصفية وحرفية وتكنولوجية واعتبارية لما يطرأ من اختراعات أجهزة وآلات تكنولوجية، وتقنيات ومعدات، وطرق إعلام وتواصل اجتماعي، فلا بدّ من وقوف الجامع لتصدّ دخول الألفاظ المشوهة وتعبرّ المفردات الجديدة بعد أن تعالجها وتعربها، إن لم تتمكن من استيعابها ووضع مصطلحات أو مرادفات بديلة لها. هنا تبرز الحاجة للترجمة الجيدة الحصيصة التي لا بدّ منها للتفاعل مع العالم المتقدم المتسارع بالاختراعات والإنجازات والفتوحات العلمية. فالعالم يتقدم، وتقنياته تتكاثر وأساليب الحياة، ونمط العيش يتغير فتدخل تعابير وكلمات ومفردات تحتاج منا الكثير لاستيعابها وإخراجها بحلة عربية جميلة. لا بدّ من الانضمام في الصفوف الممكنة من الحياة مع العالم الكبير المتسارع.. لا بدّ من معرفة ما وصله الآخرون فنحن للأسف نقف في الدرجات الدنيا من السلم العلمي الحضاري، وليست لنا أسانيد علمية أو اختراعيه تكنولوجية نستند إليها، ولا نستطيع أن نبقي جامدين في أماكننا نتلقى البركات والخير باليد السفلى.. لا بدّ من التفاعل مع ما يحدث، والاطلاع على ما يطرأ ويستحدث. ومجمع اللغة العربية عليه واجب كبير في الترجمة والتأليف كما هو واجب جميع المؤسسات الحكومية والخاصة المهتمة بالعلم والتكنولوجيا والتقنيات المستجدة، والدور الذي ينتظر من المجمع العربي الأردني وازن وكبير. في الماضي قام مجمع اللغة العربية بترجمة الكتب العلمية الأساسية التي تدرس في الجامعات الأردنية، وقد دعم نشر بعض

الكتب العلمية، مثل كتاب العدسات اللاصقة، وقام بترجمة الموسوعة الجراحية للمؤلفين بيلي - ولاف، وكذلك قام سابقاً بترجمة الكتب العلمية الأساسية في كلية العلوم مثل: الكيمياء الحيوية للخلية ووظائفها، والفيزياء الكلاسيكية الذي صدر بثلاثة أجزاء. والموجز في ممارسة الجراحة الذي صدر بأربعة أجزاء. والكيمياء العامة، وعلم البيولوجيا الذي صدر في جزأين. وقد ترجم أيضاً قاموس التراكيب في علم الحاسوب.

وقد قام أعضاء في المجمع بترجمة بعض الكتب، خارج نطاق دعم المجمع.. مثل كتاب "المرشد في طب العيون" الذي ترجمته كاتبة هذا المقال بتكليف من مركز تعريب العلوم الطبية في الكويت، ونال الكتاب جائزة جامعة فيلادلفيا لأحسن كتاب مترجم، لعام ٢٠١٠م، وقمت أيضاً بترجمة مصطلحات معجم البصر وعلوم الأبصار بتكليف من المركز نفسه.

على المجمع أن يقوم بجهود كبيرة في تشجيع الترجمة وبخاصة الكتب العلمية، والتقنيات المعاصرة، حتى تقف اللغة على أسس ثابتة وتكون منافسة لغيرها من اللغات الحية كالإنجليزية التي تحمل لواء العلم وتنشره ورقياً ورقمياً في العالم أجمع في هذا العصر.

التاريخ يذكرنا بأن الحضارة العربية الإسلامية قامت في بداياتها على الترجمة عندما ترجمت مئات الكتب من الإغريقية والهندية والفارسية إلى العربية، وكذلك بنت أوروبا حضارتها على أكتاف الحضارة العربية الإسلامية عندما ترجمت نفائس الكتب العلمية، والطبية، والأدبية، والفلسفية، والفقهية العربية، إلى اللغة اللاتينية وإلى بقية اللغات الأوروبية.

أما في الزمن البعيد أي قبل الزمن العربي الإسلامي فقد شيد الإغريق حضارتهم على أكتاف الحضارة البابلية والمصرية الفرعونية فاقتبسوا الكثير منها، حتى أنهم انتحلوا الكثير من العلوم والمنجزات في الحضارتين الآشورية والفرعونية ونسبوها لأنفسهم. وقد قاد التعصب الديني والعنصري الأوروبي إلى الإدعاء أن الحضارة الإنسانية بدأت باليونان وانتهت إلى الغرب الأوروبي، قفزاً وتعتيماً وإسقاطاً وتجاوزاً على ألف سنة من الحضارة العربية الإسلامية. فالحقيقة التاريخية العلمية أثبتت أن "أبقراط" الطبيب الإغريقي في القرن الرابع ق.م. لم يكن حقاً أبا الطب كما يصفه الغربيون، وكذلك أن هيروودت المؤرخ الإغريقي الشهير لم يكن أبا التاريخ كما يسميه الأوروبيون. فالأطباء المصريون والبابليون والآشوريون الحكماء القدامى هم آباء الطب وقد سجلوا أوائل كتب الطب التي ألفوها باللغة المسمارية على الرقم الطينية في بلاد الرافدين، وباللغة "الهيروغليقية أو التصويرية" على صحائف ورق البردي القديم في وادي النيل.. والمؤرخون الحكماء في العهد الفرعوني وفي الحضارتين الفرعونية والبابلية هم أول من كتب التاريخ وأرّخ الوقائع وسجل القوانين والشرائع ونظم المهن ووضع المسؤولية الطبية والصناعية والتقنية قبل آلاف السنين.

لقد اعتمدت النهضة العلمية والاقتصادية في اليابان على ترجمة كل ما يصدر من مجلات وإصدارات علمية باللغات الأوروبية للغة اليابانية، فاستوطن العلم باليابان التي وقرت لغتها، ولم تستبدل بها اللغات الإنجليزية أو الألمانية أو الفرنسية أو الإيطالية أو الروسية أو الصينية التي ترجمت العلم

عنها. وكذلك نشط المترجمون في نقل وترجمة الحضارة العربية الإسلامية للغرب، فقد أخذت الفلسفة عن ابن رشد عندما ترجمت كتبه لللاتينية، واعتمد داني على كتابة الكوميديا الإلهية بقراءة الترجمة اللاتينية لكتاب أبي العلاء المعري رسالة الغفران وربما بترجمة قصة المعراج. وأخذت الكتب الطبية والعلمية العربية أساساً لبناء النهضة الأوروبية العلمية فأخذ روجرز يكون عن ابن الهيثم عندما ترجمت أمهات الكتب العربية الطبية والعلمية، وأخذت مبادئ صنع النظارات الطبية واستعمال العدسات المصححة لأسواء البصر من كتابه المناظر، وانتقل العلم العربي إلى أوروبا عن طريق الحروب الصليبية، وعن طريق صقليا التي كانت أول من سقط من قلاع الدولة الإسلامية، ثم عن طريق الأندلس، وبخاصة بعد سقوط وانحسار الدولة العربية الإسلامية بها، وانتهاج مكاتب قصور غرناطة والزهاء واشبيلية وغيرها من البلاد الأندلسية. وكان للبعثات الأوروبية في دمشق دور في نقل وترجمة كتب ابن النفيس والاطلاع على اكتشافه الدورة الدموية والادعاء بأولوية اكتشافها لدى العديد من علماء التشريح في إيطاليا وإنجلترا وعلى رأسهم وليم هارفي، وكلهم عمل في جامعة بادوفا التي زحرت بترجمات الكتب العلمية والطبية العربية التي كان يتقنها الأطباء المترجمون. المفارقة الغريبة المحيرة هي كيف أن الأوروبيين فحضوا وتقدموا في صروح العلم بينما تراجع العرب والمسلمون عامة وتفوقوا تحت خيمة الجُمود والظلام.

لذلك لا بدّ من التركيز على الترجمة للعربية لكل ما يطرح من علوم ومنجزات وأساليب بناء وتواصل واستحداث طرق ونقل واستنباط تقنيات

جديدة يسارع بها ويحمل لواءها مجمع اللغة العربية، إضافة إلى جميع الجامعات في الأردن، فالوجع واحد، والأمل واحد، والهدف هو محاولة الوقوف من جديد بعد قعود محمد طويل كخطوة أولى قبيل السير والجري للأمام.

مجمع اللغة العربية الأردني: رؤية جديدة

الأستاذ الدكتور فتحي حسن ملكاوي

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

يتردّد على ألسنة كثير من المعنيين بحماية اللغة العربية أو الدفاع عنها والتخطيط لمستقبلها - في أحيان كثيرة - أنّ الأمر يحتاج إلى قرار سياسي، يبدأ بالتشريع المحدّد وينتهي بالتنفيذ الجادّ. الآن وقد تحقّق العنصر الأول من القرار السياسي في الأردن، وهو التشريع، بصدور قانون مجمع اللغة العربية رقم ١٩ لعام ٢٠١٥م، وقانون حماية اللغة العربية رقم ٣٥ لعام ٢٠١٥م، فقد بقي البند الثاني وهو التنفيذ الجادّ. وقد يلزم أن نستدرك بالقول إنّ التنفيذ لا يزال ينتظر استكمال بعض حلقات التشريع، ولا سيما إعداد الأنظمة والتعليمات اللازمة لتنفيذ القانونين وإقرارها.

ونحن ننظر بأمل كبير إلى تحقيق كل متطلبات التنفيذ في القريب العاجل، ومن ثمّ ننظر بأمل كبير كذلك أن يوفرّ التنفيذ الجادّ حالةً من الحيوية اللغوية على المستوى الوطني تشمل جميع مؤسسات المجتمع الأردني الرسمية والشعبية، للتعاون في الوصول بالأردن إلى المثال في الاتصاف بالعروبة لغة وثقافة، والنموذج للإنسان العربي. ومجمع اللغة العربية الأردني من جانبه يستطيع أن يدّعي أنه قادر على أن يقود خطوات التنفيذ الجادّ ويواكبها للوصول بالأردن إلى المثال المطلوب والنموذج المنشود.

الإنسان العربي: من العربية إلى العروبة

الإنسان العربي الذي نطمح أن نراه في ساحة العالم المعاصر، هو الإنسان، بقطع النظر عن العرق القومي والقبلي، ولكنه ينتمي إلى أمة واحدة

تشكلت تاريخياً قبل الإسلام، في صورة القبائل التي سكنت مناطق في الجزيرة العربية وامتداداتها شمالاً، لكنّ هذه الأمة أخذت مع الإسلام صورة أوسع نطاقاً وأعرق تكويناً حين أصبحت هُويةً ثقافية وحضارية، ارتبطت فيها لغة العرب بكتاب الإسلام، وتعرّبت فيها عناصرُ قوميةٍ أخرى لم يكن بينها وبين العرب نسب، واندمج في هذه الهوية عربٌ لم يدخلوا الإسلام. وأصبحت العروبة هوية ثقافية حضارية ارتبطت فيها العربية بالإسلام، وارتبط فيها الإسلام بالعربية، وامتد هذا الارتباط، إلى الحاضر القائم، ونزعم أنّ فصله لم يعد ممكناً في المستقبل، وليس ثمة ما يسوّغ الدعوة إلى فصله على أية حال.

هذه الهوية العربية؛ لغة وثقافة وحضارة، أساسٌ قوي لاجتماع العرب في شكل من أشكال التجمع السياسي، لا نجد بين شعوب العالم اليوم أساساً أقوى منه لأي تجمع سياسي، وهو تجمع لو تحقق فإنّه سيكون خيراً كلّهُ، وسيكون خيراً لكل مكون من مكوناته، لن يخسر أيُّ مكون فيه أيّ شيء، وسيربح الجميع. ولو تحققت نوايا الخير لدى هذه المكونات في أي شكل من أشكال الوحدة أو الاتحاد، فإنّ تجمعها سوف يستعصي على كل الضغوط الخارجية، ولن يكون من المبالغة القول إنّ ذلك سوف يضطر القوى والمكونات الأخرى في هذا العالم إلى تكييف أوضاعها، وبيني نظاماً عالمياً جديداً.

وبظهور الإنسان العربي بهويته الثقافية والحضارية، وبكيانه السياسي المتكامل، لن نكون بحاجة ماسة إلى البحث عن مقومات في التاريخ

والجغرافيا لتسويغ القول بانتساب الإنسان العربي إلى حدود جغرافية أو سياسية لم يشارك الإنسان العربي في رسمها على خرائط التجزئة المقيّنة، التي كرّست هذه الحدود وقدّستها، وعمّقت على أساسها كل صور التباعد والاختلاف.

وعود الرؤية الجديدة للمجمع

إنّ الرؤية الجديدة التي تنتظر مجمع اللغة العربية الأردني بعد مرور أربعين سنة على إنشائه، ربّما تتأسس على عدد من الوعود، ذلك أنّ إقرار القانونين المشار إليهما يمهد لإطلاق طاقة المجمع على الانتقال إلى آفاق جديدة، تمتد من حماية اللغة العربية في المجتمع الأردني من التحديات القائمة والمتنظرة، إلى الإسهام مع مجامع اللغة في المجتمعات العربية الأخرى، في تمكين العربية من استثمار الفرص المتاحة للعربية في بلاد العرب وفي ساحة العالم. ومن هذه الوعود:

١. بناء الثقة وإقامة جسور التعاون والتكامل مع المعنيين باللغة العربية

لا يستطيع مجمع اللغة العربية الأردني ولا غيره من الجامعات في البلاد العربية الأخرى أن يحتكر الاهتمام بالعربية، وليس من السهل حصر برامج الاهتمام ضمن مؤسسة واحدة تعمل في ميدانها ضمن محددات إدارية معينة. ففي كل مجتمع من المجتمعات العربية اليوم مبادرات كثيرة تهم بقضايا اللغة العربية وحمايتها، يُطلقها أفراد أو مجموعات أو مؤسسات تُفضّل العمل لأهداف محددة، وتمارس عملها بأساليب وبرامج محددة. مثل هذه المبادرات

تكشف عن طاقات مخترنة يمكن أن يُثمر توظيفها في خدمة اللغة العربية خيراً عميماً، لذلك فإنّها تحتاج إلى دعم وتشجيع. ويكفي أن نشير إلى أنّ في جامعاتنا كليات وأقساماً متخصصة في اللغة العربية وآدابها، وتشرف على برامج بحثية في قضايا اللغة والأدب، وفيها آلاف من الأساتذة والعلماء والباحثين الذين يقضون أعمارهم في الاهتمام باللغة العربية. ولو رُصد حجمُ الجهد المبذول في هذه الجامعات وأمكن التخطيط الاستراتيجي له بروح من الثقة المتبادلة مع الجامعات والمؤسسات الأخرى الناشطة في مجال اللغة، وبجسور متينة من التعاون والتنسيق، لأثمر كل ذلك من النتائج ما يسرُّ الجميع.

إن بناء الثقة وإقامة جسور التعاون بالصورة المشار إليها، سوف يتيح المجال لتوظيف البرامج التعليمية والبحثية في أقسام اللغة العربية في الجامعات الأردنية والموارد البشرية الغنية فيها، في أعمال الجمع، وسوف يتيح المجال لإدماج رؤية الجمع وأهدافه وبرامجه في خطط أقسام اللغة العربية في الجامعات.

٢. تكامل وتعاون بين أعمال الجامعات

تشارك مجامع اللغة في البلاد العربية في سعيها لتحقيق أهداف متشابهة إلى حدٍّ كبير، ولذلك تتشابه أعمالُ الجامعات في قوانينها ولجائنها وبرامجها. وتقف قدرة كل مجمع عند حدود معينة في تحقيق أهدافه في خدمة العربية بمفرده. ويمكن أن تظهر أهمية العمل العربي المشترك في مجال مجامع اللغة العربية، في تحديد الأولويات العامة للعمل الجمعي العربي، ثم لإحالة برامج محددة لكل مجمع تُحشد فيه الطاقات اللازمة للإنجاز المتميّز، الذي تكون ثمرته للأمة العربية في أقطارها كافة. صحيح أن ثمة اتحاداً لمجامع اللغة

العربية، ومكاتب للتنسيق في بعض أعمال المجامع، لكن العمل المشترك بهذه الصورة لم تظهر ثمرته بالمستوى المنشود، الذي يدفع إلى أي إنجاز متميز. ونعتقد أن ثمة فضاءً واسعاً لتطوير العمل المشترك بين المجامع، يتجاوز تبادل الخبرات، إلى اعتماد التعاون والتكامل في البرامج، وتوظيف الطاقات العلمية المتوفرة في كل مجمع لأي برنامج مشترك يحتاج إليها. فمثلاً يمكن للمجمع واحد أن يعد معجماً بمصطلحات علم معين، يصبح المعجم العربي الموحد لمصطلحات ذلك العلم، وفي الوقت نفسه يقوم مجمع آخر بإعداد المعجم العربي الموحد لعلم آخر. وكل مجمع يأخذ بالحسبان الكفاءات العلمية المتاحة لدى المجامع الأخرى، ويصبح كل معجم معتمداً من سائر المجامع.

٣. توفير متطلبات الترجمة إلى العربية

في البلاد العربية عدد من مجامع اللغة العربية،^(١) وفي كل منها برامجُ لترجمة بعض الأعمال العلمية في التخصصات المختلفة إلى اللغة العربية، وفي كل منها كذلك لجانُ لوضع مصطلحات علمية في العلوم المختلفة. وفي البلاد العربية مئات الجامعات،^(٢) يعمل فيها آلاف من أعضاء هيئة التدريس ويقومون بكثير من أعمال الترجمة وصناعة معاجم المصطلحات، وتقدرُ

١. في مصر، والعراق، وسوريا، والأردن، والجزائر، والسودان، واليمن، والمغرب، وتونس، وفلسطين، ولبنان، وليبيا. وثمة مجمع في حيفا من فلسطين المحتلة، ومجمع في مكة المكرمة، على الشبكة العنكبوتية، ومجمع افتراضي آخر في السعودية. ومؤسسات أهلية متعددة أخرى تقوم بما تقوم به المجامع.

٢. بلغ عدد الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية ٢٧٦ جامعة، انظر الموقع الرسمي على الرابط الآتي، استرجعت البيانات يوم ٢ حزيران (يونيو) ٢٠١٦ :

<http://www.aaru.edu.jo/Lists/ArabUniversities/Countries>.

أما العدد الكلي للجامعات فتشير البيانات غير الرسمية المدونة في الإنترنت إلى ما يزيد على ٤٥٠ جامعة.

أعمالهم بأضعاف ما تقوم به الجامعات في المجال نفسه. ولو حسبت الكلفة المالية اللازمة لإنشاء جامعة واحدة متوسطة الحجم، لكانت قريبة من كلفة إنشاء مؤسسة واحدة على المستوى الإقليمي العربي تتولى ترجمة ملخصات العلوم والمعارف في التخصصات المختلفة التي تصدر شهرياً باللغات العالمية الرئيسية، إلى اللغة العربية بطريقة دورية منظمة. ولو اشتركت معظم الجامعات العربية في الحصول على هذه الترجمات مقابل عائد مالي مناسب، لغطت هذه الاشتراكات كلفة تشغيل هذه المؤسسة، وضمنت لها الاستمرار والنمو والتطور. وبهذه الطريقة سيكون من الميسور على أعضاء هيئة التدريس الجامعي وطلبة الدراسات العليا في كل تخصص الاطلاع على أهم ما يصدر في تخصصاتهم باللغات الأخرى، دون الحاجة إلى أن يتخصص كل منهم في أية لغة منها. وسوف تكون ترجمة هذه الملخصات مؤشراً على البحوث التي يلزم ترجمتها ترجمة كاملة، حين تكون هذه البحوث مهمة للبناء عليها في برامج البحث والتطوير.

وهذه رؤية لمسألة واحدة من المسائل تدفع حجة المصيرين في بلاد العرب على تدريس العلوم بغير العربية، وحلها هو ما تقوم به كل دول العالم التي تصرّ على التدريس بلغتها، وفي الوقت نفسه توفر لكوادرها العلمية فرص الاطلاع على ما يصدر باللغات الأخرى بصورة دورية منتظمة تجعلهم يواكبون التطور العلمي ويسهمون فيه.^(١) وقد قام مشروع الترجمة في اليابان

١. لتأكيد أهمية إنشاء مؤسسة عربية لترجمة العلوم الصادرة باللغات العالمية الرئيسية إلى العربية بصورة دورية منتظمة (يفضل أن تكون شهرية)، وضمان استمرار عمل المؤسسة من خلال اشتراكات الجامعات ومراكز البحث، وغيرها، يقترح كاتب هذه السطور القيام بدراسة جدوى، لبيان قيمة النتائج الرئيسية التي يمكن لهذه المؤسسة أن تحققها، إضافة إلى قيمة الفوائد الجانبية الخاصة بتطوير الموارد البشرية، وتوظيف المواد المترجمة في برامج التنمية الأخرى في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

على هذا الأساس، فلا تجد مادة علمية مفيدة للباحثين اليابانيين إلا وقد توفرت لهم بلغتهم. وأصبحت الترجمة عنصراً أساسياً في تحقيق التفوق العلمي والصناعي الياباني.

مثل هذا المشروع، لا يعني بالضرورة إلغاء الحاجة إلى دراسة اللغات الأجنبية، بل العكس هو الصحيح؛ إذ سوف تزداد الحاجة إلى الموارد البشرية القادرة على إتقان اللغات الأخرى لأسباب كثيرة أخرى تقدّر بقدرها، فالعمل السياسي والدبلوماسي، والنشاط الاقتصادي التجاري، والترويج الثقافي والسياحي، والتدافع الفكري والحضاري، وغيرها من هذه المجالات تحتاج كلها إلى موارد بشرية متخصصة تتقن عدداً من اللغات الأخرى، بدرجات متفاوتة.

وهذا المشروع لا يعني بالضرورة عدم الحاجة إلى تدريس لغة أجنبية في برامج التعليم العام بوصفها لغة أجنبية، وربما أكثر من لغة، فهذه الحاجة هي جزء من أهداف التنمية الثقافية للمواطن العربي، فكل لسان في الحقيقة إنسان!

٤. فرص تعميم العربية الموحدة للحدّ من أثر اللهجات المحلية في بلاد

العرب

إنّ طموح "الشعوب" العربية إلى الوحدة ليس موضع شك، ومفهوم الأمة العربية مفهوم أصيل في وجدان هذه الشعوب، ومن المؤكد أنّه طموح عابر للحدود السياسية القائمة بين "الدول" العربية. وعلى الرغم من التفاوت

الكبير أحياناً في اللهجات المحكية في الأقطار العربية المختلفة، بصورة تحدُّ من فرص التفاهم بين العرب اعتماداً على لهجاتهم المحلية، فإنَّ اللسان العربي السليم باللغة المكتوبة والمقروءة هو الوسيلة السهلة المتاحة للتفاهم والتواصل بين كلِّ العرب. فلمَ لا تطرح مجامعُ اللغة العربية مبادرات تحدُّ من استعمال اللهجات المحلية، على الأقل في وسائل الإعلام المحلية في كل قطر عربي، لتتيح المجال لتذوق لغة عربية واحدة موحَّدة؟ والطموح هنا قد لا يصل إلى إزالة اللهجات تماماً، بل يكفي أن يقف الطموح عند الحدِّ من تعزيز هذه اللهجات المحلية التي أخذت للأسف الشديد تغزو وسائل الإعلام في كل بلد، حتى أصبح الفتى العربيُّ في بلادنا غريبَ الوجهِ واليدِ واللسان!

فجمال العربية ومنتعة الكلام بها، أخذ يتراجع نتيجة لعدد من العوامل، ومنها:

- طغيان اللهجات المحلية بصورة مبرمجة ومقصودة أحياناً،
- سيادة لغة المستعمر القديم التي تعد لغة أولى في بعض بلدان العرب،
- زحف اللغات الأجنبية إلى لغة الخطاب اليومي عبر وسائل الإعلام الأجنبية التي يستمع إليها ويشاهدها كثير من العرب.^(١)

١. هذه مناسبة للاستدراك بالقول إنَّ بعض وسائل الإعلام الأجنبية تحرص على استعمال العربية الفصيحة أكثر بكثير من معظم وسائل الإعلام العربية. فمن الضروري الوعي الكامل على وتيرة التحول الجارية في كثير من وسائل الإعلام العربية للتنازل عن القليل الذي تملكه من اللغة العربية السليمة، ولعلَّ أحد الباحثين يجري دراسة علمية حول هذا الموضوع، ويبين النتائج المترتبة على ذلك.

وقريباً سوف يكون بالإمكان الاستماع إلى إذاعة مجمع اللغة العربية الأردني، تبثُّ برامجها عبر موجات إف إم داخل الأردن، وعبر الشبكة العنكبوتية. وتعدُّ هذه المبادرة الأولى من نوعها على مستوى الوطن العربي. الأمل كبير أن تقدم الإذاعة أنموذجاً من الخطاب الإعلامي المتميز ليس في موضوعاته وحسب، وإنما بلغة سليمة ومشوقة، تجذب فئات المجتمع العربي بجمالها ووضوحها. وربما تكون هذه المبادرة أساساً لمبادرات مماثلة لدى الجامعات العربية الأخرى، وربما يتسع هذا المشروع ليصبح مشروعاً مجتمعياً عربياً موحداً.

٥. مساعدة الراغبين في دراسة اللغة واعتمادها لغة أولى أو ثانية في بعض المجتمعات الإسلامية

كثيراً ما شهدنا مناسباتٍ يتمنّى فيها الإنسان المسلم غير العربي لو كان عربياً، أو لو نشأ في بيئة عربية، حتى يتمكن من فهم القرآن الكريم وقراءة التراث الإسلامي في سائر العلوم باليسر والسهولة المتاحة للعربي! وسمعنا عن حالات سعت فيها بعض المجتمعات المسلمة غير العربية أن تعتمد العربية لغةً أولى، فلم تجد العون الكافي من العرب!^(١)

١. هاتان مناسبتان للاستدراك، فالأمر في المسألتين المشار إليهما يحتاج إلى توثيق، وربما يلزم فيه كذلك إجراء دراسة علمية تكشف عن حقيقة مشاعر المسلمين من غير العرب تجاه اللغة العربية. لكن الذي نعرفه أن الطلبة المسلمين من غير العرب من آسيا وأفريقيا، الذين يحرصون على دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية وإتقانها في البلدان العربية للقيام بوظائف دينية وتعليمية في بلدانهم يعدّون بعشرات الآلاف، وأعدادهم كانت دائماً آخذة بالتزايد.

ترى ما الذي يمكن أن تقوم به مجامع اللغة العربية من برامج ومبادرات في هذا الشأن؟

قد لا تكون هذه القضية من أولويات عمل المجامع، لكن الفرص التي تتيحها رغبة المسلمين من غير العرب في إتقان العربية، هي من الأهمية الاستراتيجية على المستوى الوطني والعربي والإسلامي والعالمي، بحيث تصبح الخسارة المتحققة من عدم استثمار هذه الفرص، أكبر من أن تُعوَّض بأيّ عمل آخر. ومن هنا تأتي أهمية حشد الطاقات اللازمة، ليس لاستثمار الفرص عندما تلوح وحسب، بل لإيجاد هذه الفرص كذلك! وأيُّ تخطيط لإيجادها يحتاج إلى حضور الخبرات اللازمة وتكاملها؛ خبرات المجامع اللغوية إضافة إلى خبرات السياسة والاقتصاد وغيرها.

لقد تجذر البعد الديني في تاريخ العرب وأسس هذا البعد لانتشار العربية، فقد كان لله حكمة في اختيار العرب لحمل آخر رسالة إلهية إلى سائر البشر، وفي اختيار العربية لتكون وعاءً لهذه الرسالة؛ لما لها وفيها من مزايا لا توجد في غيرها، والله أعلم حيث يجعل رسالته. ولا يزال المؤمنون بهذه الرسالة ينظرون إلى العرب حملةً لهذه الرسالة وينتظرون منهم أن يتسنّموا مكانة القيادة والريادة، وينظرون إلى اللسان العربي نظرة قداسة، ويشعرون بالبركة تحلّ عليهم من كل كلمة ينطقونها بذلك اللسان المبين!

يقول الشافعي: "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسانٌ غير نبيٍّ، ولكنه لا يذهبُ منه شيء على عامّتها، حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه." (١)

١. الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ). الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة: مطبعة

مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٨، ص ٤٢.

"وأولى الناس بالفضل في اللسان مَنْ لسانه لسانُ نَبِيٍّ. ولا يجوز والله أعلم، أن يكون أهلُ لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد، بل كلُّ لسان تَبِعُ لِلسانه." (١)

٦. استثمار رغبة الآخرين في تعلم العربية لأسباب سياسية واقتصادية

ثمّة ادّعاء يتكرر التعبير عنه بين الحين والآخر، بأن المجتمعات العربية تعاني من كثير من مظاهر التخلف، بالقياس إلى الإمكانيات الهائلة للنهوض والتقدم المتوفرة في هذه المجتمعات، وبالقياس إلى ما حققته المجتمعات الأخرى التي لا تملك ما تملكه المجتمعات العربية من إمكانيات. ويمتد هذا التعبير عن واقع المجتمعات العربية إلى القول بأن هذا الواقع ينعكس على حالة اللغة العربية، ومستوى الحاجة إليها لدى العرب ولدى الآخرين.

ويمكن إقامة جدل حول درجة الحق في هذا الادعاء، لكن الذي يلزم أن يحضر في هذا الجدل هو ادعاء آخر يلاحظ تزايد الرغبة في تعلم اللغة العربية عند غير العرب وغير المسلمين، ولا سيّما في ربع القرن الأخير. وإن صحَّ هذا الادعاء فربما نلاحظ أنَّ الأمر لا يختصُّ بحالة التقدم أو التخلف في المجتمعات العربية، بقدر ما يختصُّ بأسباب استراتيجية؛ سياسية واقتصادية. فحاجة العرب إلى استيراد الكثير من المنتجات من بلدان أخرى، يجعل المجتمعات العربية سوقاً واسعة تنهات عليها الدول والشركات الأجنبية، فتحتاج هذه الشركات إلى التنافس في تعلم العربية لتتقن أساليب الترويج والتفاوض اللازمة لدخول السوق. وخريطة أرض العرب تمتلك أهمية

١. الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ). الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة: مطبعة

مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٨، ص ٤٦.

استراتيجية تحاول معظم القوى السياسية في العالم أن يكون لها حضور مؤثر فيها، وفي هذا المجال يمكن لدراسة علمية أن توثق وجود مراكز ومعاهد لتعليم العربية تابعة للمؤسسات العسكرية والدبلوماسية والإعلامية في كثير من دول العالم، فضلاً عن الأعداد المتزايدة من الدارسين الذين ترسلهم هذه المؤسسات إلى البلاد العربية لتعلم العربية.

وقد ألفنا أن نلاحظ سفراء الدول الأجنبية في البلاد العربية وغيرهم من المسؤولين في سفاراتهم عن الشؤون الثقافية والتجارية، يتحدثون العربية بطلاقة عندما تتوجه إليهم أجهزة الإعلام المحلية في البلاد العربية طلباً لخبر أو تعليق.

ومرة أخرى نتساءل ألا تجد هذه الحاجة إلى تعلم العربية عند غير العرب وغير المسلمين -لهذه الأسباب السياسية والاقتصادية- مسوغاً لتحرك المؤسسات ذات الصلة باللغة العربية من أجل تعزيز حضور العربية في عالم اليوم، والبحث عن صور لاستثمار هذا الحضور؟! وإذا كانت هذه المسألة تحتل أهمية وطنية وقومية، أفلا يمكن أن تكون مجامع اللغة العربية مدعوة للإسهام في التخطيط والبرمجة والتوظيف؟!

هذه خواطر دعا إليها النظر في خبرة مجمع اللغة العربية الأردني بعد أربعين سنة من تأسيسه، وتقويم الجهود التي بذلت تحت مظلة المجمع وتستحق أن يُقدّم لكل من شارك فيها الشكر والعرفان. ولكنّها في الوقت نفسه آملٌ وطموحات لفتح آفاق جديدة تتجاوز قدرة المجمع في حدود خبراتها السابقة، وتتجاوز حدود القطر الذي يعمل فيه كل مجمع، هي آفاق يكون لمجامع اللغة العربية إسهام في نقل أمانة الاهتمام بالعربية إلى أمة العرب، لتكون العربية أداة في وحدة الأمة، ولتحمل هذه الأمانة إلى العالم.

مجمع اللغة العربية الأردني وتحقيق التراث

(*)
الأستاذ الدكتور سمير الدروبي

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

مما لا ريب فيه أن تحقيق التراث العربي مهمة علمية جلييلة، وعمل أكاديمي خالص يقتضي من علماء الأمة النهوض به وإنجازه وفقاً لأدق المعايير العلمية المتبعة في تحقيق النصوص ونشرها.

وتحقيق النصوص القديمة عمل علمي شاق يحتاج إلى معرفة عميقة بموضوع النص، ويحتاج أيضاً إلى علم بلغة عصره وأسلوب كاتبه، ويتطلب من الباحث صبراً وجلداً، ووقتاً وكداً، وسهراً وسفراً، وإيماناً بما يقوم به.

إن تحقيق التراث ونشره وحمايته والإفادة منه، عمل مقدس يحافظ به على تراث الآباء والأجداد، خوفاً عليه من الاندثار والضياع وبخاصة تراثنا العربي والإسلامي الذي دُمرت كمية كبيرة منه على يد الصليبيين والتتار، وما زال التدمير قائماً حتى الساعة، ألا نذكر كيف دمر الغزاة الجدد مكتبة بغداد الوطنية العظيمة، وهو أمر لا يقل عن جرائم المغول وجرائمهم في حق الكتاب العربي والحضارة الإنسانية، ولا يقل خطراً عما فعله الهمج الهامج من الصليبيين الذين دمروا مكتبات القدس ومعرة النعمان، ومكتبة طرابلس العظمى إبان تلك الحروب الظالمة المعروفة عند الغرب باسم الحروب الصليبية.

(*) عضو عامل في مجمع اللغة العربية الأردني وأستاذ زائر في جامعة أم القرى بمكة المكرمة (كلية

اللغة العربية/ قسم الأدب).

لقد أدرك علماءنا القدماء مشقة تصحيح النصوص، وصعابة العمل فيها، يقول الجاحظ: "ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحاً، أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حُرّ اللفظ، وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام"^(١).

وعلاوة على ذلك، فإن العرب قد وضعوا شروطاً دقيقة لتصحيح الكتب وتحقيقها، خوفاً عليها من مفسد السقط، وآفات التحريف والتصحيف، والتشويه والنحل، مما يدل على علمهم الدقيق بمناهج تحقيق النصوص وضبطها^(٢).

ومنذ خمسمائة عام، وبلاد العرب والمسلمين مهددة بالاحتلال القادم من الشرق والغرب على حدّ سواء، وفي ظلال الغزو الاستعماري الذي ما زال مستمراً حتى الساعة، قامت حركة الاستشراق التي هي بمثابة الذراع الثقافية للغزاة، إلا أن هذه الحركة قد خدمت التراث العربي جمعاً لمخطوطاته، وفهرسة لها، وتحقيقاً لكثير منها، وترجمة لبعض مصادره للغات الأوروبية،

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٧٧١م): الحيوان. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط ٢، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥: ٧٩/١.

(٢) انظر: ابن جماعة، بدر الدين (ت ٧٣٣هـ): تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم. دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ: ص ١١٨-١٣٠. وانظر: سمير الدروبي: الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي. ط ١، مركز الملك فيصل لبحوث الحضارة الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٨م. وانظر: سمير الدروبي، "الرعاية وأثرها في منهجية تحقيق النصوص المترجمة في العصر العباسي"، أبحاث مؤتمر تحقيق التراث الذي عقدته مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

وهو العمل الذي قام به العلماء المخلصون للتراث الإنساني من المستشرقين، يقول شيخ المحققين عبدالسلام محمد هارون في محاضرته التي ألقاها في مجمع اللغة العربية الأردني في موسمه الثقافي الأول عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: "ولقد نبغ من بين هؤلاء المستشرقين علماء أمناء، قاموا بنشر عيون ثمينة من التراث العربي في أمانة اقتبسوها من أسلافنا، مقرونة بعناية خاصة في صنع الفهارس الغنية...."^(١).

وقد أدرك مجمع اللغة العربية الأردني -منذ مولده- القيمة العلمية الكبرى لتحقيق كتب التراث ونشرها، وعرف أهمية بعث الكنوز العلمية الأصلية ووضعها بين الباحثين والقراء، خدمة للغة العرب، وخوفاً على هذا التراث من الاندثار والسقوط من يد الزمان، ولذا فإن لجنة التراث في المجمع كانت واحدة من اللجان المشكلة فيه منذ تأسيسه قبل أربعين عاماً (١٣٩٥هـ/١٩٧٦م)، وقد قدمت هذه اللجنة كثيراً من المشاريع والاقتراحات، منها ما تم تنفيذه، ومنها ما تم إرجاؤه، أو رده، وفقاً لمقدرات المجمع وإمكانياته المادية والفنية.

ومما هو جدير بالذكر، أن لجنة التراث في المجمع قد تقدمت باقتراح تأسيس مركز علمي لغاية العناية بالتراث، وقد حددت أهداف هذا المركز بأنها تتجلى في: جمع التراث وتحقيقه ونشره بين الناس، وفي تدريب المحققين،

(١) عبدالسلام محمد هارون: "تجربتي مع التراث العربي"، محاضرة ألقاها هارون ضمن محاضرات الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني: ١٩٨٣: ص ١٠١-١٢٨.

وفي التواصل والتعاون مع المؤسسات العلمية المهمة بتحقيق التراث، وفي تشجيع الباحثين على الاهتمام بالتراث^(١).

وفوق ذلك، فإن المادة (٤) من قانون مجمع اللغة العربية الأردني رقم (١٩) لسنة ٢٠١٥م/١٤٣٦هـ والمنشور على الصفحة رقم (٥٣٠٩) من عدد الجريدة الرسمية رقم (٥٣٤١) بتاريخ ٢٠١٥/٥/١٧ قد نصت في بندها (د) ص ٥ على أن "إحياء التراث العربي والإسلامي" واحد من أهداف المجمع الأساسية التي يسعى إلى تحقيقها.

ومما يستحق التنويه، أن جميع قوانين المجمع السابقة على قانون رقم (١٩) لسنة ٢٠١٥م، تنص على أن تحقيق التراث من الأهداف الأساسية للمجمع، وقد ورد ذلك في القانون المؤقت رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦م، وفي القانون المؤقت المعدل رقم (٥) لسنة ١٩٨٨م، ثم في القانون المعدل رقم (٣٤) لسنة ١٩٩٢م، ثم في القانون المعدل رقم (٨) لسنة ١٩٩٩م.

وبناء على ما سلف ذكره، فإن الرائد لجهود مجمع اللغة العربية الأردني في تحقيق التراث ممثلة في إصداراته، وفي الجهود البحثية لأعضائه، يجد أن هذا المجمع قد خدّم قضية تحقيق التراث العربي والإسلامي خدمة كبيرة على الرغم من جهود المجمع التي كرست منذ إنشائه في عام ١٩٧٦م، إلى تعريب كتب العلوم المقررة في أرفع الجامعات العالمية من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، وإلى تأليف الكتب المدرسية، إلى الاهتمام بقضايا اللغة العربية، إلى غير ذلك من الأعمال الكثيرة المنوطة بالمجمع الموقر.

(١) انظر: مجمع اللغة العربية الأردني، التقرير السنوي سنة ٢٠٠٥م، ص ٤٧-٤٨.

ويمكن للدارس لنشاط المجمع في تحقيق التراث أن يقسمها إلى أربعة مطالب أساسية - وإن كانت هناك مطالب أخرى لا تحتل هذه المقالة عرضها وبسطها-:

المطلب الأول- من جهود أعضاء المجمع في تحقيق التراث.

المطلب الثاني- إعداد المجمع لفهارس المخطوطات ونشرها.

المطلب الثالث- دور مجلة مجمع اللغة العربية الأردنية في خدمة التراث وتحقيقه.

المطلب الرابع- الكتب المحققة التي نشرها المجمع.

المطلب الأول- من جهود أعضاء المجمع في تحقيق التراث.

ضم المجمع منذ قيامه وحتى وقتنا الحاضر عشرات الأعضاء من الأردنيين ومن إخوانهم العرب، منهم ما زال حياً، ومنهم من ذهب إلى الآخرة، ورحم الله أولئك الرجال الذين كانوا حماة لتراث أمتهم، وسدنة لحضارتها وأدبها وتاريخها، ومنهم: عبدالعزيز الدوري، وعبدالكريم غرايبة، وأحمد سليم سعيدان، وناصر الدين الأسد، ومحمود إبراهيم، وغيرهم من السابقين المجلين في ميدان التراث الإسلامي.

ولأعضاء المجمع سواء أكانوا من العاملين، أم من المؤازرين، أم من أعضاء الشرف، جهود كبيرة ومباركة في تحقيق التراث العربي والإسلامي ونشره، ولا غرو في ذلك، فهم من صفوة علماء الأمة في تخصصاتهم التي شملت: اللغة والأدب، والعلوم الإسلامية، والتاريخ، والفيزياء، والطب والرياضيات والفلك، والتربية وعلم النفس، واللغات وغيرها.

وكانت اهتمامات الجمعيين في تحقيق التراث انعكاساً واضحاً لتخصصاتهم العلمية، واهتماماتهم المعرفية، وقد برزت هذه الجهود التي عرفها القراء والباحثون من خلال ما أصدره أعضاء الجمع في الموضوعات التالية:

أ- الرياضيات والهندسة والفلك:

لقد ترك العرب تراثاً علمياً ضخماً في العلوم، ومنها الرياضيات والهندسة التي ما زالت أكثر مخطوطاتها محبوسة حتى الآن، وقد نهد لمهمة تحقيق كتب الرياضيات والهندسة المرحوم العلامة أحمد سعيدان عضو الجمع، الذي أمضى زمناً طويلاً في درسها وتحقيقها، وتعريف الناس بها، نذكر منها:

١- المنازل السبع لأبي الوفاء البوزجاني (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م):

وقد صدر الكتاب في عمان سنة ١٩٧١م، وقد اشتمل الكتاب إضافة إلى النص المخطوط على مقدمة ودراسة بالمقارنة بكتاب "الكافي في الحساب لأبي بكر الكرجي الحاسب"، وحدد سعيدان هدفه من إصدار هذا الكتاب قائلاً: "وهذا هو الكتاب الأول من سلسلة أنوي أن أقدم فيها علوم الحساب العربي كما كانت في العهد الإسلامي، وأن أجلو مراحل تطورها على أيدي علماء الإسلام، وأحدد ما للحضارات الأخرى من فضل على الفكر الرياضي العربي، وما للعرب من فضل على علم الرياضيات العالمي"^(١).

(١) سعيدان، أحمد، تاريخ علم الحساب العربي، جمعية المطابع التعاونية، عمان ١٩٧١م (التصدير).

٢- المقالات في علم الحساب لابن البناء المراكشي المتوفى سنة (٧٢١هـ / ١٣٢٣م):

وقد نشره أحمد سعيدان اعتماداً على مخطوطة السليمانية ذات الرقم ٢٧٢٠، واشتمل الكتاب إضافة إلى النص المحقق على تعليقات ومقدمة تاريخية، وصدر عن دار الفرقان في عمان سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٣- رسائل ابن سنان، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة البغدادي المتوفى سنة (٣٣٥هـ / ٩٤٦م)، وقد نشر سعيدان ضمن هذه المجموعة من رسائل ابن سنان سبع رسائل:

الأولى: في وصف المعاني التي استخرجها في الهندسة وعلم النجوم.

الثانية: في رسم القطوع الثلاثية والمقصود بذلك القطوع المخروطية/ المكافئ والناقص والزائد.

الثالثة: في مساحة المخروط المكافئ.

الرابعة: في طريقة التحليل والتركيب وسائر الأعمال في المسائل الهندسية.

الخامسة: في مسائل ابن سنان المختارة.

السادسة: في حركات الشمس.

السابعة: في الإسطرلاب، وهي رسالة قدمها إلى أبي يوسف، الحسن بن إسرائيل في الإسطرلاب.

وقد اعتمد سعيدان في نشرته الجلييلة لهذه الرسائل الطريفة في موضوعاتها على النسخة الفريدة المحفوظة في مكتبة بانكي بور/ بتنه في الهند، ورقمها

(٢٤٦٨)، وعلى النسخة المطبوعة من رسائل البيروني وابن سنان في حيدر
أباد الدكن عام ١٩٤٨م.

وبيّن لنا أحمد سعيدان منهجه في تحقيق الرسائل المذكورة آنفاً، وذلك في
قوله: "وطريقي في تحقيق هذه الرسائل بسيطة: أحافظ على النص سليماً من
التغيير إلا ما لزم، وأتخاشى أن أثقله بالحواشي إلا عند الضرورة القصوى،
فإذا وجدت خطأ لغوياً، فقد أصححه بصمت، إذا بدا لي أنه خطأ من
الناسخ، وقد أبقيه إذا لمست فيه لهجة المؤلف، أو لمحت صورة عن موقف له
تجاه القواعد اللغوية، وإذا وجدت خطأ رياضياً في حرف، أو رقم، صححته
أيضاً بصمت باعتباره من أخطاء الناسخ، إلا إذا كان خطأ في المبدأ، لا ينجم
عن مجرد سهو أو تسرع من الناسخ.

إنني، باختصار، لا أُلجأ إلى الحواشي إلا حيث ألمس أكثر من وجه واحد
 للقراءة، فهناك أثبت في النص القراءة التي أرجحها، وأشير في الهامش إلى
القراءات الأخرى الممكنة، وأبرر ما أرجحه.

هذا شأني فيما سبق أن حققته من مخطوطات، وهو شأني هنا بوجه
خاص، ودفعني إليه الضرورة، إذ لو استعملت الهامش للإشارة إلى كل
تصويب لكانت الهوامش أكثر من الأصل"^(١).

وكلام سعيدان ينم عن منهجية جليلة بينة المعالم، واضحة الطريق في
إخراج النصوص الرياضية والفلكية والهندسية، ويكشف لنا عن معرفته

(١) ابن سنان، أبو إسحاق إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م)، رسائل ابن

سنان: تحقيق: أحمد سليم سعيدان. ط ١، الكويت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ص ١٢-١٣.

الدقيقة لما يحققه من نصوص علمية من جانب، ويدل على تبحره بلغة العلم عند العرب، مما يسهل عليه كشف خطأ الناسخ وسهوه من خطأ المؤلف من جانب ثانٍ.

وعلاوة على ذلك، فإن منهج سعيدان ينبئ أيضاً عن تواضع الرجل فيما يصححه من أخطاء النصوص، واقتناعه بضرورة عدم إغراق النصوص العلمية بالحواشي والتعليقات؛ لأن هدفه الأول والأخير هو تفهيم القارئ، وتبسيطه بلغة العلم العربي السهلة الواضحة التي ليس بينها وبين أذن القارئ أدنى حجاب أو حاجز، بل هي أسرع إلى القارئ من منحدر سائل كما يقال.

ومثال ذلك ما ذكره ابن سنان في الرسالة الرابعة "في طريق التحليل والتركيب وسائر الأعمال الهندسية": "أما الطريق الذي يسميه المهندسون تحليلاً، فقد أومأنا إليه، وأتينا بمثالات عليه، وكررنا القول فيه مراراً، وقد ينبغي أن يعلم أن بعضاً يطعن على هذا الطريق، ويقول: إنهم إذا ركبوا، ظهر في التركيب ما لم يكن له في التحليل ذكر، بل إنما سبيل التحليل والتركيب إنما هو في الترتيب فقط، بل هذا كأنه ذاك معلوماً^(١)".

ولعل من المفيد إيراد مثال آخر من مقدمة ابن سنان لرسالته "في حركات الشمس" للتدليل على أن العلم العربي مبني على الملاحظة والرصد العلمي الدقيق، وعلى التجريب، وعلى تكرار التجربة حتى تثبت صحتها، وهو المنهج العلمي القويم الذي عرفه الأوروبيون بعد دراستهم في جامعات

(١) ابن سنان، أبو إسحاق إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م)، رسائل ابن سنان: تحقيق: أحمد سليم سعيدان. ط ١، الكويت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ص ١٢٦-١٢٧.

الأندلس، وهو المنهج الذي أدى إلى النهضة العلمية الحديثة في أوروبا بعد أن ترجم الأوروبيون كتب العلم العربي إلى لغاتهم، وأفادوا من نتائجها العلمية التي أصبحت لهم ركائز للتطوير والإبداع العلمي، بل إن منهم من انتحل نتائج العلم العربي ونسبها إلى نفسه.

يقول ابن سنان: "قد كان في عزمي تأخير إنشاء هذا الكتاب إلى أن أرصد الشمس أرساداً متصلة، فيكون ما أضمنه إياه ما لا أشك فيه، وما يوجه الرصد، وللنظر في هذه الأمور على حسب ما تستحقه، واتصلت علينا نكبات من جهة السلطان، تحول بيننا وبين مواضع عملنا على الرصد فيها....^(١)".

ومما يدل على حب سعيدان لتراث أجدادنا العلمي، أنه بذل جهداً كبيراً في ترجمة كثير من نصوص هذه الرسائل ومسائلها إلى اللغة الإنجليزية، مما يقرّبها إلى قطاع واسع من العلماء العارفين بهذه اللغة، ولا سيما أنها تنصدر لغات العالم في عصرنا، إذ هي لغة العلم الأولى لقوة نفوذ الدول الناطقة بها، علماً بأن العربية قد سبق لها أن تربعت على عرش لغة العلم في العالم مدة ألف عام، وأصبحت مصادر العلم لا تعرف إلا عن طريق لسان العرب.

وفوق ذلك، فإن سعيدان قد نشر كتباً ورسائل أخرى في علم الحساب والمساحة والجبر والهندسة في مجلة معهد المخطوطات العربية وغيرها، وجهود

(١) ابن سنان، أبو إسحاق إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرّة (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م)، رسائل ابن

سنان: تحقيق: أحمد سليم سعيدان. ط ١، الكويت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ص ٢٧٥.

الرجل في نشر التراث العلمي العربي في مجالي الرياضيات والهندسة كبيرة وعظيمة ولها كل الإجلال والاحترام ممن يقدرّون العلم ويعرفون فرسانه وحماته، ورجاله ورهبانه^(١).

ومما نشره أعضاء المجمع من كتب العلوم العربية:

– "طريقتان لحساب ميل فلك البروج من استخراج محمد بن الصباح".

وقد نشر هذا النص واحد من أعضاء المجمع المهتمين بنشر كتب الحساب والرياضيات العربية وهو عبدالمجيد نصير في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني سنة ١٩٨٢م.

ونشر نصير أيضاً رسالة قصيرة لأبي سهل القوهي في مجلة معهد المخطوطات العربية/ المجلد التاسع والعشرون، الجزء الأول، ١٩٨٥م، بعنوان:

– "رسالة في مساحة المجسم المكافئ"^(٢).

ولعل من المفيد ذكره في حق هذا الرجل أنه يجاهر بتعليم العلوم والمعارف الحديثة بلغة العرب في الجامعات، وهو لا يدرس مادة تخصصه –الرياضيات–

(١) سعيدان، أحمد: تاريخ علم الحساب العربي، جمعية المطابع التعاونية، عمان ١٩٧١م (التصدير).

(٢) انظر: نصير، عبدالمجيد، حول جهود المحققين الأردنيين في إحياء التراث العلمي، موقع عبدالمجيد نصير على الشبكة.

إلا باللغة العربية في الوقت الذي أغرق فيه طوفان الإنجليزية لغة العلم في الجامعات العربية، وكثر أشياعها وأتباعها الذين يهرفون بحبها، ويلهجون بالدفاع عن تدريس العلوم بها، فويل لهم من تاريخ أمتهم!!

ب- التاريخ والسير والتراجم:

وجهود الجمعيين في هذا الميدان ضخمة وممتدة عبر أكثر من ستة عقود، ومن الأمثلة على ذلك:

١- "أنساب الأشراف":

لأحمد بن يحيى البلاذري الذي نشر أحد أسفاره المرحوم عبدالعزيز الدوري وصدر عن جمعية المستشرقين الألمان.

٢- "أخبار الدولة العباسية":

لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري، ونشره الدوري بالاشتراك مع عبد الجبار المطلي اعتماداً على مخطوط فريد في مكتبة مدرسة الإمام أبي حنيفة النعمان ببغداد، وصدر الكتاب عن دار الطليعة في بيروت عام ١٩٧١م.

٣- "تاريخ مدينة السلام":

للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، وقد حققه بشار عواد معروف، وصدر عن دار الغرب الإسلامي في بيروت عام ٢٠٠١م، وقد وصف المرحوم صالح العلي رئيس الجمع العلمي العراقي الأسبق عمل بشار عواد بأنه: "طبعة جديدة للكتاب، اعتمدت على العدد المتيسر من هذه المخطوطات، تتميز باستيعاب ما جاء في هذه المخطوطات، مما يصلح عيوب

الطبعة القديمة، ويستدرك السقط الكثير الواقع فيها، ويُقوم ما وقع فيها من تصحيف وتحريف، وأرفقها بفهارس غنية يقدر أهميتها المشتغلون في العلم، وكتب لها مقدمة واسعة تكون بحد ذاتها كتاباً مستقلاً^(١).

ثم أردف بشار عواد عمله السابق بتحقيق كتاب "ذيل تاريخ مدينة السلام" لأبي عبدالله محمد بن سعيد الدبشي، وصدر عن دار الغرب الإسلامي في سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٤- "وجيز الكلام في الذيل على دُول الإسلام":

لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، وحققه بشار عواد معروف بالاشتراك مع عصام الحرساني، وأحمد الخطيمي، وصدر عن مؤسسة الرسالة في بيروت عام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

والكتاب ذيل على التاريخ الكبير الموسوم بـ"دول الإسلام" لشيخ المؤرخين الذهبي الذي خدمه بشار عواد بدراسات وافية، وتحقيقات كثيرة.

٥- "الحوادث":

لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري، وقد أصدره بشار عواد بالاشتراك مع عماد عبدالسلام، وهو من مطبوعات دار الغرب الإسلامي في بيروت في عام ١٩٩٧م.

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ). تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قضاة العلماء من غير أهلها ووارديها. حققه وضبط نصه بشار معروف عواد، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج ١، ص ٥.

والكتاب على درجة كبيرة من الأهمية، لأنه يكشف لنا عن حقائق دامغة وخطيرة في تأمر الوزير الرافضي ابن العلقمي الذي جاء بالتتار، ومكنهم من اجتياح بغداد، وتدمير حضارتها الزاهية، وتدمير خزائن كتبها العامرة بالمخطوطات التي لا نظير لها في العالم، وقتل مئات الآلاف فيها، وإعدام خليفتها العباسي.

يقول صاحب "الحوادث" في رصده لمجريات الحوادث في سنة ٦٥٦هـ: "... فلما كان اليوم الرابع عشر من المحرم، وخرج الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي إلى خدمة السلطان في جماعة من مماليكه وأتباعه، وكانوا ينهون الناس عن الرمي بالنشاب، ويقولون: سوف يقع الصلح -إن شاء الله- فلا تحاربوا. هذا، وعساكر المغول يبالغون في الرمي...."^(١).

قلت: هل من فرق بين موقف ابن العلقمي وقوله لأهل بغداد "لا تحاربوا" عندما انقض التتار على بغداد بتواطئه وتمهيده، وبين موقف أحفاده الذين جاءوا على ظهور دبابات الاحتلال، ورحبوا بالغزاة، وجعلوا من يوم سقوط بغداد بيد الغزاة الجدد عيداً لهم، بل أفق بعضهم بعدم التصدي للمحتلين المعتدين على أزهى عواصم العرب والمسلمين، مما أدى إلى تدمير حضارة العراق العظيم، وحرقت مكتباته العامرة، وقتل الملايين من أهله؟! فما أشبه الليلة بالبارحة!!

٦- "تاريخ القدس والخليل":

لشمس الدين محمد بن شرف الدين الخليلي المتوفى (١١٤٧هـ/١٧٣٤م). وقد حققه محمد عدنان البخيت بالاشتراك مع نوفان الحمود.

(١) مؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري، الحوادث. حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف وعماد عبدالسلام رؤوف. ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧م: ص ٣٥٦.

وكتاب الخليلي من أهم المصادر في تاريخ القدس في العصر العثماني، وهو من منشورات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن، عام ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٧- "المعجم المختص":

لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي المتوفى عام ١٢٠٥هـ/١٧٩١م، وقد صدر بتحقيق: محمد عدنان البخيت، ونوفان رجا السوارية، ومراجعة: إبراهيم باجس عبدالمجيد عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض عام ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

ويدلنا كتاب الزبيدي صاحب "تاج العروس" على أن حركة العلم والتواصل بين علماء العالم الإسلامي في منتصف العصر العثماني كانت متقدمة، وأن جهوداً علمية ضخمة قد بذلت في ذلك العصر في مختلف أنواع العلوم والفنون الإسلامية، مما ينفي المقولة الخاطئة التي روجها المستشرقون وأتباعهم، والقائلة بأن هذا العصر هو فترة انحطاط وجمود، وأن حملة نابليون قد جاءت لنشر العلم والحضارة في بلاد العرب.

٨- "الوافي بالوفيات":

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، وقد حقق المجلد الرابع والعشرين منه محمد عدنان البخيت بالاشتراك مع مصطفى الحيارى، وصدر ضمن سلسلة النشرات الإسلامية التي تصدرها جمعية المستشرقين الألمان عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

ومما هو جدير بالذكر أن البخيت قد أولى القدس بخاصة، وفلسطين المحتلة بعامة عناية مركزة من حيث تصوير مخطوطاتها ووثائقها، وإعداد الفهارس الخاصة بها، وتوجيه طلابه لتحقيق ما يراه مهماً ومفيداً من مخطوطاتها، وسجلات محاكمها الشرعية، ودفاتر الطابو فيها، والبخيت والعسلي كفرسي رهان في خدمة القدس وتاريخها ووثائقها وآثارها، وكذلك عبد الجليل عبد المهدي في دراسة أدبها والحركة العلمية فيها.

وفوق ذلك، فإن البخيت له الأيادي البيضاء، والجهد المشكور في تأسيس مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية عام ١٩٧٢م، عندما كان أميناً لسر هذا المركز، فاستجلب له عشرات الآلاف من المخطوطات الورقية والميكروفلمية، والميكروفيشية، وأصبح هذا المركز قبلة للباحثين من جميع أرجاء العالم، والبخيت محب لمركز الوثائق، وطالما سمعنا منه عبارته التي يقول فيها: "لا أجد نفسي إلا في مركز الوثائق والمخطوطات".

ومما لا شك فيه أن عمل المركز يكمل عمل الجمع، ولا سيما أنهما يتسمان بقرب المكان، ووحدة الهدف، وقوة التعاون بين المؤسستين اللتين عاشتا عيشة القمرين، وكل واحدة منهما تكمل عمل الأخرى: وترفد جهودها العلمية.

ج- كتب الأدب والنحو واللغة:

فقد نشر بعض أعضاء الجمع مجموعة قيمة من الكتب الأدبية، شملت: دواوين الشعر، والمقامات، والرحلات، وكتب الزيارات والفضائل، ودساتير دواوين الإنشاء والرسائل والخطب، والمجاميع الأدبية، ويتضح لنا ذلك من خلال الأمثلة التالية:

أولاً: دواوين الشعر وشروحه:

إذ قام ناصر الدين الأسد بتحقيق "ديوان قيس بن الخطيم برواية ابن السكيت"، وصدر عن دار صادر في بيروت عام ١٩٦٧م، وحقق أيضاً "ديوان الحادرة" ونشره في مجلة معهد المخطوطات العربية في القاهرة عام ١٩٦٩م. وأخبرني الأسد -رحمة الله- أنه أمضى عشر سنوات في تحقيق ديوان ابن الخطيم.

وحقق محمد حور بالاشتراك مع وليد خالص "شرح نقائض جرير والفرزدق" برواية أبي عبدالله اليزيدي، وطبعت في الجمع الثقافي في الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٩٨م، ونشر محمد حور "ديوان صفى الدين الحلبي" بدعم من الجامعة الهاشمية في بيروت عام ٢٠٠٠م، وله جهود أخرى في التحقيق.

وقام يوسف حسين بكار بجمع شعر زياد الأعجم وتحقيقه ودراسته، وصدر عمله عن دار المسيرة في بيروت عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. وحقق بكار أيضاً "رباعيات الخيام" ترجمة: مصطفى وهبي التل، وصدرت طبعتها الأولى عن دار الجليل في بيروت عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

وجمع بكار شعر ربعة الرقي وحققه وقدم له، وصدر عن دار الرشيد في بغداد، عام ١٩٨٠م. وحقق بكار قصيدة الناشئ الأكبر في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- ونشرها في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. كما حقق أيضاً شعر إسماعيل بن يسار وغيره.

وأعدَّ عبد الجليل عبد المهدي ديواناً بعنوان "بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية" جمع فيه القصائد التي قالها الشعراء في فتح القدس، وفي تخليد تلك الذكرى العطرة التي كان بطلها الملك الناصر لدين الله صلاح الدين يوسف بن أيوب. وكتب لها مقدمة ضافية، وصدر عمله عن دار البشير في عمان عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

وحقق أيضاً ديوان "المبشرات والقدسيات" لعبد المنعم الجلياني، وصدر عن دار البشير في عمان عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م. وقد تحدث الجلياني الأندلسي في قدسياته عن جهاد صلاح الدين وحروبه مع الصليبيين حتى تمكن من استرداد القدس منهم عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م.

ثانياً: المقامات:

ومما حققه أعضاء الجمع في فن المقامات:

١- مقامات السيوطي - وقد حققها وشرحها سمير الدروبي، وصدرت طبعتها الأولى في مجلدين عن مؤسسة الرسالة في بيروت عام ١٩٨٩م، وصدرت طبعتها الأخيرة عن الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة في القاهرة، عام ٢٠٠٧م.

وقد ضم النص المطبوع من مقامات السيوطي تسعاً وعشرين مقامة، نورد أسماءها كما هي في طبعتها الأولى الصادرة عن مؤسسة الرسالة في بيروت:

- مقامة الاستنصار بالواحد القهار. ج ١، ص ٢٢٥-٢٣٣.

- المقامة الأسبوطية. ج ١، ص ٢٣٤-٢٤٨.

- المقامة البحرية. ج ١، ص ٢٤٩-٢٧٠.
- مقامة في وصف روضة مصر تسمى بُلبل الرّوضة. ج ١، ص ٢٧١-٢٩١.
- المقامة التفاحية. ج ١، ص ٢٩٢-٢٧٠.
- المقامة الجيزية. ج ١، ص ٣٣٥-٣٤١.
- المقامة الدُرِّيّة في الوباء. ج ١، ص ٣٢٤-٣٦٩.
- مقامة الدوران الفلكي على ابن الكركي. ج ١، ص ٣٧٠-٤١٩.
- المقامة الذهبية في الحمى. ج ١، ص ٤٢٠-٣٤٠.
- مقامة الرياحين أو المقامة الوردية. ج ١، ص ٤٣١-٤٧٨.
- المقامة الزمردية. ج ١، ص ٤٧٩-٤٨٩.
- مقامة ساجعة الحرم في المفاخرة بين المدينة والحرم. ج ١، ص ٤٩٩-٥٥٣.
- مقامة ساحب سيف على صاحب حيف. ج ١، ص ٥٥٤-٥٦٦.
- المقامة السندسية في والدي النبي. ج ١، ص ٥٦٧-٥١٦.
- مقامة طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة. ج ٢، ص ٦١٦-٨١٧.

- مقامة الفارق بين المصنف والسارق. ج ٢، ص ٨١٨-٨٥٥.
- مقامة الفتاش على القشاش. ج ٢، ص ٨٥٦-٨٨٦.
- المقامة الفستقية. ج ٢، ص ٨٨٧-٩٠٠.
- مقامة قمع المعارض في نصرة ابن الفارض. ج ٢، ص ٩٠١-٩٣٢.
- مقامة الكاوي في تاريخ السخاوي. ج ٢، ص ٩٣٣-٩٥٧.
- المقامة الكلاجية في الأسئلة الناجية. ج ٢، ص ٩٥٨-٩٧١.
- المقامة اللازوردية في موت الأولاد. ج ٢، ص ٩٧٢-٩٩٥.
- المقامة اللؤلؤية في الاعتذار عن ترك الفتيا والتدريس. ج ٢، ص ٩٩٦-١٠٤.
- المقامة المزهرية. ج ٢، ص ١٠٤١-١٠٥٥.
- المقامة المستنصرية. ج ٢، ص ١٠٥٦-١٠٨١.
- المقامة المسكية. ج ٢، ص ١٠٨٢-١١١١.
- المقامة المصرية. ج ٢، ص ١١١٢-١١٢٠.
- المقامة المكية. ج ٢، ص ١١٢١-١١٣٩.
- المقامة الياتوتية. ج ٢، ص ١١٤٠-١١٥١.

ومما هو جدير بالذكر، أن "مقامات السيوطي" التي حظيت بإشراف رئيس الجمع الأسبق عبدالكريم خليفة، ومناقشه عضوين من أعضاء الجمع هما: محمود السمرة، ومحمود إبراهيم، وقد تمت مناقشتها في قاعة الجمع عام ١٩٨٣م.

لقد لقيت نشرة الدروبي لمقامات السيوطي عناية كبيرة وتقديراً واسعاً من الباحثين في الأدب العربي، يقول عوض الغباري رئيس قسم اللغة العربية في جامعة القاهرة واصفاً عمل الدروبي: ".... بذل جهداً علمياً عظيماً في تحقيقه ونشره لهذه المقامات في أوفى نشرة لها"^(١).

ويقول أحمد أمين مصطفى الأستاذ بكلية الألسن في جامعة عين شمس: "حتى منتصف القرن العشرين لم تكن مقامات السيوطي مجموعة في كتاب واحد يضمها بين دفتيه، وقد بذل الدكتور سمير الدروبي جهداً مشكوراً في جمعها من مختلف المصادر والتعليق عليها"^(٢).

وقال خالد بن محمد الجديع الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض معقّباً على مقامات السيوطي، وما قدم لها من دراسة ضافية: "ولم أعثر فيما طالعت من آراء النقد على تعريف يمكن أن يكون جامعاً مانعاً لفن المقامة، ولعل الأستاذ سمير الدروبي الذي التصق التصاقاً حميماً بمقامات

(١) الغباري، عوض: مقامات السيوطي (دراسة في المقامات المصرية). ط ٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٦.

(٢) أحمد أمين مصطفى: فن المقامة بين البديع والحرير والسيوطي. ط ١، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م: ص ٢٢١.

السيوطي، حيث إن تحقيقها كان أطروحته لنيل درجة علمية، لعله هو الوحيد الذي اقترب اقتراباً كبيراً من الصواب في تعريفه للمقامة....."^(١).

وقدّمت مقالات علمية، ورسائل جامعية في مقامات السيوطي، وممن تناولها من الدارسين: عبدالإله النبهان، وعبد النبي اصطيّف، وعمر موسى باشا، وعبدالله الغزالي، وحسين العمري، وعمر الكفاوين الذي قدّم عنها ورقة لمؤتمر "دور الأردن في إحياء التراث العربي الإسلامي"، الذي عقد في جامعة آل البيت في العام الحالي ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م. وغيرهم.

٢- "مقامة رشف الحريق في وصف الحريق":

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، وقد حققها سمير الدروي، ونشرها في مجلة جامعة البلقاء أولاً، ثم أصدرها كتاباً في مؤسسة الرسالة في بيروت عام ٢٠٠٢م.

وقد ردّ محقق المقامة على ما ذهب إليه المستشرقان: كارل بروكلمان، وشاربلا في أن الصفدي قد تناول في مقامته موضوع الخمر، ويّين أنها قد تناولت موضوعاً خطيراً، هو حرب المدن بين المسلمين والفرنجة الذين دبروا مؤامرة حرق دمشق عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩م، فوصف الصلاح الصفدي ذلك الحدث الإجرامي الرهيب بأسلوبه المقامي الشائق، معبراً عن موقف الأمة وحكامها من ذلك العدوان الصليبي الذي دبرت مؤامراته في قبرص، ومرت عبر بيروت، ونفذت في دمشق^(٢).

(١) الجديع، خالد بن محمد: المقامات المشرقية (٥٥٠-١٢٠٠هـ). ط ١، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٢٢.

(٢) انظر الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): مقامة رشف الحريق في وصف الحريق. دراسة وتحقيق: سمير الدروي. ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير، عمان، ٢٠٠٢م: ص ١٩-٢٦.

ثالثاً: كتب الرحلات:

ففي مجال أدب الرحلات حقق محمد عدنان البخيت رحلتين ترجعان إلى العصر العثماني، هما:

الرحلة الأولى: "المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية" لـيحيى بن أبي الصفا بن أحمد المعروف بابن محاسن المتوفى سنة ١٠٥٣هـ — ١٦٤٣م، وقد صدرت في بيروت عن دار الآفاق الجديدة، عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

الرحلة الثانية: "حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية" لمحب الدين الحموي المتوفى ١٠١٦هـ / ١٦٠٨م، وقد طبعت هذه الرحلة في جامعة مؤتة عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٣^(١).

رابعاً: كتب الزيارات وفضائل المدن:

وقد أصدر المرحوم محمود إبراهيم كتاباً قيماً في هذا الموضوع بعنوان:

— "فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة":

والكتاب عبارة عن دراسة تحليلية ونصوص مختارة لإحدى عشرة مخطوطة من المخطوطات المتعلقة ببيت المقدس وفضائله وآداب زيارته، والعمل مبني على تمحيص كثير من الروايات ونقدها، وقد رجع إبراهيم في عمله الجليل إلى كم وافر من المصادر العربية والأجنبية.

(١) انظر: الدروبي، سمير: "منهج البخيت والسوارية في تحقيق النصوص ونشرها" بحث ضمن

كتاب: محمد عدنان البخيت مؤرخاً وموثقاً وأستاذاً ومؤسساً. ط ١، مؤسسة عبدالحميد

شومان، عمان، الأردن، ٢٠١٠م: ص ٢٧٩-٣١٣.

وقد عرّف محمود إبراهيم بالمخطوطات التالية:

- المخطوطة الأولى - فضائل بيت المقدس والخليل عليه السلام -
للمشرف بن المرجى بن إبراهيم المقدسي. ص ٢٠٥-٢٤٦.
- المخطوطة الثانية - مفتاح المقاصد ومصباح المراسد في زيارة بيت المقدس - لعبدالرحيم بن علي بن إسحاق بن شيت القرشي ص ٢٤٩-٢٧٠.
- المخطوطة الثالثة - كتاب فيه فضائل بيت المقدس وفضل الصلاة فيها - لشمس الدين محمد بن محمد بن حسين الكنجي. ص ٢٧١-٢٨١.
- المخطوطة الرابعة - فضائل الشام وفضائل مدنها وبيت المقدس،
لمؤلف مجهول.
- المخطوطة الخامسة - كتاب فيه فضائل بيت المقدس - لأبي إسحاق إبراهيم بن يحيى المكناسي. ص ٢٩٥-٣١٣.
- المخطوطة السادسة - تحصيل الأنس لزائر القدس - لجمال الدين أبي محمد عبدالله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ). ص ٣١٥-٣٢٨.
- المخطوطة السابعة - كتاب مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام -
لشهاب الدين أبي محمود أحمد بن محمد المقدسي. ص ٣٢٩-٤١٩.
- المخطوطة الثامنة - تسهيل المقاصد لزوار المساجد - لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن العماد الأفقهي. ص ٤٢١-٤٣٢.
- المخطوطة التاسعة - كتاب الروض المغرس في فضائل البيت المغرّس -
لتاج الدين أبي النصر عبدالوهاب الحسيني. ص ٤٣٣-٤٦٠.

- المخطوطة العاشرة - إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى -
لشمس الدين السيوطي. ص ٤٦١-٤٨٨.

- المخطوطة الحادية عشر - المستقصى في فضائل المسجد الأقصى -
لنصر الدين محمد بن محمد العلمي المقدسي. ص ٤٨٩-٥٢٩^(١).

وعمل أستاذنا محمود إبراهيم في الكتاب كبير، وقد قدّم وصفاً دقيقاً
لمحتوى مخطوطات فضائل بيت المقدس، مع اختيار نماذج دالة من نصوصها
التي قام بتحقيقها، وأرفق صوراً عن ورقات من مخطوطاتها، وقائمة حافلة
بالمصادر الأساسية في تاريخ بيت المقدس، بحيث أنه مهد الطريق أمام
الباحثين الذين يمكن أن يواصلوا العمل في تحقيقها ودراساتها.

والكتاب من منشورات معهد المخطوطات العربية في الكويت عام
١٤٠٦هـ/١٩٨٥م

خامساً: دساتير دواوين الإنشاء:

فقد نهض سميح الدروبي بتحقيق دستورين من هذه الدساتير:

الأول- "التعريف بالمصطلح الشريف":

لابن فضل الله العمري اعتماداً على ثلاث عشرة نسخة خطية، والكتاب
أول منشور علمي لجامعة مؤتة في الأردن، وقد صدر عن عمادة البحث
العلمي فيها عام ١٩٩٢م.

(١) انظر: محمود إبراهيم: فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة. ط ١، منشورات معهد

المخطوطات العربية، الكويت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

وكتاب "التعريف بالمصطلح الشريف" واحد من أهم الدساتير المؤلفة في صناعة الكتابة في دواوين الرسائل والإنشاء الإسلامية، وقد وصفه القلقشندي بأنه: "أنفس الكتب المصنفة في هذا الباب عقداً، وأعدّها طريقاً وأعدّها ورداً. وقد أحاط من المحاسن بجوانبها، وأعقمت الأفكار عن مثله ففاز من الصنعة بأحمد مذهبها"^(١).

ويقول شوقي ضيف في وصفه للكتاب: "ولعل من الطريف أن ابن فضل الله جمع نماذج في جميع صور المكاتبات الديوانية، وضمنها كتابه النفيس "التعريف بالمصطلح الشريف"^(٢). وحقاً فإنه كتاب نفيس إذ هو الأصل الأدبي الذي بنى القلقشندي على مثاله، ومن سدى مادته ولحمتها، ركب موسوعته الخالدة "صبح الأعشى".

وعلاوة على ذلك، فإن كتاب "التعريف" قد ترك أثراً بارزة في التقاليد والرسوم الكتابية لكافة المكاتبات الديوانية بالعربية والتركية والفارسية، والقارئ لكتاب أفريدون بل المسمى بـ "منشآت السلاطين" يجد الآثار البارزة التي تركها كتاب العمري "التعريف" في رسوم المكاتبات الصادرة باللغات الإسلامية ولا سيما التركية منها.

(١) القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. وزارة

الثقافة، القاهرة، ١٩٦٣م: ج ١، ص ٧.

(٢) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات: مصر). ط ١، دار المعارف،

القاهرة، ١٩٩٠م: ص ٤٢١.

والثاني- "عرف التعريف في المكاتبات":

لابن فضل الله العمري وقد حققه سمير الدروي، والكتاب أول دستور في الألقاب التشريعية في لغة العرب، وقد صدر بدعم من وزارة الثقافة الأردنية عام ٢٠٠٨م عن دار ابن الجوزي في عمان.

سادساً: اللغة والنحو:

ومما حققه أعضاء الجمع من مخطوطات النحو والصرف واللغة:

- "الإبانة في اللغة العربية":

لسلمة بن مسلم العوتي الصحاري، وقد أنجز تحقيقه عبدالكريم خليفة بالمشاركة. ويقع "الإبانة" في أربعة أسفار، وصدرت طبعته الأولى عام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، عن وزارة التراث القومي والثقافة في مسقط. ونشر خليفة قبل ذلك كتابين هما:

الأول- "الواضح" لأبي بكر الزبيدي الأشبيلي المتوفى سنة ٣٧٩هـ. والكتاب نص تعليمي في النحو، وقد وصفه أحمد عبدالغفور بقوله: "فهو كتاب ذو فائدة مزدوجة كتاب نحو وصرف ولغة، وفي الوقت نفسه كتاب مفيد للطالب المبتدئ أو القريب منه"^(١). وقد صدر "الواضح" بتحقيق عبدالكريم خليفة.

(١) الزبيدي، أبو بكر الإشبيلي (ت ٣٧٩هـ/١٠٨٩م): كتاب الواضح. تحقيق: عبدالكريم

خليفة، ط٢، دار جليس الزمان، عمان، ٢٠١١م: ص ٥.

والثاني- غريب السيرة النبوية: لأبي ذر مصعب بن أبي بكر محمود بن مسعود الحشني المتوفي في مدينة فاس سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، وصدر الكتاب عن دار البشير في عمان عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م^(١)، بتحقيق عبدالكريم خليفة. ومما حققه أعضاء الجمع في النحو والصرف أيضاً:

- الحقائق الندية في شرح فوائد الصمدية: لصدر الدين علي المدني، من علماء العصر العثماني. وقد أنجز تحقيق هذا المخطوط سمير استيتية، في ثلاثة أجزاء، وهو قيد الطباعة. وحدثني سمير استيتية أن هذا المخطوط يضم آراء في النحو واللغة والصرف لكثير من العلماء الذين لم ترد آراؤهم في جمهرة المنشور من كتب النحو واللغة، ومنها آراء لابن سينا (الطبيب) وغيره. كما وردت في الكتاب أسماء عدد كبير من النحويين الذين سقطت أسماؤهم من مصادر النحو، ولم يُشر إليهم في المطبوع من كتب طبقات النحويين واللغويين.

ولا يتسع المقام لعرض إسهامات أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني في تحقيق التراث، وهي جهود متعددة الجوانب، وما ذكر أعلاه ما هو إلا أمثلة دالة على بعض اهتمامات أعضاء المجمع التي اتسع نطاقها لتشمل جوانب أخرى كالسيرة النبوية الشريفة، والحديث النبوي الشريف، وكتب الرجال والمحدثين، وتراجم الأعيان، وكتب الفهارس، وغيرها من الموضوعات.

(١) وحول جهود عبدالكريم خليفة في تحقيق التراث، انظر: الدروبي، سمير: "الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة وتحقيق التراث العربي" / مجلة أفكار الأردنية، العدد (٢٧٣) تشرين أول

المطلب الثاني- إعداد الجمع لفهارس المخطوطات ونشرها:

أدرك الجمع الأردني منذ تأسيسه القيمة الكبرى لفهارس المخطوطات، إذ هي بمثابة المفاتيح الأولى للمحققين الذين يتعرفون من خلالها على: المخطوطات، وأرقامها، وأوصافها المادية، وقيمتها العلمية، وتاريخ نسخها، وأسماء نساخها، وخطوطها إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بصناعة المخطوطات وتحقيقها.

إن ما نشره الجمع من فهارس المخطوطات يدل دلالة واضحة على أن عمل الجمع كان موجهاً ودقيقاً وهادفاً، بل كان نشرها وتعريف القراء بها استجابة لتحدي الاحتلال الصهيوني للأرض المقدسة التي أصبحت مخطوطاتها وتراثها، بل أسماء مدنها وقراها عرضة لتدمير منظم، ونهب علني يمارسه الاحتلال الصهيوني في أبشع صور الغزو الثقافي الهادف إلى تدمير الهوية العربية الإسلامية للأرض المقدسة، وتهجير أهلها، وهدم مساجدها الأثرية والتاريخية التي أصبح بعضها مرتعاً للكلاب والخنازير، وسائر الوحوش والحيوانات الضالة، أو بيوتاً لدعار يهود وفساقهم يمارسون فيها رذائلهم وقبيح أعمالهم، علماً بأن هذه الجوامع كانت معمورة بالعباد وطلاب العلم، وكانت تعج بخزائن الكتب المخطوطة المحبسة على طلاب العلم والمعرفة قبل الاحتلال اليهودي لفلسطين عام ١٩٤٨ م.

وكانت الفهارس الآتية ضمن إصدارات الجمع:

الأول- "مخطوطات فضائل بيت المقدس" (دراسة وببليوغرافيا):
لكامل جميل العسلي الحجة الباحثة، العالم الثبت، المحقق المدقق بأخبار القدس

وآثارها، ووثائقها ومخطوطات، وخططها، وقد بذل العسلي -رحمة الله- جهداً مشكوراً في تتبع كتب فضائل بيت المقدس مرتبة حسب القرون، إذ تبدأ قبل القرن الخامس حتى القرن الرابع عشر الهجري.

علماً بأن القدس لها مكانة عظيمة في نفوس المسلمين، وهي أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى نبينا محمد -عليه السلام-، ولذلك فإن المجمع جعل أول منشوراته من الفهارس ما تعلق منها بمخطوطات القدس الذي جعل المجمع من قبة الصخرة شعاراً له، ولا تصدر عن المجمع مكاتبة أو كتاب أو مجلة إلا وهي متوجة بصورة القبة المباركة التي هي والمسجد الأقصى أبرز معالم القدس -ردها الله-، والقدس مرتقب أبناء أمته.

وقد سرد العسلي أسماء هذه المخطوطات المكنوزة في القدس الشريف، وعرف بمؤلفيها، ووصف موضوعاتها وفصولها، ودل على أرقام مخطوطاتها وأماكن وجودها، مع تقديم صور عن بعض أوراقها المخطوطة.

وذكر لنا العسلي في فهرسته تسعة وأربعين كتاباً ورسالة تُعد من المصادر الأساسية في تاريخ بيت المقدس. وقد صدر هذا الفهرس عن مجمع اللغة العربية الأردني في عام ١٩٨١م.

وقد حدد العسلي هدفه من هذا الفهرست قائلاً: "وقد حاولنا في هذه الدراسة أن نلقي نظرة عامة على أدب فضائل بيت المقدس، ونبين ماهيته، ونحلل محتوياته تحليلاً عاماً، ونحصر ما بلغ علمنا من الكتب والمخطوطات التي وضعت فيه"^(١).

(١) العسلي كامل: **مخطوطات فضائل بيت المقدس**. ط ١، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، ١٩٨١م. ص ٥.

الثاني- "فهرس مخطوطات المكتبة الأحمديّة في عكا": والمكتبة الأحمديّة - ممّا وقفه أحمد باشا الجزائر (ت ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م) في مسجده بعكا، والجزار يعرف بأنّه من الأبطال الذين وقفوا في وجه نابليون، وردّه مذموماً مدحوراً، خائباً خاسراً عن عكا، وكان صمود هذا البطل من أسباب اندحار نابليون، وفشل مشروعه الصليبي في الاستيلاء على مصر والشام.

وكانت المكتبة الأحمديّة في مسجد الجزائر من أغنى خزائن الكتب الموقوفة ببلاد الشام، وقد عانت أيدي الاحتلال اليهودي بأوقاف هذه المكتبة فساداً ونهباً وسرقة، ولم يبق من كتبها إلا القليل، وقد وصف الباحث محمود علي عطا الله الذي أعدّ فهرست هذه المكتبة واقعها الحالي قائلاً: "ومما تجدر الإشارة إليه، أن المخطوطات التي تمّ التعرف عليها وكشفها، لا تشكل المكتبة الحقيقية التي عرفت أيام الجزائر، بل إن ما تمّ التعرف إليه لا يشكل سوى النزر اليسير، لأنّ قسمًا من هذه المخطوطات فقد لسبب أو لآخر^(١)".

الثالث- "فهرس مخطوطات مكتبة الحرم الإبراهيمي في الخليل": وقام الباحث محمود علي عطا الله بإعداد هذا الفهرست الذي تضمن وصفًا دقيقاً لأربعة وثمانين مخطوطاً، يعود أقدمها إلى العصر المملوكي، ومنها بعض

(١) محمود علي عطا الله، فهرس مخطوطات المكتبة الأحمديّة في عكا، منشورات مجمع اللغة العربيّة الأردني، ط٢، ١٤٠٣/١٩٨٣م: (ج-).

المجاميع، وقد تنوعت موضوعاتها فشملت: العلوم الإسلامية، والنحو والبلاغة والعروض، وعلم الكلام والمنطق. وقد صدر هذا الفهرست عن الجمع عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الرابع- "فهرس مخطوطات مكتبة مسجد الحاج نمر النابلسي في نابلس": وقد أعدّ هذا الفهرس محمود علي عطاالله، وكان ضمن منشورات الجمع في عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

الخامس- "فهرس مخطوطات المكتبة الإسلامية في يافا": وهي مكتبة إسلامية أسست في مدينة يافا بفلسطين المحتلة في سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م.

ويبدو أن كثيراً من مقتنيات هذه المكتبة قد تعرضت للسرقة والتلف بعد الاحتلال اليهودي لفلسطين عام ١٩٤٨م، وقد اشتمل هذا الفهرس على وصف مائتين وثمانية وثمانين مخطوطاً، وصدر عن الجمع في سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

السادس- "فهرس مخطوطات كلية الدعوة وأصول الدين في القدس": وقد نيفت مخطوطاتها على المائة مخطوط، وقام بفهرستها أحمد العلمي مدير مكتبة المدرسة المذكورة، وصدر هذا الفهرست عن الجمع في عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

والسابع- "فهرس المخطوطات المحفوظة في مجمع اللغة العربية الأردني": وقد بلغ عددها تسعين مخطوطاً، وغالبها نسخ ميكروفلمية مصورة. وقد أعدّ محمد علي العناسوة هذا الفهرس ونشره الجمع في عام ١٩٩٨م.

ومما هو جدير بالملاحظة، أن الفهارس الآنفه الذكر قد تم إعدادها بالتنسيق بين مجمع اللغة العربية ومركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية.

المطلب الثالث - دور مجلة مجمع اللغة العربية الأردنية في خدمة التراث وتحقيقه: بدأت أعداد مجلة مجمع اللغة العربية بالصدور منذ تأسيسه في سنة ١٩٧٦م، وهي مجلة نصف سنوية محكمة يشرف على تحريرها هيئة من علماء المجمع، وقد مضى على صدورها أربعون عاماً تقريباً، وصدر منها حتى الآن تسعة وثمانون عدداً دون توقف أو انقطاع.

وتهتم مجلة المجمع بقضايا اللغة العربية وآدابها، وتنشر كل ما تراه نافعاً ومفيداً لخدمة اللغة العربية تراثاً وأدباً، ونقداً وبلاغةً بخاصة، ولخدمة الحضارة الإسلامية بعامة، والتراث واحد من مدارات اهتمامها، علماً أن مجلة المجمع ليست مقتصرة أو متخصصة في موضوعات المخطوطات وتحقيق النصوص كمجلة معهد المخطوطات العربية في القاهرة، أو مجلة المورد العراقية اللتين تكاد أن تكون أبحاثهما مقصورة على تحقيق النصوص التراثية، ومراجعة الصادر منها ونقده والتعريف به.

وعلى الرغم من عدم تكريس مجلة المجمع للعناية بالمخطوطات المحققة فحسب، إلا أن قضية تحقيق التراث تشكل محوراً أساسياً من محاورها، وموضوعاً رئيساً من موضوعاتها، فالتراث أثر وصاحب حظوة وسطوة لدى مجلة المجمع، على الرغم من عدم انغلاقها على التراث وقضاياها، وهي قابلة لكل جديد يخدم اللسان العربي.

وتتجلى خدمة مجلة المجمع للتراث العربي في المظاهر الآتية:

أولاً- نشر القصائد والكتب والرسائل المحققة: إذ نشرت مجلة المجمع عشرات الرسائل المحققة في: الأدب، واللغة والنحو، والبلاغة، والنقد، والتاريخ، والعلوم، والفلسفة، وغيرها، ومن الأمثلة على ذلك: "كتاب الشجر والكلأ" لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري، نشر بتحقيق: أنور أبو سويلم. وكتاب "عمدة الأدباء في معرفة ما يكتب بالألف والياء" نشره: جاسر أبو صفية.

ومن الرسائل المنشورة في مجلة المجمع: "رسالة في إبطال أحكام النجوم" للفيلسوف البغدادي، أبي القاسم عيسى بن علي، وقد حققها سحبان خليفات. و"رسالة في الفرق بين علم الجنس واسم الجنس" للشيخ يحيى المغربي من علماء القرنين الثامن والتاسع الهجريين نشرها عبدالفتاح الحموز. و"رسالة في محاسن أبي تمام ومساوئه" حققها عبدالكريم الحبيب. و"رسالة درر الكلم وغرر الحكم" لجلال الدين السيوطي نشرها ودرسها فايز القيسي. إلى غير ذلك من عشرات الرسائل والكتب والخطب.

ثانياً- نشر الدواوين المصنوعة حديثاً: خسر العرب كمية وافرة من تراثهم الشعري والنثري وغيره من مخطوطات علومهم وآدابهم ولغتهم - خلال الغزوين الصليبي والمغولي - وضاعت آلاف من دواوين الشعراء، وفقد الكثير من دواوين القبائل والمختارات الشعرية، ونتيجة لذلك اهتم جيل من الباحثين المعاصرين بصناعة الدواوين المفقودة، اعتماداً على ما وجدوه في مظان التراث المختلفة.

ونشر المجمع بعضاً من هذه الدواوين، ومن الأمثلة على ذلك: "ما وصل إلينا من شعر ابن الشبل البغدادي" وقد جمعه المرحوم حلمي الكيلاني. و"ديوان زفر بن الحارث الكلابي" جمعه وحققه: رضوان محمد حسين النجار. و"شعر ابن رواحة الحموي الشاعر الشهيد" جمعه وحققه: سعود عبد الجابر. و"ابن عقيل الزرعي: حياته وشعره" حققه: شفيق الرقب، وغيرها الكثير.

ثالثاً- الاستدراك على الدواوين والنصوص المحققة: إن سعة التراث العربي، وتنوع مصادره المخطوطة والمطبوعة قد لا تمكن الباحث من الإحاطة والشمول لما يقوم به من عمل، ولذلك فإن كثيراً من النصوص المحققة تم الاستدراك عليها، وإضافة إليها.

وفتحت مجلة المجمع صفحاتها لمثل هذا الضرب من التعقيب والاستدراك أملاً في استكمال ما طرأ على النصوص من سقط أو نقص أو عوار.

ومما نشرته مجلة المجمع في الاستدراكات: مقالة حاتم غنيم المعنونة بـ"استدراكات على النصوص الشعرية في كتاب "شعراء عباسيون""، ومقالة عبدالإله نبهان الموسومة بـ"تعقيب على المستدرك على شعر أبي النجم العجلي". وبحث عبدالكريم الحبيب الموسوم بـ"ديوان عبدالله بن رواحة: نقد واستدراك". و"فائت أشعار الخليل لمصطفى الحدري. و"ديوان الباهلي: محمد بن حازم: تكملة وإصلاح" محمد خير البقاعي.

وكتب رياض حسن الخوام استدراكاً وتعليقاً على كتاب "حروف الممدود والمقصور" لابن السكيت، الصادر بتحقيق حسن الشاذلي.

رابعاً- النقد والتصحيح والمراجعة والتعليق على ما حُقق من نصوص تراثية: فقد قامت المجلة بنشر عشرات المقالات العلمية في هذا الموضوع، خوفاً على التراث العربي من الأيدي العابثة، وطلباً لغاية الصحة والضبط التي هي الهدف الأساس للمحققين.

ومما نشرت مجلة الجمع في ذلك ما كتبه إبراهيم السامرائي من تعليقات على كتاب "المقنع في الفلاحة"، ونشرت مقالة عبدالله يحيى السريحي المسماة بـ "مع كتاب الحن لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي". ونشرت مقالة لمحمد خير البقاعي بعنوان: "من طرائف التصحيف في الجزء الأول من كتاب الزهرة - لمحمد بن داود الأصفهاني".

وكتب علي خليل الحمد مقالة بعنوان: "معجم ديوان الأدب: لإسحاق ابن إبراهيم الفارابي: تنبيهات وتصحيحات"، وكتب الحمد أيضاً مقالة أخرى بعنوان: "مقاييس اللغة لابن فارس: تنبيهات وتصحيحات". ونشر محمد جواد النوري في مجلة الجمع مقاليتين: الأولى بعنوان: "معجم ديوان الأدب: لإسحاق بن إبراهيم الفارابي: تنبيهات وتصحيحات" بالاشتراك مع علي خليل الحمد. والثانية بعنوان: "مقاييس اللغة لابن فارس: تنبيهات وتصحيحات".

خامساً- تصحيح نسبة الكتب المحققة والمنسوبة لغير مؤلفيها: شاعت ظاهرة نخل الكتب إلى غير أصحابها عند العرب، وعند غيرهم من الأمم، لأسباب كثيرة أبرزها الرغبة في ترويح هذه الكتب التي تنسب لمشاهير المؤلفين، ولا شك في أن تصحيح نسبة الكتب إلى أصحابها يحتاج إلى

أدوات النقد الداخلي والخارجي للنصوص وصولاً إلى المؤلف الحقيقي للكتاب، أو نفيه عن نسب إليه.

وقد نشرت مجلة المجمع مقالة لإبراهيم السامرائي بعنوان "كتاب الآمل والمأمول المنسوب للجاحظ". ونشر في المجلة بحث جزيل عبد الجبار الجومرد، وعنوانه "الأولى أن ينسب كتاب النخل لابن العوام لا لابن وحشية".

وكذلك ما كتبه عبدالرزاق حسين، وهو بعنوان "المختار من نوادر الأخبار المنسوب خطأ لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن إسماعيل المقري الأبياري".

ومقالة محمد جبار المعيد الموسومة بـ "ديوان الخنساء بشرح أبي العباس ثعلب ليس له".

وما كتبه عمر الساريسي بعنوان: "تحقيق نسبة كتاب درة التنزيل وغرة التأويل".

سادساً- نشر الأبحاث المتعلقة بتاريخ الوراقة والوراقين: ومثال ذلك البحث المعنون بـ "حركة الوراقين في الحضارة العربية الإسلامية" لـربحي مصطفى عليان. وكتب فوزي الشايب مقالة بعنوان: "أخطاء الوراقين وأثر ذلك في تشويه النصوص".

سابعاً- التعريف بالمخطوطات الجديدة: ومثال ذلك ما كتبه حاتم صالح الضامن في بحثه: "في ضوء مخطوطة جديدة من كتاب سهم الألفاظ في وهم الألفاظ".

وما كتبه محسن غياض عجيل بعنوان: "مخطوط كتاب المثالب لابن الكلبي: دراسة للكاتب والكتاب".

ثامناً- الدفاع عن مشروع تحقيق المخطوطات العربية والعناية بها: إذ نجد بعضاً من الباحثين الذين يقفون موقفاً سلبياً من حركة تحقيق المخطوطات التي تلقى منهم تشبيطاً وتوهيناً، بل قد تجد صداً ورداً من بعض الباحثين المعاصرين الذين لم يدركوا بعد خطورة وأهمية، وضرورة تحقيق تراثنا العربي الإسلامي الذي لم يفقد ألقه وبريقه حتى الآن بين كبار الباحثين من العرب ومن المستشرقين.

ولعل من المفيد في هذا المقام أن نذكر أن تراثنا يحتوي على كثير من الحقائق العلمية، ونورد ما قاله أحد العلماء في الموسم الثقافي الخامس والعشرين لمجمع اللغة العربية الأردني، سنة ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م، ص ١٠٩:

"فما كتبه نيكولاس كوبرنيكوس من أن الشمس هي مركز الكون وليست الأرض في كتابه "رسالة في دوران الأجرام السماوية"، ولم يتجرأ أن ينشره، وما كتبه لم يقل إنه حقيقة خوفاً من الصراع الذي ستحدثه هذه الأفكار. وطبع هذا الكتاب قبل موته بساعة فقط.

وهذه الحقيقة التاريخية التي تم اكتشافها بعد معارضة شديدة تسجل لكوبرنيكوس، مع أن ما تم اكتشافه مؤخراً هو أن أول من قال بدوران الأرض حول الشمس هو العالم العربي ابن الشاطر، وأدخل تعديلات بلغة الرياضيات فأضاف متجهات إلى المتجه الأصلي حتى يصير الرصد مطابقاً للنظرية.

ونحن نعلم أن كوبرنيكوس كان يعرف اللغة العربية، ورسائل ابن الشاطر موجودة في بولندا مولد كوبرنيكوس، فلماذا لا يحقق الأمر؟".

وقد نشرت المجلة مقالتين لأحمد سعيدان تصبان في خدمة هدف الدفاع عن تحقيق التراث، والرد على خصومه، ومقالة سعيدان الأولى بعنوان

"التراث العربي/ لماذا نحققه وكيف" والثانية بعنوان: "مع تحقيق كتب التراث".

تاسعاً- التعريف بالبرديات العربية وأهميتها في دراسة الأدب العربي والتاريخ الإسلامي: فقد نشر فالح حسين مقالة في مجلة المجمع بعنوان: "تعريف بالوثائق البردية، وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي".

وأشار سمير الدروبي لموضوع البرديات وأهميتها في دراسة الأدب العربي في مقالته الموسومة بـ "من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره"، يقول: "وللبرديات أهمية كبرى في تاريخ الأدب الإداري عند العرب، فهي نصوص موثقة وأصيلة صدرت عن الولاة..."^(١).

عاشراً- رصد جهود المستشرقين ومتابعتها والحكم عليها فيما يتعلق بتحقيق التراث العربي: كان للمستشرقين دور عظيم في نشر كثير من المخطوطات العربية، وتعود جهودهم في ذلك إلى ثلاثة قرون خلت في الأقل، ولا شك في أن جهودهم وإنجازاتهم في التحقيق تحتاج إلى مراجعة وتقييم، وذلك ما نجده في مقالة محمد خير البقاعي المعنونة بـ "كتيب مخطوط للسلفي: حله باللغة الفرنسية جورج فايدا".

وكذلك ما كتبه سمير الدروبي في مقالته "من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره" إذ ذكر فيها جهود المستشرقين الذين خدموا الأدب الإداري (الديواني) عند العرب دراسة وتحقيقاً وفهرسة، أمثال: لاندبرج الذي حقق "الفتح القسي في الفتح القدسي" ونشره في ليدن

(١) الدروبي، سمير: "من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره"، مجلة

مجمع اللغة العربية الأردني. السنة العشرون، العدد (٥٠)، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. ص ٦٧.

عام ١٨٨٨م، وكذلك جهود: راويس، وماكس جرونيرت، وهانس فون مشيك، وسوردل، وكلود كاهن، وشتيرن، وجوايتين وغيرهم^(١).

حادي عشر- نشر فهارس المخطوطات: فقد نشر سميير الدروبي مقاليتين مطولتين: الأولى بعنوان "السيوطي ورسائله" فهرست مؤلفاتي " (العلوم الدينية)"، والثانية بعنوان: "السيوطي ورسائله" فهرست مؤلفاتي " (النحو واللغة والأدب)".

وتأسيساً على ما سبق، فإن دور مجلة الجمع في خدمة التراث تحقيقاً وفهرسة، وعرضاً ونقداً، دور كبير، وهو جدير بالتقدير والاحترام؛ لأنه ما نشر في المجلة مقال أو موضوع إلا بعد التحكيك والتمحيص، والتحكيم العلمي الدقيق الذي لا يُجامل فيه أحد على حساب المستوى العلمي الرفيع الذي تنشده المجلة.

المطلب الرابع- الكتب المحققة التي نشرها الجمع: تتفق سياسة الجامع اللغوية وأهدافها في البلدان العربية على أهمية نشر الكتب المحققة لما في ذلك من إثراء للغة العرب، وكل كتاب جديد يُعد إضافة إلى تراث الأمة وحضارتها بل إلى تراث العالم الإنساني.

ونجد في مجمع اللغة العربية بدمشق لجنة تعرف بـ "لجنة المخطوطات وإحياء التراث" وتقوم هذه اللجنة باختيار المخطوطات المناسبة للتحقيق والنشر، وهذه اللجنة من أكثر لجان مجمع دمشق نشاطاً وإنتاجاً، وقلما يخلو عام من نشر كتاب أو أكثر من كتب التراث^(١).

(١) الدروبي، سميير: "من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. السنة العشرون، العدد (٥٠)، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. ٦٣-٩٧.

ومطبوعات مجمع دمشق في فنون: النحو، واللغة، والتاريخ، وكتب الأدب، ودواوين الشعر تُعد بالعشرات، نذكر منها "خريدة القصر وجريدة العصر" للعماد الأصفهاني الذي صدر بتحقيق أستاذنا العلامة شكري فيصل. و"تاريخ دمشق" لابن عساكر، وقد صدرت منه أجزاء كثيرة، و"ديوان ذي الرمة"، و"الأشباه والنظائر في النحو" للسيوطي وغيرها من أمهات كتب التراث وعيونه.

أما مجمع اللغة العربية في جمهورية مصر العربية فقد شكل إدارة تُعرف باسم "الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث"، تقوم هذه الإدارة بطباعة كتب التراث المحققة في ميدان المعاجم واللغة والفهارس.

ومن نفائس مطبوعات هذه اللجنة الفاعلة: "ديوان الأدب" للفارابي، وقد حققه أحمد مختار عمر. وكتاب "غريب الحديث" للهروي بتحقيق حسين محمد شرف. وكتاب "الشوارد أو ما تفرد به بعض أئمة اللغة" للصغاني، وحققه: مصطفى حجازي، وغير ذلك من عشرات الكتب في اللغة والمعاجم.

أما المجمع العلمي العراقي فله منشوراته في التراث، ولكنها تقصر عن جهود مجمعي دمشق والقاهرة وذلك لما مرّ به العراق -رده الله- من تكالب الغزاة عليه، ونذكر من منشوراته: "شعر الراعي النميري" تحقيق نوري حمودي القيسي.

أما مجمع اللغة العربية الأردني، فقد نشر ثلاثة من كتب التراث:

الكتاب الأول- "رسائل أبي العلاء المعري": وقد حققها وشرحها: عبدالكريم خليفة، وتقع هذه النشرة في ثلاثة أجزاء، وهي أوفى مجموع مطبوع لرسائل أبي العلاء المعري، وأشاد شوقي ضيف بهذه النشرة العلمية ونوه بها في كتابه تاريخ الأدب العربي (قسم مصر والشام).

وكان اعتماد خليفة في نشرته على مخطوط مكتبة ليدن بهولندا، وعلى ما نشره مرجوليوث من رسائل أبي العلاء في مدينة أكسفورد عام ١٨٩٤م.

واللافت للنظر في أمر هذه النشرة، أن محققها حاول أن يشرح غريب رسائل المعري بلغة المعري نفسه، ولذا نجده كثير الرجوع إلى شعر المعري وبخاصة ديوانه اللزوميات.

الكتاب الثاني- "المقنع في الفلاحة": لأحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي وقد طبع "المقنع" بتحقيق: صلاح جرار، وجاسر أبو صفية، وقام عبدالعزيز الدوري بالإشراف على تحقيق الكتاب وتدقيقه، وقد صدر الكتاب عن الجمع في سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، وكان صدور الكتاب احتفاء من الجمع بمطلع القرن الخامس عشر الهجري.

وقد نشر المحققان كتاب "المقنع" اعتماداً على ثلاث نسخ خطية: نسخة المكتبة العامة في الرباط ذات الرقم (جـ ٦١٧)، ونسخة المكتبة الملكية/الخزانة العامة في الرباط ورقمها (٦٩)، ونسخة المكتبة الوطنية بباريس ذات الرقم (٥٠١٣ عربية)، وقدم الباحثان لعمليهما بمقدمة تقع في ست عشرة صفحة، وأتبعا النص المحقق بفهارس فنية لموضوعات: النبات، والطير، والمصطلحات الزراعية، والمعادن، والكواكب، والآفات والأمراض الزراعية... الخ.

وكتاب ابن حجاج الذي ألفه في منتصف القرن الخامس الهجري تقريباً، من أهم مصادر الفلاحة في الأندلس، ولقيت نشرة الجمع لكتاب "المقنع" رواجاً واسعاً بين الباحثين في تاريخ العلوم عند العرب ولا سيما علم الفلاحة، ولذا فإنه قلما تجد بحثاً للعرب أو للمستشرقين في موضوع الفلاحة لم يرجع إلى كتاب ابن حجاج الإشبيلي الصادر عن مجمع اللغة العربية الأردني، علماً بأنه قد دارت رحى معركة قلمية على صفات مجلة المجمع، بين المحققين وعددٍ من الباحثين الذين أبدوا ملاحظاتهم العلمية حول النص المحقق.

الكتاب الثالث - "الفلاحة الأندلسية": لأبي زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي المتوفى سنة ٥٨٠هـ / ١١٤٨م تقريباً، وقام على تحقيق هذا الكتاب ودراسته وشرحه وفهرسته ثلاثة من الأساتذة في جامعة مؤتة هم: أنور أبو سويلم، وسمير الدروبي، وعلي محاسنة، بناء على طلب من مجمع اللغة العربية الأردني لسمير الدروبي، بأن يقترح لجنة لتحقيق كتاب "الفلاحة الأندلسية" ونص الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكريم الزميل الأستاذ الدكتور سمير الدروبي المحترم

قسم اللغة العربية - جامعة مؤتة

ص.ب (٧) مؤتة - الكرك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تلقينا، بالتقدير والاحترام رسالتكم المؤرخة في ٢٢/١١/٢٠٠٧م، بشأن اقتراحكم تأليف لجنة لتحقيق كتاب "الفلاحة لابن العوام الإشبيلي".

وأود أن أعلمكم بأن المكتب التنفيذي قد ناقش الموضوع في اجتماعه الثامن عشر المنعقد بتاريخ ١٢/٥/٢٠٠٧م وهو يرى وفق ما جاء في قراره رقم (١٢٠٠٧٦٦) أن علم الفلاحة العربية علم متخصص، ولا بد من أن يكون أحد المحققين من المتخصصين في هذا العلم، وحرصاً على تحقيق هذا الكتاب المذكور أعلاه تحقيقاً علمياً دقيقاً...

أمل أن تتكرموا بموافاتي بأسماء الذين سيشاركون في تحقيق هذا الكتاب في أسرع وقت لكي يتمكن المكتب التنفيذي من اتخاذ القرار المناسب. شاكرين لكم حسن تعاونكم واهتمامكم، ومؤملين لكم دوام التوفيق والنجاح، والعطاء الخير الموصول.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير،،،

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة

ورفع سمير الدروبي أسماء اللجنة المشكلة من: أنور أبو سويلم، وسمير الدروبي، وعلي المحاسنة، وبدأت اللجنة عملها في تحقيق الكتاب منذ تشكيلها إلى أن أنجز محققو الكتاب عملهم في سبعة أسفار وصدرت طبعته الأولى عن المجمع في عمان عام ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

وتكونت هذه النشرة من دراسة للكتاب جاءت في مائتين وثلاث وثمانين صفحة، وقد اشتملت هذه الدراسة التي هي القسم الأول من الكتاب على ستة فصول:

- الفصل الأول: لفظة الفلاحة بين الدلالة اللغوية والاصطلاحية.
 - الفصل الثاني: ابن العوام حياته ومؤلفاته.
 - الفصل الثالث: مصادر الكتاب.
 - الفصل الرابع: أهمية كتاب "الفلاحة الأندلسية" وقيمه العلمية.
 - الفصل الخامس: نشرات الكتاب وترجماته.
 - الفصل السادس: نسخ الكتاب الخطية ومنهجية التحقيق.
- أما القسم الثاني من كتاب "الفلاحة الأندلسية" فهو النص المحقق اعتماداً على ما وجد للكتاب من نسخ خطية في مكتبات العالم.
- وقد أتبع هذا القسم بالفهارس الفنية للكتاب التي شغلت السفر السابع منه، وقد وصلت هذه الفهارس إلى ستة وعشرين فهرساً شملت: الأرضين، المياه والري، المناخ، الحيوانات والحشرات، المعادن والفلزات، الأزبال، المصطلحات الفلاحية، الألفاظ الفلكية، الأدوية المركبة، أجزاء النبات... إلخ.
- ومما هو جدير بالذكر أن كتاب "الفلاحة الأندلسية" قد لقي تقديراً كبيراً من الباحثين في تاريخ العلوم، فهو مترجم - كلياً أو جزئياً - إلى اللغات: الإسبانية والفرنسية والتركية والأردية والإيطالية والإنجليزية، وذلك لأهميته العلمية مما يكشف لنا عن عظمة الحضارة الإسلامية، وقوة تأثيرها في العلم الإنساني.

ومترجم الكتاب إلى الإسبانية هو المستشرق الإسباني بانكويري الذي طبع ترجمته في مدريد عام ١٨٠٢م، -ويقال: إن بانكويري قد أمضى نصف

قرن في خدمة كتاب الفلاحة الأندلسية- وترجم الكتاب عن ترجمة بانكويري إلى اللغات الأخرى^(١).

ولعل من المفيد أن نذكر ما قالته المستشرقة الإسبانية سانثيز عن هذه الموسوعة: "إن كتاب "الفلاحة" مجموعة كبيرة من الإحالات على نصوص أندلسية ومشرقية، بيد أن في هذه الخاصة بالذات تكمن إحدى أكثر ميزاته أهمية وبعثاً على الاهتمام، إذ لا يشكل العمل موجزاً للنظريات الزراعية السابقة فحسب، بل يمكنه أن يعيننا أيضاً على إعادة صياغة النصوص الأصلية لبعض المؤلفين... ويحتوي كتاب "الفلاحة" وهو أحد المؤلفات القلائل التي وصلتنا كاملة، جميع المعارف الزراعية والحيوانية الشائعة في وقته، كما يستوعب التراث البستاني السابق ويختصره، ويحصه ويحييه في آن واحد، ثم إنه يرسى فوق كل ذلك تقليداً للتأمل المصاحب للتجربة، مثلما يقول المؤلف: "ولم أثبت فيه شيئاً من رأيي إلا ما جربته مرراً فصيح"^(٢).

فنحن أمام عمل علمي يقوم على التجربة العلمية الصحيحة، مما يجعل ابن العوام عالماً لا يختلف عن أضرابه من العلماء المعاصرين التجريبيين الذين خطوا بالعلم الإنساني خطوات واسعة إلى الأمام.

(١) انظر: ابن العوام، أبو زكريا يحيى بن محمد (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م): الفلاحة الأندلسية. تحقيق: أنور أبو سويلم، سمير الدروي، علي محاسنة، ط١، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م. ١/١٩٢-١٩٧.

(٢) سانثيز، إكسبيراثيون غارثيا: "الزراعة في إسبانيا المسلمة" بحث ضمن كتاب: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس. تحرير: سلمى الجبوسي، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٨م: ٢/١٣٧٤-١٣٧٥.

وبناء على ما تقدم، فإن أول نشرة علمية للكتاب في اللغة العربية هي نشرة مجمع اللغة العربية الأردني الذي بذل جهوداً مشكورة في سبيل إنجاز هذه الطبعة المحققة التي سيكون لها شأن عظيم بين الباحثين بإذن الله.

وحدثني زميلي أنور أبو سويلم أيضاً الذي حضر في الرياض جلسات مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية في عام ٢٠١٤م، أن الأستاذ حسن الشافعي رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة، قد أثنى على مجمع اللغة العربية الأردني على إنجاز مشروع تحقيق كتاب "الفلاحة الأندلسية" أمام أكثر من ثلاثمائة عالم، وقال: إن عمل المجمع الأردني عمل ضخم وجليل، ولا مثيل له فيما صنعته المجامع اللغوية العربية، وهو جدير بأن يجعل للمجمع الأردني قصب السبق على المجامع الأخرى.

وذكر لي أنور أبو سويلم أنه لقي على هامش المؤتمر وزير الثقافة التونسي الأسبق الذي أشاد بالعمل، وقال: يجب أن يعقد لهذا العمل مؤتمر علمي ضخم بدعم من الإسككو.

وقام إدريس الجابري بكتابة مقالة تعريفية بقيمة الكتاب، وأهمية تحقيقه في إحدى المجلات المهمة بتاريخ العلوم في المغرب العربي عام ٢٠١٤م.

ووجه رئيس مجمع اللغة العربية الأردني بتاريخ ١٨/٤/١٤٣٣هـ رسالة شكر لمقرر لجنة تحقيق الكتاب سميح الدروبي، ولكل من أنور أبو سويلم وعلي محاسنة المشاركين في تحقيق "الفلاحة الأندلسية"، ونورد نص كتاب الشكر الموجه لسميح الدروبي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكريم الأستاذ الدكتور سمير الدروبي المحترم

قسم اللغة العربية - جامعة مؤتة

ص.ب (٧) مؤتة - الكرك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فيسرني أن أبعث إليكم باسمي واسم زملائي أعضاء المكتب التنفيذي، بخالص الشكر ووافر التقدير والاحترام، على الجهود العلمية ذات المستوى الرفيع التي بذلتموها في تحقيق كتاب الفلاحة الأندلسية لابن العوام، ذلك الكتاب الذي يمثل معلمة فلاحية في تاريخ حضارتنا العربية الإسلامية، والذي نال أهمية علمية كبيرة لدى عدد من العلماء الأجانب فحرصوا على ترجمته إلى الإسبانية والفرنسية منذ القرن التاسع عشر، كما أنه ترجم إلى لغات عدة، وإن تحقيقه ونشره على هذه الصورة العلمية باللغة العربية دلالة واضحة على جهودكم الطيبة، وسعة اطلاعكم على الأدب الفلاحي في حضارتنا العربية الإسلامية من ناحية، وإتاحة الفرصة للعلماء والباحثين لدراسته والإفادة منه في مختلف مجالات العلم الفلاحي من ناحية ثانية.

وإن مجمع اللغة العربية الأردني، وهو يحرص على تحقيق التراث العربي ونشره، ليتمنى لكم موفور الصحة والعافية، ودوام التوفيق والنجاح، والعتاء

الخير الموصول في خدمة لغتنا العربية، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والتراث العربي الإسلامي المجيد.

شاكرين لكم حسن تعاونكم وكرم اهتمامكم، ومؤملين استمرار التعاون بيننا وبينكم لخدمة تراثنا العربي الإسلامي، وتحقيق المزيد منه، إن شاء الله.
مع أطيب التحية ووافر التقدير والاحترام،،،

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة

وكتاب رئيس المجمع المذكور آنفاً يدل على مدى اهتمام المجمع بتحقيق التراث العربي من جانب، ويدل على رؤية المجمع لما يمكن أن تقدمه الكتب المحققة من إثراء للغة العربية من جانب آخر.

وختاماً، فإنه لا بد من الإشارة إلى أن المجمع مهتم بتحقيق التراث العلمي العربي، ولعل مرد ذلك إلى كثرة من يهتمون بنشر التراث الديني والأدبي والتاريخي من جانب، وقلة من يلتفتون إلى التراث العملي من جانب آخر.

وفوق ذلك، فإن المجمع يرى أن: "التراث العلمي العربي يُمدّنا في الوقت الحاضر بثروة لغوية كبيرة، يمكن أن تكون مادة خصبة من أجل استيعاب المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة في إطار خصائص اللغة العربية"^(١).

(١) خليفة، عبدالكريم: اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ط ٢، منشورات مجمع اللغة

العربية، عمان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م: ص ٢٤٦.

الخلاصة والنتائج والتوصيات

ونخلص مما تقدم عرضه من جهود مجمع اللغة العربية الأردني إلى الآتي:
أولاً- إن تحقيق التراث العربي والإسلامي من الأهداف والمهام الأساسية للمجمع منذ تأسيسه سنة ١٩٧٦م وحتى اليوم.

ثانياً- إن جهود المجمع الرئيسة قد تركزت على قضايا حيوية ووجودية بالنسبة للغة العرب في عصرنا المائل، وبخاصة قضية تعريب كتب العلوم الجامعية، ونجحت تجربة المجمع في ذلك. إضافة إلى جهود المجمع في إعداد معجم "ألفاظ الحياة العامة في الأردن" وهو عمل عظيم في باب -أي باب صناعة المعاجم-، وليس له نظير فيما قامت به المجمع أو الأفراد في عصرنا، إضافة إلى تأليف الكتب المدرسية، ودراسة واقع الحياة اللغوية في مؤسسات الدولة للارتقاء بها، ولكن على الرغم مما ذكر فإن المجمع قد أولى التراث عنايته في ضوء إمكانياته المادية والإدارية والفنية والعلمية.

ثالثاً- أدت مجلة مجمع اللغة العربية الأردني للتراث المحقق دوراً عظيماً، ونال منها عناية فائقة تحقيقاً واستدراكاً، ونقداً وتصحيحاً، وتعقيماً وفهرسة.

رابعاً- استقطبت مجلة المجمع لعنايتها بالتراث أقلام عدد كبير من كبار الباحثين في العالم العربي الذين نشروا على صفحاتها نصوصهم المحققة، ودراساتهم وتعقيباتهم ومراجعاتهم، لما صدر من كنوز التراث، ونذكر منهم: أحمد سعيدان، إبراهيم السامرائي، حمد الجاسر، سحبان خليفات، حاتم الضامن، عبد الرازق الحويزي، وأحمد مطلوب، وعبدالفتاح الحموز، وعدنان

البخيت، وعفيف عبدالرحمن، ومحمد خير البقاعي، ويوسف بكار، وحسن الكرمي، ونوري حمودي القيسي، وفايز القيسي، وأنور أبو سويلم، وهلال ناجي، ومصطفى الحيارى، وعبدالقادر الرباعي وغيرهم العشرات من الباحثين.

وفوق ذلك، فإن مجلة الجمع قد نعت عشرات المحققين الذين أحيوا ما كاد أن يندثر من تراث أمتهم، تقديرًا منها لأعمالهم، ولتكون ذكراهم خالدة في نفوس محبي العربية وتراثها، نذكر منهم -رحمة الله عليهم-: حسني سبيح، أحمد سعيدان، إحسان عباس، شوقي ضيف، محمد بهجة الأثري، نوري حمودي القيسي، شكري فيصل، ميخائيل عواد، عبدالسلام هارون، صفاء خلوصي، عبدالله كنون، عبدالستار الجوارى، محمود إبراهيم وغيرهم العشرات.

خامساً - إن جهود أعضاء الجمع، ومنجزاتهم العلمية في ميدان تحقيق التراث جديرة بالإعجاب والتقدير، إذ نشروا العشرات من كتب التراث وموسوعاته، ورسائله ومقاماته، علماً بأن واحداً من أعضاء الجمع هو أول من حقق نصاً من نصوص التراث في الأردن، وذلك في خمسينيات القرن الماضي وهو عبدالكريم خليفة. وفاز عضو آخر بجائزة الدولة التقديرية في الأردن في الآداب وموضوعها "تحقيق التراث" في عام ٢٠٠٩م، وهو سمير الدروبي.

سادساً - عني الجمع باستضافة كبار المحققين في العالم العربي، لإلقاء محاضراتهم في موضوعات تحقيق التراث، ومنهم شيخ المحققين عبدالسلام

هارون الذي شرف المجمع في وسط الثمانينيات من القرن الماضي، وآخرهم عبدالعزيز المانع من جامعة الملك سعود (الرياض سابقاً) وهو الفائز بجائزة الملك فيصل في "تحقيق التراث"، وغيرهم من العلماء المعاصرين.

سابعاً- يطمح المجمع ويأمل في إنجاز التوصيات والمقترحات النيرة التي قدمتها لجنة التراث التي هي واحدة من أهم لجانه العاملة.

ثامناً- دأبت المواسم الثقافية التي يعقدها المجمع سنوياً على أن يكون التراث وتحقيقه والإفادة منه من جملة موضوعاتها ومحاضراتها.

تاسعاً- شارك بعض أعضاء المجمع في المؤتمرات والندوات والمحافل العلمية ذات العلاقة بتحقيق التراث العربي ونشره، ولهم أبحاثهم ومشاركاتهم العلمية المتميزة في تلك المؤتمرات والندوات.

عاشراً- هناك بضعة أعضاء من المجمع يشاركون في عضوية الجمعية الأردنية لتاريخ العلوم، وهي جمعية علمية تُعنى بالتراث العلمي العربي، تعمل على دراسته ونشره.

حادي عشر- وإنصافاً للمجمع، فإنه لا بُدّ من القول: إنه قد سعى سعيًا حثيثاً إلى تحقيق مخطوطات أخرى قبل عقدين من الزمان تقريباً، ولكنها لم تر النور؛ لأن بعضاً من الباحثين الذين كلفهم المجمع بتحقيقها لم ينجزوا ما عهد إليهم به.

فهرست المصادر والمراجع

- ١- أحمد أمين مصطفى: فن المقامة بين البديع والحريري والسيوطي. ط١، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٥١م.
- ٢- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٧٧١م): الحيوان. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. ط٢، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٦م: ٧٩/١.
- ٣- الجديع، خالد بن محمد: المقامات المشرقية (٥٥٠-١٢٠٠هـ). ط١، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- ٤- ابن جماعة، بدر الدين (ت٧٣٣هـ): تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم. دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.
- ٥- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ—): تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطائف العلماء. حققه وضبط نصه: بشار معروف عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- ٦- خليفة، عبدالكريم: اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث. ط٢، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ٧- الدروبي، سمير:

- "الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة وتحقيق التراث العربي" مقالة منشورة في مجلة أفكار الأردنية، العدد (٢٧٣)، تشرين أول، ٢٠١١م.

- الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي. ط ١، مركز الملك فيصل لبحوث الحضارة الإسلامية. الرياض، ٢٠٠٨م.

- الرعاية وأثرها في تحقيق النصوص المترجمة في العصر العباسي. بحث منشور ضمن وقائع مؤتمر تحقيق التراث المنعقد في مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

- "من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره". مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة العشرون، العدد (٥٠)، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- منهج البخيث والسوارية في تحقيق النصوص ونشرها، بحث مقدم ضمن كتاب: محمد عدنان البخيث مؤرخاً وموثقاً وأستاذاً ومؤسساً. ط ١، مؤسسة عبدالحميد شومان، عمان، الأردن، ٢٠١٠م.

٨- سانشيز، إكسيراثيون غارثيا: "الزراعة في إسبانيا المسلمة". ضمن كتاب: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس. تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.

٩- سعيدان، أحمد: تاريخ الحساب العربي، ط ١، جمعية المطابع التعاونية، عمان، ١٩٧١م.

١٠- ابن سنان، أبو إسحاق إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قُرة (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م): رسائل ابن سنان. تحقيق: أحمد سليم سعيدان، ط ١، الكويت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١١- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): شرح مقامات جلال الدين السيوطي. تحقيق: سمير الدروبي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

١٢- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات: مصر). ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٣- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): مقامة رشف الرحيق في وصف الحريق. دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير، عمان، ٢٠٠٢م.

١٤- العسلي، كامل: مخطوطات فضائل بيت المقدس. ط ١، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، ١٩٨١م.

١٥- العناسوة، محمد علي: كشف مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. ط ١، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، ٢٠٠٧م.

١٦- ابن العوام، أبو زكريا يحيى بن محمد (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م): الفلاحة الأندلسية. تحقيق: أنور أبو سويلم، سمير الدروبي، علي محاسنة، ط١، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

١٧- الغباري، عوض: مقامات السيوطي (دراسة في المقامة المصرية). ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠١٤م.

١٨- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا. وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٩- مجمع اللغة العربية الأردني:

- التقرير السنوي، لسنة ٢٠٠٥م.

- الموسم الثقافي الخامس والعشرون لمجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢٠- محمود إبراهيم: فضائل بين المقدس في مخطوطات عربية قديمة. ط١، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٤٠٦هـ.

٢١- محمود علي عطالله: فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية في عكا، ط١، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٢- مؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري: الحوادث. حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف وعماد عبدالسلام رؤوف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧م.

٢٣- نصير، عبدالمجيد:

- حول جهود المحققين الأردنيين في إحياء التراث العلمي، موقع عبدالمجيد نصير على الشبكة.
- التراث العلمي العربي الإسلامي في المواسم الثقافية لمجمع اللغة العربية الأردني، دراسة وتحليل. بحث قدم ضمن الموسم الثقافي الخامس والعشرون لمجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٢٨-٢٠٠٧م.

الباب الرابع

في رحاب مجامع اللغة العربية

دور مجامع اللغة العربية في تعريب المصطلحات العلمية

الأستاذ الدكتور عبدالقادر عابد

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

ملخص

تأسست في عدد من الدول وفي أزمنة متباينة مجامع للغة العربية، كان أولها وأقدمها المجمع العلمي في دمشق عام ١٩١٩. تبعته مجامع القاهرة وبغداد وعمّان، وهكذا إلى أن أصبحت ١٤ مجمعاً، يضاف إليها اتحاد مجامع اللغة العربية. ومن بين ما اهتمت به المجمع تعريب المصطلح العلمي بحيث استطاعت أن تولّد أكثر من مئتي ألف (> ٢٠٠٠٠٠) مصطلح علمي نشرت في كتيبات أو كتب أو معاجم كبيرة. وكانت بذلك تحاول أن تلبي حاجة المجتمع المحلي لتعريب هذه المصطلحات. ومن بين طرق التعريب المتبعة: إيجاد لفظ عربي للمصطلح، وإيجاد لفظ عربي مع ترجمة السوابق واللواحق، والتعريب الذي توسعت فيه كثيراً، ثم النحت. وقد سعى اتحاد مجامع اللغة العربية إلى توحيد المصطلحات التي تصدر عن أعضائه في ندوات كثيرة أقامها لهذا الغرض. وبرغم كل هذه الجهود المباركة لم تستطع المجمع من القيام بمهمتها والنهوض باللغة العربية لمعوقات كثيرة من بينها عدم وجود القرار السياسي من أنظمة الحكم وشرذمة الأمة وتبعيتها.

توطئة

اللغة وعاء الفكر والنطق والاتصال. وهي الوسيلة التي من خلالها تحدث القراءة والكتابة والإبداع ويجري التلاقح بين حضارات العالم. وبها ينتقل العلم والمعرفة عبر العصور وعبر اللغات المختلفة. فهي، والحالة هذه، ضرورة اجتماعية إنسانية حضارية، لا يمكن لأمة متحضرة العيش بدونها. وتنفرد اللغة العربية بميزة لا تتوافر في كثير من لغات الأمم الأخرى، هي أنها لغة الوحي والقرآن الذي حفظها عبر هذا الزمن المتطاوّل دون تحريف. وهي اليوم الرابط الوحيد الباقي بين أبناء الأمة بعد أن تشرذمت هذه الأمة وعلت أسوار العزلة وثخنت.

أدّت الفتوحات الإسلامية إلى أن أصبحت دولة الخلافة الإسلامية الدولة الأولى في العالم آنئذٍ. ومن ثم، أصبحت اللغة العربية اللغة الأولى في العالم أيضاً. وبقيت كذلك ما يزيد على سبعة قرون متواصلة^(١). في هذه المرحلة الأولى، انضوى تحت لواء الدولة العربية الإسلامية أقوام كثر ولغات شتى. ونشطت الترجمة من تلك اللغات إلى العربية خاصة في صدر الدولة العباسية، مما اضطر علماء الأمة آنذاك إلى الدخول في تفاصيل وضع المصطلح العلمي في كل أنواع العلوم. وقد نجحوا في ذلك، فأدخلوا آلاف المصطلحات العلمية التي ارتقت باللغة العربية العلمية إلى مرتبة نقل جميع علوم الحضارات السابقة إلى العربية ثم حمل إبداعات علمائنا العظام التي أعقبت تلك الفترة^(٢،٩،١). فأصبحت اللغة العربية بذلك مولدة للمصطلح العلمي أي صانعة له ابتداءً وليست متلقية له.

وإثر حروب طويلة طاحنة وتخريرية، بدأت الأمة بالانحدار حضارياً وعلمياً ولغوياً، ثم غرقت في سبات عميق طويل لم تخرج منه. ثم تشظت الأمة في القرن الأخير، فأصبحت بضعاً وعشرين دولة، لا تستطيع واحدة منها أن تدعي أنها مسؤولة عن حماية هذه اللغة، ناهيك أن تعمل على النهوض بها وتحمل تبعات ذلك كاملة كما في فرنسا أو بريطانيا. فأضحت لغتنا العربية يتيمة الأب والأم لا تجد حضناً دافئاً تلجأ إليه، إلا من بعض الغيورين الذين تنادوا لإنشاء مجامع اللغة العربية.

يهدف هذا البحث إلى إبراز دور مجامع اللغة العربية في تعريب المصطلحات العلمية. أي كيف نعبر عن المعاني والألفاظ والمسميات وسيل المصطلحات الأجنبية الجديدة بألفاظ ومسميات ومصطلحات عربية تلائم خصائص لغتنا، ولا تتمرد على قوانينها ونظامها.

١. سياق تاريخي في نشأة المجامع

المجمع مؤسسة علمية ثقافية يجتمع فيها جماعة من العلماء للنظر في ترقية الفنون أو العلوم أو الآداب. ويهدف إلى الحفاظ على اللغة وسلامة بنائها وتراكيبها وقواعدها من الدخيل وتأثيرات اللغة الوافدة بشق أسبائها. ويعمل على إيجاد المصطلحات في الموضوعات العلمية المختلفة بغية تسهيل نقل تلك العلوم إلى العربية.

بدأت إرهاصات تكوين مجامع اللغة العربية في عدد من البلدان قبل وقت ليس بالقصير من الإعلان الرسمي لتأسيس تلك المجامع. ففي الأردن^(٣٨) مثلاً، بدأت فكرة إنشاء مجمعه عند تأسيس إمارة شرقي الأردن. فقد جاء في

ص^(٤٦) من المجلد الرابع من مجلة المجمع العلمي العربي، بدمشق أن الأمير عبدالله، مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية، أمر في كانون الثاني سنة ١٩٢٤م بتأسيس مجمع علمي في عمان يتألف من: سعيد الكرمي رئيساً، ورضا توفيق، ومصطفى الغلاييني، ورشيد بقدونس، ومحمد الشريقي، وأعضاء الشرف: أحمد زكي، ومحمد كرد علي، وعباس الأزهري، وأنستاس الكرمل، وإسعاف النشاشيبي. وأهدافه: إحياء اللغة العربية، ونشر المدارس، وإلقاء المحاضرات، وإنشاء دار كتب، وإصدار مجلة شهرية. ثم أنشئت في وزارة التربية والتعليم بعمان سنة ١٩٦١م اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر التي أصدرت فكرة تأسيس المجمع. وفي سنة ١٩٧٣م وافق مجلس الوزراء الأردني على إرسال ثلاثة وفود من أعضاء لجنة التعريب لزيارة مجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وبغداد للاطلاع ودراسة أعمال هذه المجامع، ثم وافق مجلس الوزراء في العام نفسه على طلب وزير التربية والتعليم تأسيس المجمع. الذي نشأ فعلياً عام ١٩٧٦. انظر جدول رقم ١. وقد جرت محاولات مماثلة في معظم البلدان التي بها مجامع.

كان أقدم المجامع مجمع سوريا الذي أنشئ في عهد الملك فيصل، ملك سوريا، بعد انتهاء العرب العالمية الأولى مباشرة^(٤٧). تلاه المجمع العلمي في بيروت عام ١٩٢٠ برئاسة عبدالله ميخائيل البستاني، إلا أنه ألغي أو أغلق بمرسوم بعد عامين من نشأته تقريباً. ثم مجمع القاهرة الذي نشأ عام^(٤٨) ١٩٣٢. وقد سمي في البداية "مجمع اللغة العربية الملكي"، ثم غير اسمه في عام ١٩٣٨م فصار "مجمع فؤاد الأول للغة العربية"، ثم غير بعد ذلك إلى "مجمع اللغة العربية". وهكذا، توالى إنشاء المجامع العربية كما هو واضح في جدول رقم ١.

جدول رقم ١

مجامع اللغة العربية والبلدان التي أنشئت فيها وتاريخ إنشاء كل منها

اسم المجمع	البلد	تاريخ إنشائه
١ المجمع العلمي العربي	دمشق، سوريا	١٩١٩/٦/٨
المجمع العلمي	بيروت، لبنان	١٩٢٠ أغلق بعد عامين تقريباً
٣ مجمع اللغة العربية	القاهرة، مصر	١٩٣٢/١٢/١٣
٤ المجمع العلمي	بغداد، العراق	١٩٤٧/١١/٢٦
٥ اتحاد مجامع اللغة العربية	القاهرة، مصر	١٩٥٧
٦ المكتب الدائم لتنسيق التعريب	الرباط، المغرب	١٩٦١
٧ مجمع اللغة العربية الأردني	عمّان، الأردن	١٩٧٦/١٠/١
٨ المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون	قرطاج، تونس	١٩٨٣
٩ المجمع الجزائري للغة العربية	الجزائر	١٩٨٦/٨/١٩
١٠ مجمع اللغة العربية السوداني	الخرطوم، السودان	١٩٩٣
١١ مجمع اللغة العربية	بيت المقدس، فلسطين	١٩٩٤
١٢ مجمع اللغة العربية الليبي	طرابلس، ليبيا	١٩٩٤
١٣ مجمع اللغة العربية	حيفا، فلسطين	٢٠٠٧
١٤ مجمع اللغة العربية الفلسطيني	غزة، فلسطين	٢٠١٣
١٥ مجمع اللغة العربية	مكة المكرمة، السعودية	٢٠١٢/٢/١٨

أهداف مجامع اللغة العربية

على الرغم من تعدد مجامع اللغة في البلدان العربية، إلا أن أهدافها تكاد تكون متشابهة تتمحور حول المحافظة على اللغة العربية والنهوض بها. ومن بين هذه الأهداف، نذكر ما يأتي (٣٨، ٣٩، ٤٠):

- المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون وملائمة لحاجات الحياة المتطورة.
- وضع المصطلحات العلمية والفنية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهجية محددة والسعي في توحيدها ونشرها في الوطن العربي.
- العناية بالدراسات العربية التي تتناول تاريخ الأمة العربية وحضارتها وصلتها بالحضارات الأخرى.
- العناية بإحياء التراث العربي الإسلامي في اللغة والعلوم والفنون والآداب تحقيقاً ونشراً.
- النظر في أصول اللغة العربية وضبط أقيستها، وابتكار أساليب ميسرة لتعليم نحوها وصرفها وتوحيد طرائق إملائها وكتابتها، والسعي في كل ما من شأنه خدمة اللغة العربية وتطويرها وانتشارها.
- السعي في الحؤول دون استفحال العامية والأجنبية في شتى المجالات.
- وضع معجمات لغوية عصرية ومعجمات للمصطلحات العلمية ذات تعريفات محددة.
- توثيق الصلة باتحاد الجامعات اللغوية العلمية العربية والتعاون مع الجامع والهيئات اللغوية والعلمية الأخرى لخدمة أغراضه.
- السعي لدى الجهات المسؤولة لاتخاذ كل ما يكفل تنفيذ ما ينتهي إليه المجمع من قرارات لسلامة اللغة وتيسير تعميمها وتوحيد المصطلحات فيها.
- اتخاذ ما يراه من تدابير لخدمة أغراضه.

٢. طرق وضع المصطلح العلمي

عانى الأوروبيون في وضع المصطلح العلمي، عندما نقلوا العلوم العربية الإسلامية من العربية إلى اللاتينية ولغات أوروبا المختلفة، ما عاناه المترجمون إلى العربية من اللغات السابقة لها قديماً وحديثاً. ففي الحالة الأولى، الترجمة إلى اللغة العربية من اللغات السابقة لها، أدخل إلى العربية عدد كبير من المصطلحات سواء أكانت عربية صرفة أم محورة لتصبح على جرس عربي أو غير ذلك (المعرب)^(١٦، ٧). ولو نظرت فيما كتب وألف قديماً، لوجدت آلاف الألفاظ العلمية التي أدخلت في شتى حقول العلم من مثل حقل الطب: الطب العام، وطب الأطفال، وطب العيون، وطب الأمراض السارية، والطب النفسي، والتشريح والجراحة وأدوات الجراحة، والعقاقير الطبية والمسكنات والنباتات الطبية، والبيمارستانات وغير ذلك كثير من الحقول^(٣، ٥، ٢٠، ٢٢). وقد وضعت الكتب في علوم الفلك^(٢٧) وعلوم الأرض^(١٣) والكيمياء والطبيعة والبصريات وعلم الحيوان والنبات^(٤) والفلاحة (الزراعة) والجغرافيا^(١٠) والرياضيات^(٢٦) (الحساب والجبر والهندسة وحساب المثلثات...). وكتب في الموسيقى وعلم الحيل (الميكانيكا). القائمة طويلة. ولندرك أهمية هذا التنوع المعرفي، فإن علينا مقارنة تعدد هذه الحقول بما كانت عليه اللغة العربية في العصر الجاهلي أو حتى عهد الخلافة الراشدة والأموية لنجد أن بينها بوناً شاسعاً. مما أدى إلى نشوء اللغة العربية العلمية^(١٦، ٧).

وفي عملية مماثلة قام الأوروبيون بأخذ المصطلحات العربية التي لم يجدوا لها المقابل في اللاتينية إلى لغاتهم مع تحريف كثير أو قليل. وهو ما يشبه المعرب عندنا. وتستطيع أن تجد شيئاً من هذه المصطلحات المترجمة من العربية في

كثير من اللغات الأوروبية حتى اللحظة الحاضرة جرى تحويلها لتتلاءم مع تلك اللغة. ومن أمثلة ذلك لا على سبيل الحصر:
لفظ (صفر) أصبح ينطق زيرو zero بالإنكليزية وسيفر cifer بالبرتغالية،
وسيفرا Cifra بالإسبانية وسيفيرا Sifera بالإيطالية، وشيفر
بالفرنسية Chiffre. والشيفرا مأخوذة من الصفر العربية.

الخوارزمية	Algorythm
الجبر	Algebra
أمير البحر	Admiral
التعرفة	Tarif
دار الصناعة	Arcenal
الغول (الكحول)	Alcohol
مخزن	Magazin
المناخ	Almanak
زرنيخ	Arsenic
بتمام الرؤية	Bachelor
زعفران	Zaffron
أسماء أكثر من ١٢٥ نجماً رئيسياً من نجوم السماء ^(١٢، ٢٧، ٣٠) من مثل:	
الذنب	Deneb
الطائر	Altair
ثعبان	Thuban
القائد	Alkaid
الأولى	Aloula

ما زالت موجودة حتى اللحظة على خرائط السماء التي تصدر باللغات الأوروبية المختلفة

في العادة تسير الترجمة من اللغة الأكثر تقدماً حضارياً وعلمياً إلى اللغة الأقل حظاً من التقدم العلمي والتقني والمدني. فعندما كانت الحضارات السابقة للحضارة العربية الإسلامية أكثر تقدماً من محتوى الحضارة العربية الإسلامية، كانت الترجمة إلى العربية. وهو بعينه ما حدث من العربية إلى اللاتينية ولغات أوروبا عندما أصبحت العربية تضم محتوى العلم والتقانة والفلسفة والآداب العالمية. وقد دار التاريخ دورته، وعدنا الأمة المتلقية للعلم والتقانة. وفي كل حالة، فإن اللغة الأقل تأثيراً تستفيد وترتقي بالترجمة. وهو واضح.

١.٤ المصطلح

لا يراودنا شك في أن الترجمة الجيدة أو التأليف الجيد تعد نتيجة لوجود المصطلح الجيد. فالمصطلح، وهو في العادة كلمة واحدة أو قد يكون أحياناً أكثر من ذلك، ينوب، عند استعماله، عن جملة كاملة أو قد ينوب عن فقرة كاملة في بعض الحالات. ومن غير المقبول في التأليف أو الترجمة أن يشرح كل مصطلح بجملة، فتطول الترجمة وترهل ولا يفهم معناها، خاصة عند تكرار المصطلح مرات في الفقرة أو الصفحة أو المقالة. وهو أيضاً غير مقبول أو ممكن في الترجمة النطقية أو المباشرة في المؤتمرات أو الخطابات. ومن ثم كان لازماً على حركة نقل العلوم أن تعنى بتخليق المصطلحات المناسبة في جميع الفنون والحقول المعرفية. وهو ما حدث في حركة الترجمة والنقل المباركة قديماً حيث تُرجمت معارف حضارات الهند وفارس ومصر القديمة والإغريق إلى اللغة العربية. وهو ما حدث عند ترجمة محتوى الحضارة العربية

الإسلامية إلى اللاتينية واللغات الأوروبية. وهو ما يحدث حالياً في الجامع والجامعات.

١.١.٤ طرق وضع المصطلح

لقد تغلب العرب المسلمون في الماضي، وتابعهم المعجميون في العصر الحديث، على ذلك باتخاذ طرق عدة في وضع المصطلح. ومن ذلك في عجلة لا تعد استقصاء بل أمثلة موضحة:

١.١.١.٤: إيجاد أصل عربي للمصطلح

أ. وضع المصطلح العربي الأصل

حيث يوجد المترجم أو العالم أو الطبيب كلمة عربية أصيلة تعبّر عن المصطلح الذي يريده سواء كانت من مصطلحات قديمة أو مما يمكن أن يستحدثه^(٧، ١١، ١٥، ١٨، ٢٣، ٢٥، ٢٦). ويكون لهذا المصطلح جذره الثلاثي ويمكن التصريف منه بسهولة. وهو المصطلح الأفضل وضعاً لانضباطه مع أصول اللغة العربية، مما يريح أهل اللغة. وهي كثيرة جداً لأنها الأصل في وضع المصطلحات. ومن أمثلة ذلك:

Ashing	ترמיד:
Evaporation	تبخير:
Condensation	تكاثف:
Distillation	تقطير:
Streak	حُكاكة:
Mineral	معدن:

طبقة: Bed, layer or stratum

خزانة (مائية جوفية): Aquifer

قشرة Crust

جو Atmosphere

التهاب Infection

ب. إيجاد الاسم العربي المقابل للاسم الأجنبي

حيث وضعت أسماء عربية في النبات والحيوان والمعادن مقابلة لما هو موجود في اللغات التي ترجم منها. لقد كانت هذه المهمة صعبة على المترجمين في البداية إلا أنه في التراجم أو المؤلفات اللاحقة كثرت الأسماء العربية المقابلة لما ترجم سابقاً وبقي مكتوباً باللغة الأصلية المترجم منها. ومن أفضل من عمل ذلك ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأغذية والأدوية^(٤). ومن أمثلة ذلك:

لاباين: حُمَاض

فودنج: حبق

أقاقليس: أثل

ج. وضع اسم عربي لمعنى الاسم الأجنبي بعد ترجمة السوابق واللواحق
فقد ترجم ابن البيطار السابقة poly=polys "كثير". وهي يونانية دخلت إلى اللاتينية ثم إلى لغات أوروبا الحديثة. ومن أمثلة ذلك^(٤):

بولوبدونون polypodium كثير الأرجل

بولوغاناطن polygonatum كثير العقد

ويترجمها المحدثون "عديد أو متعدد".

اللاحقة oid=eides "شبيه". وهي يونانية دخلت إلى اللاتينية ثم إلى لغات أوروبا الحديثة. ومن أمثلة ذلك:

دوفنويداس dophnoedes شبيه الغار

مرسنويداس myrsinoeides شبيه الآس

وقد أدخل المعجميون المحدثون سوابق ولواحق أخرى. فقد استخدموا السابقة "لا" النافية مقابل non من مثل لاخطّي مقابل nonlinear ولارياضي مقابل nonathletic. واستخدمت السابقتان "فرط" مقابل super و"هبط" مقابل sub.^(٣٩) وغير ذلك كثير مما يحتاج لبحث خاص به.

٢.١.١.٤ المعرب

وقد لجأ إليه العلماء كثيراً خاصة في بدايات عصر الترجمة وفيه اختلاف بين المترجمين وبين العلماء في كتبهم اللاحقة لعملية الترجمة. ونستطيع أن نميز بين نوعين من الألفاظ المعربة:

أ. إبقاء اللفظ على شكله الأصلي

أدخلت ألفاظ كثيرة إلى العربية دون تغيير أو بتغيير بسيط ناتج عن كيفية كتابة الأصوات أو الحروف في اللغات المترجم منها. وقد سماه البعض "الدخيل". كان ذلك واضحاً جداً في بدايات عمليات الترجمة حيث كان المترجمون يضعون اللفظ كما في الأصل المترجم ومعه أحياناً معناه العربي. وفي هذه الحالة لا يخضع المصطلح إلى عمليات الاشتقاق والتصريف وقواعد

اللغة العربية. غير أنه في مرحلة لاحقة أزيلت بعض الألفاظ الأصلية وبقي اللفظ العربي المقابل. ومن أمثلة ذلك:

هندسة	geometric	جومطريا
الحكمة المموهة	sophistiism	سوفسطيقا
حساب	arithmetic	أرثماطيقا
تحليل	analytics	أنالوطيقا
فلك	astronomy	أسطرونوميا
شعر	poetica	بوطيقا

ومنها حديثاً سينما وأنزيم وغلو كوز وبلازما وأيون (في سوريا "شاردة"). ونضيف إلى ذلك، حديثاً، إدخال أسماء الصخور والمعادن مثلاً، كما هي، مع تغيير بسيط يمنع التقاء الساكنين في هذه الأسماء. وفي هذه الحالة، نقرب "ite" التي تلازم نهايات معظم المعادن والصخور إلى "يت". فيصبح granite غرانيت وليس غرانيت^{٤٠}. ومن أمثلة ذلك:

Granite	غرانيت (صخر)
Andesite	أنديزيت (صخر)
Calcite	كالسيت (معدن)
Dolomite	دولوميت (معدن)
Aragonite	أراغونيت (معدن)

ومنها أيضاً إبقاء أسماء العصور الجيولوجية كما هي ولكن بعد وضع ياء النسبة بدلاً من النسبة الأجنبية، من مثل:

Jurassic	جوراسي
Triassic	ترياسي
Devonian	ديفوني
Cambrian	كمبري
Hadian	هادي

ب. التعريب أو المعرب وهو التصرف في اللفظ ليصبح في صيغة عربية قابلة للاشتقاق^(١٦، ٢٩). وهذا النوع من التعريب في اعتقادي، جيد لأنه يُغني اللغة ويثريها بمصطلحات جديدة ولكنها منضبطة مع أصول اللغة بحيث يمكن وضعها في المعاجم على أساس من جذورها الذي تشتق من اللفظ المعرب. وقد وضع أهل اللغة مجموعة ليست صغيرة من الأبنية الصرفية لمثل هذه الألفاظ المعربة. ومن ذلك مثلاً: مفعّل كمخرز ومبضع، ومفعّل كمَنْظَر ومسبار ومنظار، ومفعلة كمدحلة ومنقلة... إلخ. وقد اشتقت الأفعال من تلك الصيغ على النحو الآتي:

هندس	ومنها مهندس وهندسة، فارسية معربة
بهرج	وهي فارسية معربة من نبهرة
دوّن	وهي فارسية معربة ومنها الديوان
ينسن	معربة ومنها يانسون
زنجر	من زنجار
فلسف	وهي يونانية معربة

بلور	فارسية معربة
زيبق	من زئبق
ملغم	من ملغمة
تلفز	من تلفزيون
سمنت	من cementation
دلمت	من dolomite
تلفن	من telephone
هدرج	من هيدروجين
وغيرها كثير.	

٣.١.١.٤ النحت (٣٧، ٣٦، ٣٥)

ويكون بأن ندمج مصطلحين في مصطلح واحد بعد تعرييهما أو إيجاد المقابل العربي لهما. وهو أقل طرق وضع المصطلح شيوعاً ورغبة. مثال ذلك:

كهروضوئي	كهربائي ضوئي
كهروطيسي	كهربائي مغناطيسي
زمكان	زمان - مكان
برمائي	بري مائي
بتروكيميائي	بتروك - كيميائي
شرسبة	شاردة سالبة (أيون سالب)
شرجبة	شاردة موجبة (أيون موجب)

آلية وضع المصطلح في المجامع: المجمع الأردني مثلاً (١٨، ٣٨)

في أحد مصادرها، تأتي المصطلحات إلى المجمع من مؤسسات الدولة التي ترغب في تعريب المصطلحات المتداولة في أعمالها، من مثل دائرة الأرصاد الجوية وسلاح الجو أو نقابة المهندسين أو وزارة الزراعة أو مديرية التنقيب عن النفط أو غير ذلك من مؤسسات ودوائر. يُرسل المكتب التنفيذي للمجمع (هيئته الإدارية) قائمة المصطلحات التي تصله إلى اللجنة المختصة بتعريب ذلك الموضوع من العلوم، حيث تقوم اللجنة باختيار خبير من خارج المجمع ترسل إليه القائمة. يقوم الخبير بوضع المقابلات العربية لهذه المصطلحات مع وصف مختصر لكل مصطلح منها معتمداً على قوائم المصطلحات المنشورة من المجامع أو المعاجم أو غير ذلك. ثم تجتمع اللجنة مع الخبير وتناقش هذه المقابلات ووصفها واحدة تلو الأخرى. حتى إذا انتهت من ذلك وأقرت القائمة كاملة، أرسلتها إلى مجلس المجمع، الذي يقوم بدوره بتوزيعها على أعضاء المجلس، ليصار إلى إقرارها في جلسات المجلس. تنشر بعد ذلك وتعاد إلى الجهة التي أرسلتها ابتداء. يغلب على هذه القوائم أن تكون مصطلحاتها قليلة العدد، تتراوح بين عشرات المفردات إلى مئتها ونادراً ما تصل إلى آلاف قليلة.

وفي مجامع أخرى، جرى وضع المقابلات العربية لعلم كامل^(١٧، ٣٤)، مما يستحق تسميته معجماً، من مثل معجم الجيولوجيا أو الهيرولوجيا وغيرهما مما وضعه مجمع اللغة العربية في القاهرة. وإضافة إلى ما تقدم، فإن مجمع القاهرة كان يرسل المعاجم التي انتهى من إقرارها إلى مؤتمرات اتحاد مجامع اللغة العربية ليقوم الأخير بدراستها وإقرارها، سعياً وراء توحيد المصطلح العربي وشيوعه في الأمة وليس في مصر وحدها.

٣. دور المجامع في تعريب المصطلحات العلمية

لا يقتصر التعريب على وضع المصطلحات العلمية فقط، فهو أي التعريب في صورته الكلية يُعنى أيضاً بنقل العلوم إلى العربية من خلال ترجمة كتب التدريس الجامعية أو ترجمة أمهات الكتب العلمية بشكل عام.

١.٦ جهود المجامع في تعريب المصطلحات العلمية

يمكن القول، وبطمأنينة، إن مجامع اللغة العربية قد أنتجت مئات آلاف المصطلحات العلمية العربية في حقول العلوم جميعها مستخدمة طرق وضع المصطلح العلمي المختلفة^(١٧). وهي، كما ترى، ثروة لغوية كبيرة أسهمت دون شك في تسهيل تعريب العلوم والترجمة إلى العربية. وحتى نوضح هذه الجهود، دعنا نأتي على بعض ما أنتجته المجامع من مصطلحات.

١.١.٦ جهود مجمع اللغة العربية الأردني

فقد قد قام مجمع اللغة العربية الأردني بوضع قوائم مصطلحات عدد من الدوائر والمؤسسات تراها في الجدول رقم ٢ ومجموعها نحواً من ٢٢٨٢١ مصطلحاً^(٣٨). يُرى الشكل ١ صورة أمامية لمجمع اللغة العربية الأردني عند الطرف الشمالي لموقع الجامعة الأردنية.



شكل ١ صورة أمامية لمجمع اللغة العربية الأردني

جدول رقم ٢

يري المصطلحات العلمية التي وضعها مجمع اللغة العربية الأردني مأخوذة من

موقعه/ www.majma.org.jo

عدد المصطلحات	أسماء القوائم	عدد المصطلحات	أسماء القوائم
٣٢٥	مصطلحات السلامة العامة	١١٠٠	مصطلحات الزراعة
١١٥٤	مصطلحات التكييف والتبريد	٨٧٠	مصطلحات التمريض
٢٨٥	مصطلحات الوقاية من الحرائق	١٥٠٠	مصطلحات الصيانة
٢٣٠	مصطلحات الهندسة: حرائق	٤٠٠	مصطلحات ميكانيك السيارات
٧٥	مصطلحات الهندسة: صواعق	٢٣٠	مصطلحات البناء والجدران
٢٦٥	مصطلحات الهندسة: سلامة عامة	٢٦٠	مصطلحات الخرابة
٢٤٨	مصطلحات الهندسة: أعمال مدنية وعقارية	١٧٠	مصطلحات جمال المدينة
٢٠٠	مصطلحات الهندسة: مصاعد	٣٢٥٠	مصطلحات الإذاعة والتلفاز
٨٠	مصطلحات الهندسة: مواصفات أعمال المباني	٢٨٥	مصطلحات الإنذار من الحرائق
٧٠٠	مصطلحات الأرصاد الجوية	٧٩	مصطلحات الهندسة: أحمال وقوى

٨٥٠	مصطلحات عسكرية: مشاة	٦٨	مصطلحات الهندسة: استطلاع موقع
٨٥٠	مصطلحات عسكرية: مساحة	٢٢٠	مصطلحات الهندسة: إنارة داخلية
١٣٠٠	مصطلحات عسكرية: سلاح الجو	٨٥	مصطلحات الهندسة: إنارة طبيعية
٢٠٠	مصطلحات عسكرية: استطلاع الموقع	١٩٥	مصطلحات الهندسة: أساسات
٨٥	مصطلحات عسكرية: استخبارات	٩٥	مصطلحات الهندسة: تأريض
١٥٠٠	مصطلحات عسكرية: مدفعية	٧٢	مصطلحات الهندسة: قهوة طبيعية
٨٥٠	مصطلحات عسكرية: تموين ونقل	١٩٠	مصطلحات الهندسة: تمديدات كهربائية
١٥٠٠	مصطلحات عسكرية: صيانة	٦٢	مصطلحات الهندسة: سقالات
٥٥٠	مصطلحات عسكرية: دروع	٥٧	مصطلحات الهندسة: طوبار وقوالب
٣٠٠	مصطلحات عسكرية: هندسة	١٤٥	مصطلحات الهندسة: صوتيات
١٥٥٠	مصطلحات عسكرية: لاسلكي	٢٠٦	مصطلحات الهندسة: خرسانة سابقة الإجهاد
٢٢٨٢١	المجموع	٤٧٠	مصطلحات الهندسة: خرسانة عامة

٢.١.٦ جهود المجمع العلمي في بغداد

وبطريقة مماثلة وضع المجمع العلمي في العراق ١٠٩٣٢ مصطلحاً في موضوعات علمية نابغة من حاجة البلاد لذلك، مأخوذة مما أتاحه موقع المجمع العراقي على الشبكة:

⁽³⁹⁾<http://www.iraqacademy.iq/PageViewer.aspx?id=5>

وتجدها في الجدول رقم ٣. يضاف إلى ذلك ما عمله في توحيد مصطلحات اتحاد مجامع اللغة العربية.

جدول رقم ٣ مصطلحات علمية وضعها المجمع العلمي في بغداد (٣، ٣٩)

أسماء القوائم	عدد	أسماء القوائم	عدد
المصطلحات	المصطلحات	المصطلحات	المصطلحات
مصطلحات علمية عامة	٨٤٣	غزل ونسيج	٧٠
نفط	١١٣٨	مقاومة المواد	٢٦١
فضاء	١٦٦	هندسة المياه	١٨٢
تربية	٢٩٦	جراحة وتشريح	٢١٣٧
تربية بدنية	٧٠٢	ولادة	١٩٠٥
سكك حديدية	٢٣٥	هندسة مدنية	٩١٧
آلات احتراق داخلي	١٣٣	كيمياء	١٠١٥
ألفاظ الحضارة في	٣٠٣	فنون الحضارة القديمة	٦٢٩
مصطلحات البناء والمترل			

المجموع ١٠٩٣٢ مصطلحاً

٣.١.٦ جهود مجمع اللغة العربية في القاهرة

يبدو أن الزخم الأكبر في تعريب المصطلحات العلمية قد كان وما يزال في مجمع القاهرة. فقد "أخرج المجمع من مجموعات المصطلحات ٤٧ مجموعة تضم أكثر من مئة وتسعين ألف مصطلح (١٩٠٠٠٠) عدا الآلاف التي تعدها وتدرسها اللجان في مختلف التخصصات بما قد يصل إلى قرابة (٢٠٠.٠٠٠) مئتي ألف مصطلح"^(١٧). وقد "تجمّع لدى المجمع عبر سنواته الطوال كمٌّ هائلٌ من المصطلحات العلمية في مختلف التخصصات أعدته اللجان العلمية بأعضائها وخبرائها وأقرّ المجمع ومؤتمره هذه المصطلحات، وكانت خير عون لإصدار عدد من المعجمات العلمية المتخصصة لدفع حركة الترجمة والتعريب ونقل العلوم إلى اللغة العربية. وبيان هذه المعجمات على النحو التالي^(١٧):

- ١ - معجم الجيولوجيا
- ٢ - معجم الفيزيكا النووية والإلكترونيات
- ٣ - معجم الفيزيكا الحديثة (جزءان)
- ٤ - معجم الحاسبات (ثلاث طبعات)
- ٥ - معجم المصطلحات الطبية (ثلاثة أجزاء)
- ٦ - معجم الكيمياء والصيدلة (جزءان)
- ٧ - معجم البيولوجيا في علوم الأحياء والزراعة (جزءان)
- ٨ - معجم النفط
- ٩ - معجم الرياضيات (ثلاثة أجزاء)

- ١٠- المعجم الجغرافي
- ١١- المعجم الفلسفي
- ١٢- معجم ألفاظ الحضارة والفنون
- ١٣- معجم علم النفس
- ١٤- معجم الهندسة الميكانيكية.
- ١٥- معجم الهيدرولوجيا.
- ١٦- معجم القانون
- ١٧- معجم الموسيقى.
- ١٨- معجم التربية الرياضية.
- ١٩- معجم مصطلح الحديث النبوي.
- ٢٠- معجم أصول الفقه.

وتتضمّن هذه المعجمات عشرات الآلاف من المصطلحات العلمية والفنية مشروحة شرحاً دقيقاً، وبعضها مزود بالصور — ويجري العمل في الجمع لإصدار معجمات علمية أخرى، وكذلك إصدار أجزاء جديدة للمعاجم الحالية، وتحديث بعضها. وقد صدر لأغلبها جزآن أو ثلاثة أجزاء".

٤.١.٦ جهود مجمع اللغة العربية في دمشق

يعلم الجميع أن سوريا هي البلد العربي الذي يدرس في جامعاته العلوم كاملة باللغة العربية. وقد قام بتعريب لغة الدواوين وإدارات الدولة ومؤسساتها ووضع المصطلحات المقابلة لما بقي متداولاً من الكلمات التركية. ألف كتب التدريس الجامعي في الطب والصيدلة والعلوم والزراعة وغير ذلك. وحتى

يقوم بذلك، نخض مجمع دمشق بمهمة تعريب المصطلح العلمي منذ بدايات وجوده. ومن ثم، فقد تجمعت لديه ثروة مصطلحية كبيرة جداً. ولكن لم تسعفني المراجع ولا موقع المجمع على الشابكة. الشكل ٣ يُري صورة لمجمع دمشق.



شكل ٣ صورة لمجمع اللغة العربية بدمشق

٢.٦ اتحاد مجامع اللغة العربية

تكوّن هذا الاتحاد سنة ١٩٧١م من مجامع القاهرة، ودمشق، وبغداد، وانضم إليه مجمع اللغة العربية الأردني منذ إنشائه، كما انضم إليه مجمع اللغة العربية السوداني، والفلسطيني، وأكاديمية المملكة المغربية،

والمجمع الجزائري، والمجمع الليبي. وهو يعمل على التنسيق بين أعمال المجمع المذكورة، وتوحيد المصطلحات العلمية في البلدان العربية. ورئيس اتحاد المجمع هو رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ويتولى أمانته الأمين العام لمجمع القاهرة. ويختار مجلس الاتحاد أمينين مساعدين من أعضائه كل أربع سنوات. ومقره مجمع القاهرة.

وتأكيداً لدور اتحاد المجمع في توحيد المصطلح بين المجمع اللغوية في الوطن العربي فقد عقد الاتحاد ندواته التالية في الدول العربية:

- ١- ندوة بعنوان المصطلح القانوني، في دمشق عام ١٩٧٢م.
- ٢- ندوة بعنوان المصطلح النفطي، في بغداد سنة ١٩٧٣م.
- ٣- ندوة بعنوان تيسير تعليم اللغة العربية، في الجزائر سنة ١٩٧٦م.
- ٤- ندوة بعنوان تعليم اللغة العربية في الربع قرن الأخير، في الأردن سنة ١٩٧٨م.
- ٥- ندوة بعنوان تعريب التعليم العالي والجامعي، في الرباط سنة ١٩٨٥م.
- ٦- ندوة بعنوان الرموز العلمية وطريقة أدائها باللغة العربية، في الأردن سنة ١٩٨٧م.
- ٧- ندوة بعنوان توحيد تعريب المصطلح الطبي، في تونس سنة ١٩٩٢م.
- ٨- ندوة بعنوان توحيد تعريب المصطلح النفطي، في دمشق، يناير سنة ١٩٩٤م.
- ٩- ندوة بعنوان حول توحيد تعريب المصطلح الجيولوجي، في تونس، أكتوبر ١٩٩٤م.

- ١٠- ندوة بعنوان حول معجم البيولوجيا، في دمشق سنة ١٩٩٦م.
- ١١- ندوة بعنوان إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي، في دمشق سنة ١٩٩٩م.
- ١٢- ندوة بعنوان قضايا اللغة العربية في عصر الحوسبة والعولمة، في الأردن سنة ٢٠٠٢م.
- ١٣- ندوة بعنوان المعجم التاريخي للغة العربية، في الإمارات العربية المتحدة (الشارقة)، سنة ٢٠٠٦م.

يتضح من ذلك، الجهد الذي تبذله مجامع اللغة العربية في توحيد المصطلح العلمي العربي. وقد نتج عن الندوات المذكورة أعلاه مجموعة من المعاجم المتخصصة بعد توحيد مصطلحاتها. غير أن الواقع لا يشير إلى أن المصطلحات العلمية العربية قد توحدت بهذه الجهود، ذلك لأن الشذمة السياسية أقوى من عمل الاتحاد.

٣.٦ ترجمة الكتب الجامعية

لا يعدو تعريب المصطلحات العلمية أن يكون شكلاً واحداً من أشكال التعريب. إذ إن نقل العلوم إلى العربية عن طريق الترجمة مثلاً، يعد شكلاً آخر مهماً للتعريب، خاصة ترجمة كتب التدريس في الجامعات. وتنبع أهمية ذلك في تعريب عدد لا يستهان به من المصطلحات، وأنه يكرّس تلك المصطلحات التي عرّبت ويشيعها بين الدارسين والمدرسين على حد سواء. ولعل تجربة مجمع اللغة العربية الأردني في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي الأبرز في هذا المجال.

فقد قام مجمع اللغة العربية الأردني بتجربة جريئة في مطلع الثمانينيات من القرن العشرين على محدوديتها، فترجم قرابة العشرين كتاباً هي مجموع الكتب التي تدرس في السنة الأولى في كلية العلوم في الجامعات الأردنية في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء وعلوم الأرض (جدول ٤) (٣٨). وقد كانت رغبة المجمع أن تقوم الجامعة الأردنية باعتماد هذه الكتب في تدريس مناهج السنة الأولى. ثم تتضافر جهود الجامعة والمجمع في ترجمة كتب السنة الثانية وهكذا إلى أن يصبح تعليم العلوم الأساسية جميعه معرباً. غير أن الجامعة لم تسائر المجمع في رغبته، فأبقي على التعليم في كليات العلوم باللغة الإنجليزية على الرغم من قيام بعض أعضاء هيئة التدريس باستخدام الكتب المترجمة. إلا أن ذلك أجهض التجربة فقضي عليها في مهدها.

جدول ٤ الكتب العلمية التي ترجمها مجمع اللغة العربية الأردني (٣٨)

الرقم	معلومات الكتاب بالأجنبية	المترجمون	السنة
١	الكيمياء العامة: فردريك. لونغو	مروان كمال وعادل جرار وربحي الزرو وسليمان سعسع وعدنان أبو صالح	١٩٨١
٢	الكيمياء غير العضوية - الجزء الأول: ج. آي. هيوهي	حمد الله الهودلي ومنار فياض	١٩٨٣
٣	الكيمياء غير العضوية - الجزء الثاني: ج. آي. هيوهي	حمد الله الهودلي ومنار فياض	١٩٨٣
٤	الكيمياء التحليلية: د. ج. بيتريزيك و ك. و. فرانك	عبدالمطلب جابر وسليمان سعسع	١٩٨٤

- ٥ الفيزياء الكلاسيكية والحديثة: همام غصيب وعيسى شاهين ١٩٨١
الجزء الأول: كينيث. و. فورد
- ٦ الفيزياء الكلاسيكية والحديثة: محمود الكوفحي وعمر الشيخ ١٩٨٧
الجزء الثاني: كينيث. و. فورد وعبدالجواد أبو الهيجا
- ٧ الفيزياء الكلاسيكية والحديثة: عمر الشيخ وعيسى شاهين ١٩٨٥
الجزء الثالث: كينيث. و. فورد
- ٨ مقدمة للبصريات الحديثة عمر الشيخ ١٩٨٣
والكلاسيكية: ج. و. ماير
أردنت
- ٩ البيولوجيا- الجزء الأول: ر. أ. عدنان علاوي وحמיד الحاج وأحمد ١٩٨٠
غولدسي الديسي وناجي أبو رميلة وسامي
عبدالحافظ
- ١٠ البيولوجيا- الجزء الثاني: ر. أ. عدنان علاوي وحמיד الحاج وأحمد ١٩٨٠
غولدسي الديسي وناجي أبو رميلة وسامي
عبدالحافظ
- ١١ مدخل إلى الكيمياء الحيوية إلياس بيضون ١٩٨٦
للخلية وعلم وظائفها: ن. أ. إدواردز- ك. أ. هسال
- ١٢ مقدمة للتكوين الجنيني: س. رمسيس لطفي ١٩٨٣
ب. أوبنهايمر
- ١٣ حساب التفاضل والتكامل أحمد سعيدان وأحمد علاونة ومحمد ١٩٨١

- والهندسة التحليلية- الجزء عرفات التنشة ووليد ذيب وذيب
الأول: أ. و. سووفوكوفسكي حسين وحسن العزة
- ١٤ حساب التفاضل والتكامل أحمد سعيان وأحمد علاونة ومحمد ١٩٧٩
والهندسة التحليلية- الجزء عرفات التنشة ووليد ذيب وذيب
الثاني: أ. و. سووفوكوفسكي حسين وحسن العزة
- ١٥ الجبر المجرد: ن. ديفدسون- ذيب حسين ١٩٨٢
ف. جيوليك
- ١٦ مبادئ التحليل الرياضي: أ. وليد ذيب ١٩٨٤
ج. مادوكس
- ١٧ مبادئ المعادلات التفاضلية أحمد سعيان ١٩٨٤
وتطبيقاتها: و. ر. ديرك- س.
غروثمان
- ١٨ الموجز في ممارسات الجراحة - ٤٢ طبيباً جراحاً. ١٩٩٧
٤ أجزاء: ب ولاف تحرير أحمد شيخ السروجية ومحمود
أبو خلف وأكرم الدجاني وعبدالله
البشير
- ١٩ الجيولوجيا العامة: ر. ج. عبدالقادر عابد وشاكر مقبل ١٩٨٠
فوستر وسعد الباشا

٧. معوقات عمل الجامع

يدل تعريب مئات آلاف المصطلحات العلمية في شتى فنون العلم والمعرفة،
على عدم وجود مشكلات حقيقية في اللغة العربية نفسها، في توليد

المصطلحات بطرق التعريب المختلفة. فهي قادرة على فعل ذلك لولا معوقات كثيرة تحول دون ذلك. وفيما يأتي، نعرض لبعض هذه المعوقات.

١.٧ القرار السياسي

لا يساورني أدنى شك في أن القرار السياسي بالنهوض بالأمة علمياً وتقنياً وحضارياً عن طريق البحث العلمي المفضي إلى النهضة، يُعد الأساس في التعريب والنهوض بالعربية. والأمثلة المدللة على ذلك كثيرة. ففي تاريخ أمتنا العربية الإسلامية عملية ترجمة وتعريب ووضع مصطلحات عظيمة، تصدى لها ودعمها خلفاء بني العباس. فقد تُرجمت أمهات الكتب من الإغريقية واللاتينية والسنسكريتية والسريانية والفارسية إلى اللغة العربية، وتوسع المترجمون والعلماء في قبول المعرب من الأسماء والألفاظ فدخل إلى العربية آلاف الألفاظ الجديدة، ما نتج عنه لغة عربية علمية سهلة مشرقة خالية من الزرَكشة اللفظية والإيحاء. فأصبحت وعاء العلم عالمياً للباحث والعالم والدارس في الجامعات الكثيرة التي كانت مبنوثة في حواضر الدولة الإسلامية جميعها منها ١٥ جامعة في الأندلس وحدها^٩. وقد استمر العلم ناطقاً بالعربية قرابة سبعة قرون أي حتى نهايات القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي تقريباً.

وفي مثال ثانٍ، وعندما قرر محمد علي باشا حاكم مصر (١٨٠٩- ١٨٤٩) أن النهوض بمصر لا يكون إلا بالتقدم العلمي والتقني، فأرسل البعوث وأنشأ المدارس المتخصصة. ومما نشأ عن كل ذلك باختصار أن ترجمت مدرسة الألسن ١٠٠٠ كتاب في مدى ١٥ سنة قبل أن يغلقها عباس

الأول خليفة محمد علي، ثم ٣٠٠٠ آلاف كتاب بعد إعادة فتحها (٢٥، ٢٩، ٤٢). ووضع عدد من المعاجم الثنائية اللغة لتسهيل عملية الترجمة من الفرنسية والإيطالية والإنجليزية، وكان التعليم الجامعي في المدارس المتخصصة بالعربية حتى أصبحت مصر علمياً وصناعياً على سوية الصف الثاني من الدول الأوروبية. غير أن هذه التجربة لم تدم طويلاً فوئدت في مهدها وعادت مصر أدراجها إلى التبعية والتخلف.

ومن ذلك أيضاً، وكدليل على أن القرار السياسي هو القول الفصل في التعريب، أذكر قصة الزعيم (هوشى مينه) الذي أمر بالفتنة الشاملة، وإحلالها بدلاً من الفرنسية التي هيمنت على المجتمع الفيتنامي أكثر من ثمانين سنة، غير أن أساتذة كلية الطب رأوا استحالة تحقق هذا الأمر؛ لأن فتنة الدراسات الطبية -بزعمهم- عملية مستحيلة؛ لجهل أساتذة كلية الطب وطلبتها باللغة الفيتنامية، فطلبوا منه في مقابلة شخصية العدوّل عن قراره أو استثناء كلية الطب من الفتنة، فما كان من القائد الفيتنامي الذي أصغى لهم لساعات، إلا أن حسّم المقابلة قائلاً لهم: "يسمح لكم بالتدريس باللغة الفرنسية بصورة استثنائية هذه السنة فقط، مع ضرورة تعلّمكم وطلبكم اللغة الفيتنامية الوطنية خلال أشهر الدراسة التسعة، على أن تُجرى الامتحانات في سائر المستويات في نهاية السنة باللغة الفيتنامية، ثم تُستأنف الدراسة في السنة المقبلة باللغة الفيتنامية" (٤١).

ولا يوجد ما يشير إلى أن قراراً سياسياً بهذا المفهوم، سيتخذ في المستقبل المنظور في أي دولة عربية.

٢.٧ شردمة الأمة وأثر ذلك في التعريب

وهو غير خاف على أحد. فلم نعد نرى دولة واحدة من دولنا العربية الكثيرة تتبنى اللغة العربية، حامية لها ومنافحة عنها وتبذل قصارى جهدها بالنهوض بها كما تفعل فرنسا وبريطانيا مثلاً. وعلى الرغم من وجود مواد في دساتير دولنا تقول بأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، إلا أن ذلك بقي حبراً على ورق لأن الممارسات اليومية عكس ذلك حتى في الدول ذات الوزن السكاني الكبير كمصر مثلاً، أو الدول ذات الوزن المالي الكبير كالسعودية مثلاً. ومن ثم، فكل دولة من هذه الدول لا ترى نفسها متبينة للغة العربية لأنها واحدة من عدد كبير من الدول. فلماذا تكون هي المسؤولة؟ ويبدو مما يحدث حالياً، أن الأمر سيسوء أكثر وستبقى اللغة العربية تعاني من هذه الشردمة الكريهة. وعلى الرغم من جهود مجامع اللغة العربية في توليد المصطلحات وجهودها في توحيد المصطلحات المعربة، إلا أن الشردمة السياسية كانت وما تزال عائقاً رئيسياً في ذلك.

٣.٧ تبعية الدول العربية

لقد أدى احتلال الأمة واستعمارها والاتفاقيات الاستعمارية على تقسيمها، إلى تبعية هذه الدول إلى المستعمر رغبة في الغالب أو ربما رهبة في بعض الأحيان. ولا يظن أحد أن هذه الدولة أو تلك قد تحررت من هيمنة الغرب السياسية عليها بعد أن حدث ما يسمى استقلالاً. ومن ثم، فهذه الدول جميعها لا تملك قرارها السياسي السيادي في النهوض بالأمة لأنه بعكس ما تراه الدول المهيمنة. وسنبقى نراوح مكاننا، أو نسير إلى الوراء، ومعنا اللغة

العربية، حتى يتسنى لنا أو لواحدة من دولنا استقلالاً حقيقياً. إن التعريب الشامل المفضي إلى لغة عربية منتجة ومؤثرة لا يمكن أن يحدث إلا في دولة ناهضة. فالنهضة هي الأساس والعكس ليس صحيحاً. وحتى هذه اللحظة لا توجد دولة عربية واحدة ناهضة أو هي على مسار النهوض. فالعبد لا يمكن أن يكون سيداً وهو عبد.

٤.٧ عدم وجود الدولة الراعية وضيق ذات اليد

لا يوجد مجمع واحد من مجامع اللغة ترعاه الدولة التي هو فيها رعاية تمكنه من القيام بمهامه كاملة. ويمكن تخريج ذلك من النقاط السابقة أعلاه. خذ مثلاً مجمع اللغة العربية الأردني الذي بقي قانونه، قانون اللغة العربية في أدراج الحكومات المتعاقبة، نيفاً وعشرين سنة حتى يُقر. وبعد صدور هذا القانون، فإنني على قناعة بأن الدولة الأردنية لا تقوى على مسايرة المجمع في تطبيق كل بنوده من مثل إلزام المحلات التجارية باستخدام العربية في أسمائها أو كتابة الاتفاقيات والمعاهدات مع الشركات والدول الأخرى باللغة العربية وغير ذلك. ولا أظن المجمع الأخرى أحسن حالاً. وقد استتبع ذلك تدني ميزانيات مجامع اللغة التي لا تمكنها من القيام بمشاريع كبيرة ومؤثرة في التعريب والترجمة وغيرها.

الهوامش

١. ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم الجزري (٥٥٥-٦٣٠ هـ). الكامل في التاريخ. بيروت ١٩٦٥.
٢. ابن إسحق، حنين. ١٩٢٨. كتاب العشر مقالات في العين. تحقيق ماكس مايرهوف، المطبعة الأميرية.
٣. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أمد بن القاسم (٦٠٠-٦٦٨ هـ). عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق الدكتور نزار رضا، مكتبة الحياة ببيروت ١٩٦٥.
٤. ابن البيطار، ضياء الدين. ١٢٩١ هـ. الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. المطبعة العامرة.
٥. ابن سينا، أبو علي. ١٢٩٤ هـ. القانون في الطب. المطبعة العامرة.
٦. ابن قتيبة، محمد عبدالله بن مسلم. ١٩٦٣. أدب الكاتب. تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية.
٧. ابن كمال باشا الوزير، أحمد بن سليمان توفي ٩٤٠ هـ/١٥٣٣ م. رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأجنبية. ضبط وتحقيق محمد سواعي. المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ١٩٩١. ١٧٢ صفحة.
٨. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب. ١٩٧١. الفهرست. تحقيق رضا تجدد. طهران.
٩. أبو حسان، محمد. ٢٠٠٩. دور الحضارة العربية الإسلامية في تكوين الحضارة الغربية، مقارنة مع الحضارتين اليونانية والرومانية. وزارة الثقافة، عمان، الأردن.
١٠. الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد (٥٦٠ هـ). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. إيطاليا، ١٩٧٠.
١١. الإسكندري، الشيخ أحمد، ١٩٣٤ وما جاء بعدها في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة.

١٢. بدر، عبدالرحيم، ١٩٩٢. رصد السماء. مؤسسة عبدالحميد شومان، عمان.
١٣. البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ). الجماهر في معرفة الجواهر. تحقيق جمعية دار المعارف الإسلامية بحيدر آباد الدكن بالهند، ١٣٥٥هـ.
١٤. الترجمة العلمية: ندوة لجنة اللغة العربية لأكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٥. أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب. ٣١٦ صفحة.
١٥. الجزائري، طاهر بن صالح. ١٣٣٧ هـ. التقريب لأصول التعريب. المكتبة السلفية.
١٦. الجواليقي، أبو منصور. ١٩٦٩. المغرب. تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية.
١٧. حافظ، محمود. ٢٠٠٧. كتاب مجمع اللغة العربية في القاهرة، موجز عن تاريخه ومنجزاته. الطبعة الثالثة.
١٨. خليفة، عبدالكريم. ١٩٩٢. اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، دار الفرقان، ط٣، عمان ١٩٩٢م.
١٩. الخوارزمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد. ١٨٩٥. تحقيق فان فلوتن، ليدن.
٢٠. الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (٣١١ هـ). الحاوي في الطب. حيدر آباد الدكن، ١٩٥٥.
٢١. الزركان، محمد علي. ١٩٩٨. الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
٢٢. الزهراوي، أبو القاسم خلف بن عباس (٥٠٠ هـ). التصريف لمن عجز عن التأليف. لندن ١٧٧٨.
٢٣. الشهابي، مصطفى. ١٩٦٥. المصطلحات العلمية في اللغة العربية. مطبوعات المجمع العلمي السوري بدمشق.
٢٤. الشيال، جمال الدين. ١٩٥٠. تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية. دار الفكر العربي.

٢٥. الشيال، جمال الدين. ١٩٥١. تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي. دار الفكر العربي.
٢٦. الصديقي، عبداللطيف، ٢٠١٠. موجز تاريخ الرياضيات ترجمة كتاب ديرك ستروك. منشورات دار علاء الدين بدمشق. ٢٣٦ صفحة.
٢٧. الصوفي، أبو الحسين عبدالرحمن بن عمر الرازي: صور الكواكب الثمانية والأربعين. دار المعارف العامة، حيدر آباد الدكن بالهند ١٩٥٤.
٢٨. عبدالرحمن، حكمت نجيب. ١٩٧٧. دراسات في تاريخ العلوم عند العرب. جامعة الموصل، العراق.
٢٩. عبدالعزيز، محمد حسين. ١٩٩٠. التعريب في القديم والحديث. دار الفكر العربي، القاهرة
٣٠. عابد، عبدالقادر وعلي عبنده، ١٩٨٥. السماء في الليل. دار الفرقان، عمان.
٣١. القفطي، جمال الدين أبو الحسين. إخبار العلماء بأخبار الحكماء. ليبزج ١٩٠٣.
٣٢. العباس، سليمان (تحرير)، ٢٠٠٠. الترجمة نافذتنا على العالم. بحوث المؤتمر الثالث لكلية الآداب جامعة الزرقاء الأهلية وجمعية المترجمين الأردنيين. ١٥١ صفحة.
٣٣. المجمع العلمي (العراقي)، ٢٠٠٤. بحوث ودراسات ندوة واقع التعريب الجامعي وآفاقها المنعقدة في رحاب المجمع العلمي بتاريخ ٢٠٠١/١١/٢١. مطبعة المجمع العلمي، بغداد، العراق. ١٤١ صفحة.
٣٤. مدكور، إبراهيم، المعجمات العربية المتخصصة. مجلة مجمع القاهرة، ج ٣٤، ١٦-٢١.
٣٥. ملتقى ابن منظور، ١٩٨٤. دور التعريب في تطوير اللغة العربية: ترقية العربية في تونس. الدار التونسية للنشر، تونس. ٢٦٦ صفحة.

٣٦. الندوة السادسة للمسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، ٢٠٠٦. مسقط، عمان. ٣١٥ صفحة.

٣٧. منيمنة، خالد محي الدين، ٢٠٠٨. المؤتمرات القومية والوطنية التي عقدت حتى الآن حول تعريب التعليم الطبي وتوصياتها وقراراتها.

٣٨. موقع مجمع اللغة العربية الأردني على الشبكة

www.majma.org.jo/

٣٩. موقع المجمع العلمي العراقي على الشبكة

<http://www.iraqacademy.iq/PageViewer.aspx?id=5>

٤٠. موقع مجمع دمشق على الشبكة: www.arabacademy.gov.sy/

٤١. http://www.alukah.net/literature_language/0/40750/#ixzz47CdBU4zM

7CdBU4zM

دورالجامع اللغوية والعلمية العربية

الأستاذ الدكتور جعفر نايف عبابنة

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

تمر في حياة الأمم والشعوب مراحل تاريخية، بعضها شامل بطيء وبعضها نشيط سريع. وما تمر به الأمة العربية في يومنا هذا هو مرحلة جارفة لا تكاد تنتظر أحداً. فنحن في عصر التقدم التكنولوجي الهائل الذي عصف بأساليب العيش، وأنماط التفكير، ومناهج العلم والتعليم، وأتى بتغيرات كبيرة في المدارس الأدبية والنقدية وطرائق التحليل اللغوي. إنه عصر المعلوماتية الذي يقوم على صنع المعلومات ونشرها والاتجار بها. وهو عصر العولمة الذي وصلت فيه اللغات إلى التزاحم بالأكتاف.

ويجمع الباحثون في العالم العربي أن لدينا مشكلة لغوية مستشرية، تتمثل في ضعف التحصيل، وتردّي الأداء، وفتور السليقة، وتقلّص واضح في رقعة الفصيحة في التعليم ووسائل الإعلام ومظاهر الحياة المختلفة. وأسبابها كثيرة، منها زحف العاميات على الفصيحة، ومزاحمة اللغات الأجنبية لها، وتسلب وسائل الإعلام، وبنية الكتاب المدرسي، وطرق التدريس، ونظرة المجتمع إلى الفصيحة، ومكانة المعلم ودرجة كفايته. وربما كان منها قصور الوصف اللغوي التقليدي لها.

وثمة تحديات لغوية داخلية تكمن في طبيعة اللغة نفسها، وتتمثل في مسائل نحوية وصرفية وأصواتية ومعجمية وإملائية، لما تجد حتى الآن فهماً

دقيقاً وحلاً صحيحاً، يجعلها قابلة للتعلّم والتعليم، بيسر وسهولة، على أسس علمية متينة.

وثمة تحديات خارجية تتعلق بطبيعة العصر، من مثل حوسبة اللغة، والترجمة الآلية، وإصلاح الخط العربي، والعولة، والتعريب، والتطور اللغوي السريع.

إنها مرحلة صعبة خطيرة يُخاف معها على مستقبل العربية وهوية الأمة. وهي تستدعي الحلول الناجعة، والمواءمة بين أصالة الأمة وشخصيتها، ومطالب العصر الملحة.

ولقد قامت هنا وهناك جهود لمعالجة هذه المسائل والقضايا والتحديات، ولكنها جهود في مجملها مبعثرة غير مجدية، وقاصرة عن بلوغ نتائج مثمرة. وتعددت فيها المرجعيات، وضاعت المسؤوليات، على الرغم من النفقة الموجهة في إنشاء المرافق، وتدريب الكوادر، وإعداد الخطط والمناهج.

وهذا كلّه يستدعي تسليم القيادة في المسائل والمعضلات اللغوية والتربوية إلى المجامع اللغوية، ولا سيما تلك التي زوّدت بقوة القانون، قانون حماية اللغة العربية.

فعلى المجامع أن تكون رائدة، وموجّهة لكل الجهود، وموحّدة لها، كي نواجه ما نعانیه، بمنطق وتعقل وواقعية، وخطط عميقة علمية.

فما الذي يمكنها عمله في خضم هذه المشكلات المتراكمة المتفاقمة؟

في تصوّر أن المجامع مندوبة لمعالجة الأمور الحيوية الملحة الآتية:

أولاً: التخطيط اللغوي، وهو يعني رسم السياسات اللغوية الشاملة التي توجه مسار التعليم والتربية والحياة الثقافية بعامه. وهو يتبدى فيما يأتي من موضوعات:

أ- الازدواجية اللغوية (دايغلوسيا): ونعني بها وجود مستويين لغويين: مستوى فصيح رفيع رسمي، ومستوى دارج عامي يُتخَفَّف فيه من قيود الفصيحة. والعاميات أمر لغوي واقع لا يمكن التخلص منه والقضاء عليه؛ فستظل هنالك دائماً عاميات تلبس الفصيحة وتشاطرهما العيش. وواضح أن وضع الازدواجية يعوق اكتساب الفصيحة وقدراتها على الوجه الصحيح، وإذا ترك الحبل على الغارب، فستطغى العاميات على الفصيحة، وتحصرها في رقعة ضيقة.

ومن واجب المجمع والجهات المعنية القيام بخطوة علمية، وهي توزيع الأدوار (role playing distribution) بين الفصيحة وعامياتها، فيصبح للعاميات مجالات لا تتعداها، وهي مواقف حياتية واجتماعية تقتضي الحوار بالعامية، ويُغَلَّبُ شأن الفصيحة في التعليم، والأنشطة الكتابية والمواقف الرسمية والمناسبات الاجتماعية الرصينة.

ولا ننسى هنا دور وسائل الإعلام في نشر العاميات، وإشاعة الأخطاء اللغوية الجسيمة وترسيخها، فيجب وضع رقابة لغوية صارمة عليها، وتحديد المجالات التي تكون مقصورة على الفصيحة فيها، والعناية بالمستوى اللغوي للعاملين فيها، مثل عنايتنا بالمستوى اللغوي للمعلمين في المدارس والمعاهد الأخرى.

ب- اللغات الأجنبية: ينطلق الموقف من اللغات الأجنبية من زاويتين مختلفتين؛ فهي من ناحية، ضرورة من ضرورات الحياة العصرية، في ظل العولمة، وانفتاح العالم بعضه على بعض.

ولم يعد في الإمكان السيطرة عليها كلياً، ولا سيما أن تعلمها بات غير محصور في المدارس والمعاهد الرسمية، بل صار متاحاً بوسائل عدّة أخرى، وسرى نفوذها في أوصال المجتمع كله، حتى صارت بالتدريج لغات لتدريس العلوم في معظم الجامعات العربية، وانتشرت في مناحي الحياة جميعها، يساعد على ذلك الانكشاف الإعلامي الهائل.

ومن ناحية أخرى، هي خطر على الفصيحة، إذا لم تُتخذ تدابير للحدّ من تأثيرها. ومن هذه التدابير الإعلاء من شأن الفصيحة في المدارس والمعاهد، بزيادة ساعات تدريسها وعدد حصصها وفرص العيش في أجوائها (في صورة أنشطة وفعاليات متعددة)، والارتقاء بمناهجها، وتدريب معلميه، والبدء في تعليمها من المراحل المبكرة في حياة الطفل المدرسية، حتى تصبح سليقة وطبعاً، بمعنى أن تصبح (facility)، وهي قدرة متعلميها على التعبير بها في كل المواقف الكلامية والكتابية، فيسهل عند ذاك الانتقال من اللغات الأجنبية إليها ومنها إلى الأجنبية، بيسر وسلاسة.

ويمكن أن نواجه مدّ اللغات الأجنبية كذلك، بتصميم امتحان في الكفاية اللغوية العربية يُجعل اجتيازه شرطاً للقبول في الوظائف العامّة والخاصة.

ومن شأن التدابير التي تتخذ هنا أن يكون لها كذلك أثر في درء خطر العاميات.

ج- التصحيح اللغوي: إن الموقف من التصحيح اللغوي هو موقف من التطور نفسه؛ فهناك من يقف سداً منيعاً في وجه التطور وينكره، ويريد العودة باللغة إلى عصر النقاء اللغوي في الماضي البعيد؛ وهناك من يروّج لفتح

باب التطور على مصراعيه، مهما تكن نتائج ذلك. والموقف الذي يجب أن يُتَّخَذَ هنا موقف وسط: فلا حَنْقٌ للغة، ولا انفلات يطمس ما تعارفنا عليه من معالمها.

وعلى العموم، إن إنكار التطور هو إنكار لسنة الحياة ولواقع يفرض نفسه كل يوم. والتطور في اللغة العربية لم يكن سيئاً كله، بل أمدّها بطاقات تعبيرية هائلة، وهو متغلغل في كل ثنايا العربية المعاصرة، وإن لم ندركه أو نُعِنَّ أنفسنا بالبحث عنه، إذ صار مألوفاً جداً، وصاغ أنماط تفكيرنا وتعبيرنا، وبني لدينا حدساً وحساً لغوياً معيناً. ولقد استطاعت العربية بقواها الذاتية أن تطوع آلاف التعابير والألفاظ الأجنبية التي تسرّبت فيها، وأن تضمّمها، وتُجْري قوانينها من البناء والإعراب والتصرّف عليها، حتى صارت جزءاً منها وملكاً لها. وأضحى القبول بما شاع وذاع من تطور في التراكيب والعبارات أمراً واجباً، ولا يُرْفَضُ منها إلا ما خالف قاعدة صريحة من قواعدها.

د- التعريب: تبرز مشكلة التعريب في الجامعات والمعاهد العليا في تدريس العلوم خاصّة، لأنه يجري باللغات الأجنبية. ولذلك أسباب موضوعية، أهمّها أن مراجع العلوم ومصادرها الأساسية غير مكتوبة بالعربية. ويدعو كثيرون إلى مواجهة ذلك بترجمة الكتب الأجنبية إلى العربية. وليس هذا في نظري حلاً عملياً، لأن الترجمة بطيئة جداً، ولا تجاري التطور السريع في العلوم وكثرة المؤلّف فيها، ولا ما تصدره المطابع كل يوم من جديد في هذا الشأن. وليس الأمر مقصوراً على الكتب الدراسية المقررة، بل ثمة أبحاث مهمة كثيرة غير الكتب المقررة تُنشر كل يوم، فهل من طاقة لترجمتها جميعاً؟

إن الحلّ يكمن في التأليف بالعربية. وليس هذا صعباً، فثمة مشغولون كثيرون في العلوم في عالمنا العربي، ينبغي أن تتضافر جهودهم لتعريبها. وإذا كنا نبتغي أن نرتقي بالعربية إلى العالمية، فما من طريق آخر غير توطين العلوم عندنا، والتأليف والنشر بلغتنا.

وعلى من يعولون على تجارب الماضي القريب والبعيد في التعريب، أن يُقَوِّمُوا - بواقعية - تلك التجارب حسب زمانها ومكانها، مراعين تغيّر الظروف واتّساع رقعة العلوم، وأن جهود التعريب في الأقطار العربية غير موحدة، ولا تمضي لغاية محدّدة.

هـ - إصلاح الخطّ العربي: من المعلوم أن الخط العربي لا تندغم فيه الحركات في بنية الكلمة نفسها، وتعوزه الرموز التي تعبر عن الأصوات الأجنبية المشهورة غير الموجودة في العربية، ويختلف رسم الهمزة فيه أولاً ووسطاً وآخر، وكذلك رسم الألف في نهاية الكلمات. وهذا يخلق مشكلات لتعلّم الخط العربي.

زد على ذلك أن المطابع ووسائل الاتصال الحديثة، والحواسيب وما في مثلتها، والهواتف الذكية تفرض تغييرات في أشكال الحروف العربية ومساحتها. ولذلك تبرز الحاجة إلى إصلاح الخط العربي ومجاعة التطور التقني، على شرط ألا يُخَرَّجَ الخط العربي عن أصالته، وأن يُوحَّد نمط الخط العربي في كل أنواع المطبوعات، ومنها طباعة الكتب المدرسية، حتى يصبح النمط الجديد مألوفاً لدى الجميع.

وفي كل ذلك لسنا في حاجة إلى الأبجدية الصوتية، لأن رسمنا الكتابي - رغم ما فيه من قصور - هو أقرب ما يكون إلى الكتابة الصوتية. ولسنا في حاجة كذلك أن ننتقل إلى استخدام الحروف اللاتينية، لما في ذلك من مشكلات نفسية وصعوبات عملية كثيرة، كالتي شهدتها البلدان التي تحولت إلى الحروف اللاتينية، وأبرزها التباسٌ في الهوية لدى أصحاب اللغة، وقَطَّع لهم عن تراثهم السابق إذ صار الخط القديم محتاجاً إلى خبراء مختصين لفك رموزه.

ثانياً: معالجة التحديات الداخلية: والمقصود بالتحديات الداخلية قضايا في صلب اللغة ومقوماتها، تخلق مشكلات للمتعلمين ومحليي اللغة، وربما كان بعضها سبباً في مسألة الضعف اللغوي. وهي تحتاج إلى فهم وتحليل جديدين يصلان إلى أعماق الحقائق اللغوية الأساسية. ولا شك أن معالجة هذه التحديات من شأنها أن تخدم اللغة نفسها، وتسهل عملية تعلمها وتعليمها، وتجعلها قائمة على أسس سليمة:

أ- النحو: إن نحونا العربي قائم على فكري الإسناد والعوامل والمعمولات اللتين بسطتا ظلالهما على كل جزئية من جزئيات النحو، فيجب عرضهما من حيث تأثيرهما في تماسك التركيب، وقيمتهما في اكتمال المعنى، كما يجب عدم المبالغة في تحرّي الأثر اللفظي للعامل، أو محاولة تحليل كل تركيب إلى عنصري الإسناد: المسند والمسند إليه، فثمة أساليب تستعصي على التحليل إلى مسند ومسند إليه (مثل أساليب النداء والندبة والاستغاثة

.... وغيرها)، وهذه تُعامل على أنها قوالب جامدة تُحاكى ولا تحلّل إلى بسائطها.

ويجب النظر إلى الجملة العربية على أنها شبكة من العلاقات المتظافرة المترابطة لأداء المعنى. وهنا يبرز دور الروابط والتوابع وعلاقات المطابقة النحوية في إحكام المعنى. وبهذا ننأى بنحونا العربي عن أن يوصم بالشكلية، أي الاهتمام بالشروط الشكلية على حساب المعنى.

ومّا ينبغي التنبيه له أن بعض مصطلحات النحو والصرف لا تدل على المقصود الحقيقي بها دلالة مباشرة، مثل مصطلح (مضارع) الذي لا يدل على قسم من الزمن الطبيعي، بل على مشابهة اسم الفاعل من غير الثلاثي في مطلق الحركات والسكنات، و(مثال) الذي لا يدل على أن حرف الجذر الأول هو حرف علة لا يصيبه التغيير، بل يدل على مماثلة الحرف الصحيح، و(صفة مشبهة) الذي لا يدل على صفة دائمة، بل على أمر شكلي هو مشابهة اسم الفاعل المتعدّي إلى مفعول به واحد، و(اللام المزحلقة) الذي لا يدل على وظيفتها في التوكيد، بل على تأخر رتبته وتغيّر في موضعها، و(واو الثمانية) وما إلى ذلك.

ويتصل بذلك الإعرابُ المفكّك الذي لا يبين ترابط العلاقات بين أجزاء الجملة، وتضافرها لتمام المعنى، وقد جاء نتيجةً لإفراط النحويين في تيسير النحو. وكذلك الإعراب الفني الذي لا يبين وظيفة التابع وأنها تطابق وظيفة المتبوع، ولا يبين أن تمييز العدد من حيث المعنى هو للمعطوف والمعطوف عليه معاً لا للمعطوف وحده. وأن الحكم المعنوي في تركيب الإضافة جارٍ

على المضاف والمضاف إليه معاً لا على المضاف وحده، لأن المضاف والمضاف إليه هما كتلة معنوية واحدة. فهذا الإعراب الشكلي المتبع حالياً في إعراب الجمل في المدارس يُخفي المعنى ويصمُّ نحونا العربي بالشكلية التامة.

ب- الصرف: يؤخذ على الصرف العربي أنه يقتصر على الأفعال المتصرفية والأسماء المعربة فقط، أي ما هو قابل للتغيير، ويهمل سائر البنى الجامدة من أسماء وأفعال وحروف، بدلاً من أن يصنفها في فصائل نحوية صرفية تخدم العلاقة بين النحو والصرف.

ويجب توسيع دائرة الاشتقاق في الصرف العربي لتشمل الاشتقاق بزيادة اللاحقة، والتركيب والنحت، والأخذ من أسماء الذات (عريية كانت أم أجنبية).

ويجب إلغاء فكرة الإلحاق التي هي في عرف الصرفيين زيادة حرف أو أكثر لغير معنى بل لإلحاق مبنى بآخر أكثر منه حروفاً ليتصرف تصرفه؛ فلا عبثية في اللغة، وكثير من الألفاظ التي قال بعض الصرفيين إنها ملحقة مأخوذة من أسماء الذات مباشرة، مثل: نَرْجَسَ وَقَلْنَسَ، وَيَيْطَرُ، وَشَرِيفٌ، أو قد تكون الزيادة فيها زيادة معنى لا مبنى فقط، وإن كانت زيادة غير مطردة في موضعها، نحو: رهوك في مشيته.

ومن الأمور المهمة أن تفسير الإعلال يجب أن ينطلق من قواعد صوتية مستندة إلى أصول علمية حديثة تفهم الحركات وعلاقتها بحروف المد واللين فهماً صحيحاً. ويجب أن تُبين قيمة الحدود المقطعية والحركات المركبة في القواعد الصوتية، كما يجب التفريق في تفسير التغيرات اللفظية للكلمات بين التغيرات الصوتية البحتة التي لا تغير في المعنى، والنقلات الصرفية التي تحوّل

صيغة إلى أخرى من الجذر نفسه ولكن بمعنى جديد. فالأولى مرصودة بقواعد صوتية، والأخرى مرصودة بارتباطات صيغية.

ويجب مدّ الجسور بين الصرف والنحو، فهو الذي يملأ الخانات النحوية في الجملة العربية بما يناسبها من عناصر المعجم، ويحدّد شروط بعض الأبواب النحوية.

وثمة فصائل نحوية لها دوالّ صرفية كفصائل الجنس والعدد والحالات الإعرابية والزمن والجهة والشخص ودرجات الصفة، وهي تخدم العلاقة بين الصرف والنحو.

ج- المعجم: من الضروري أن تنصبّ عنايتنا في المعجم هذه الأيام على أمرين: أولهما تطوير نمط جديد من المعاجم، والآخر تنمية ألفاظ المعجم العام.

أما الأمر الأول، فلأن المعجم العربي في صورته الحاضرة لا يخدم الترجمة الآلية. ونحن في حاجة إلى نمط جديد من المعاجم يُتَفَعّ به في الترجمة الآلية، وهو يُعنى بتحليل العناصر الدلالية والمقومات الطبيعية، وبالخصائص التوزيعية الموقعية للألفاظ.

وأما الأمر الآخر، فلأن معجم الألفاظ الحديث ينبغي أن يكون مفتوحاً مستقبلاً لكل جديد، وألا يجمد أو يُقْتَصَر فيه على ألفاظ المعجمات السابقة، ويلزمنا أن نلتقط الألفاظ المستحدثة التي تدعو إليها الضرورة، والكلمات العامة ذات الإيقاع الحيّ الشائعة في أوساط الحياة والمجتمع، ولا

سيما إذا استندت إلى أصل فصيح أو أمكن تفصيلها. كما يلزمنا ألا نحجم عن الاقتراض بنوعيه: الجزئي (أي جعل الكلمات الأجنبية على مثال العربية مع إجراء ما يلزم من تغييرات)، والتام (أي أخذ اللفظ الأجنبي كما هو)، إذا كان اللفظ ذا جرس تستسيغه الأذن، ويقرب من الأوزان العربية، دون الالتفات إلى آراء المتشددین من أصحاب التصحيح اللغوي.

والمعجم المفتوح ليس شرطاً أن يكون ورقياً في هذه الأيام، بل يمكن أن يكون إلكترونياً ذا طاقات استيعابية هائلة.

د- الرسم الكتابي: من عيوب الرسم الكتابي التي نعاني منها في داخل المؤسسات التعليمية وخارجها مشكلة كتابة همزة القطع أولاً ووسطاً وآخرًا، والتباس همزة القطع بـهمزة الوصل، والواو اللينة بالمديّة، والياء اللينة بالمديّة، والتاء المربوطة بالتاء المبسوطة، والتاء المربوطة بـهاء الضمير، وتاء المخاطبة بياء المخاطبة، والواو التي هي لام الكلمة بواو الجماعة، والضاد بالطاء، والذال بالزاي، والتاء بالتاء أو بالسين، والتباس اللامات بين التشديد والتكرار (كالذين والذين)، والفصل والوصل. وثمة كلمات تنطق فيها أصوات لا تكتب أو تكتب فيها حروف لا تنطق. ومن المشكلات أيضاً الموضع الذي يُثبَّت فيه تنوين النصب (على الألف أم قبلها)، وكتابة الألف في آخر الكلمة.

وهي أمور يتغلب عليها بالتعليم الجيد، والاهتمام بمخصص الخط والرسم، واتباع نمط موحد تقرّه مجامع اللغة. وقد تستدعي تحويلات غير جوهريّة في نظام الكتابة العربية، ولكنها لا تستدعي التحول إلى الكتابة الصوتية أو الحرف اللاتيني، كما بينا في موضع سابق. ويجب التفريق دائماً بين

مشكلات تحصيلية تحل باستراتيجيات تعليمية سليمة، ومشكلات حاسوبية تستوجب حلولاً تقنية، كتحويل في شكل الحروف ومساحتها.

ثالثاً: حوسبة اللغة: لقد غدت حوسبة اللغة أمراً ضرورياً، مجارة للعصر والتقدم التكنولوجي الهائل في مجال دراسة اللغة وتدريسها، وتحليلها آلياً، وإنتاج المعلومات والاتجار بها.

على أن ثمة مشكلات يجب أن ننتبه إليها ونحن نحاول حوسبة اللغة العربية؛ ففي النحو تبرز مشكلة التقديم والتأخير، والذكر والحذف، وتعدّد الحالات الإعرابية في المسألة الواحدة. وفي الصرف تبرز مشكلة تقارض الصيغ وتعدّد وظائفها، والشذوذات في مصادر الثلاثي والجمع والنسبة والتصغير، وصياغة اسم الفاعل واسم المفعول واسمي الزمان والمكان والمصدر الميمي، وفي حركة عين الفعل الثلاثي.

وفي الأصوات تبرز مشكلة الفرق بين واو المدّ وواو اللين، وبين ياء المدّ وياء اللين، والتباس حروف المعجم بعضها ببعض بسبب العادات اللهجية، ومشكلة التنعيم، واللام الشمسية واللام القمرية، والتفخيم والترقيق، والتشديد والتخفيف، وتقصير الحركة الطويلة في المقطع المغلق، ومكان الوقفة، والفرق بين كمية الصوت التي تقررها قوانين اللغة وطول الصوت الذي تقرره أحوال النطق الفعلي.

وفي المعجم تبرز مشكلة المعاني المجازية. ولربما تُغلبَ على هذه المسألة بعمل المحلّلات الصرفية والدلالية والسياقية المحكمة. ولعل مشكلة المجاز هي مشكلة سياقية تركيبية أكثر منها معجمية صرفية. وقد يكون من المفيد في هذا الشأن تزويد قاعدة البيانات بأكبر قدر من التشبيهات والمجازات والكنيات المشهورة.

ونحن إذ نقف عند هذا الحدّ، لا بد أن نذكر من جديد أن دور المجتمع اللغوية في العناية باللغة والنهوض بها هو دور قيادي ريادي: تخطيطاً وتحليلاً وتأليفاً، حتى تتسع رقعتها محلياً وتنتشر عالمياً.

الباب الخامس
بحوث مختارة من
الموسم الثقافي ومجلة المجمع

تصنيف العلوم عند العرب (*)

الأستاذ الدكتور إحسان عباس

(عضو مؤازر في المجمع)

ربما كان من المتعذر تحديد بداية دقيقة للتروع إلى معالجة العلوم على أساس تصنيفي في الحضارة العربية، ولكن هذه الظاهرة تطالعا، منذ أواخر القرن الثاني الهجري، على يد جابر بن حيان غير أنها لا تستقوي إلا أواخر الثالث، وتصبح على أشدها في القرن الرابع، إذ تتعدد فيها المحاولات والانتحاءات، تلبية لما تم حينئذ من تطورات مهمة على جميع المستويات، وفي طليعتها تنوع الروافد الثقافية، وضروب المعارف التي تستدعي على نحو طبيعي نظرة تأملية فاحصة، تقوم على المقايسة والمقارنة، وعلى المفاضلة في بعض الأحيان^(١).

ولم يكن من المستغرب أن يكون معظم القائمين بهذا النوع من النشاط مفكرين ذوي صلات قوية بالثقافات الأجنبية، وبخاصة الثقافة اليونانية، وإذا ذكرنا أبا بكر الرازي، والفارابي، وأخوان الصفا، وابن سينا، والتوحيدي، على المستوى الفكري النظري للتصنيف، ومحمد بن إسحق النديم، ومحمد بن أحمد الخوارزمي، صاحب مفاتيح العلوم، على المستوى التطبيقي العملي للتصنيف، فقد حصرنا أهم الذين عنوا بتلك الظاهرة، ووضعوا لها أسسها الفكرية^(٢).

ولهذه الحقيقة نفسها أسبابها الكثيرة، وفي مقدمتها تعدد ما أصبح ينضوي تحت لفظة "علم" من فنون وصناعات لم تكن تحظى من قبل بهذا الاسم، ومن حقول معرفة جديدة لم يكن اسم العلم إذا أطلق ليشملها؛ ذلك أن لفظة "علم" بصيغة المفرد كانت غامضة أو محدودة، أما غموضها فيتصل

(*) نشر هذا البحث في كتاب الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني، سنة ١٩٨٣.

بتلك الحكم التي تحث على طلب العلم وتحدث عن فضائله (بل أحياناً عن كثرته وتنوعه) دون توضيح للمراد، وأما محدوديتها فتبين لنا حين نجد لفظ العلم مقصوراً على طلب الحديث، فإذا اتسع شمل الفقه أو التفقه على وجه من الوجوه في شؤون الدين^(٣)، فلما وجد هؤلاء المفكرون أن لفظة "علم" لم تعد تغني كثيراً في الدلالة على ضروب المعارف - الأصيل منها والمستحدث - جعلوا يتحدثون عن "العلوم" بصيغة الجمع حيناً، أو يوسعون من مدلول لفظة "علم" حيناً آخر بما يدرجون تحتها من تفرعات. وكان الإحساس بقوة المفارقة بين تيارين كبيرين - تيار الثقافة الأصيلة وتيار الثقافة المستحدثة - يجعل التصنيف عملاً ملحاً لأنه يخضع ذينك التيارين لوحدة فكرية، ويطمس ما قد يظن بينهما من تعارض، ويتيح للتيار المستحدث وجوداً معترفاً به، ويرسخ أصوله، ويستدعي - على مرّ الزمن - قبوله. وكان أمام أولئك المفكرين نموذج في التصنيف يمكنهم احتذاؤه إذا شاؤوا، وهو ما يمكن أن نسميه على وجه التعميم النموذج اليوناني، فقد كان لدى أفلاطون تصوّر واضح لتصنيف العلوم وكذلك كان الحال بالنسبة لأرسطاطاليس، وكان هذا النموذج يستثير هؤلاء المفكرين إلى الإفادة منه، وإلى اختبار مدى صلاحيته لأوضاعهم الثقافية، التي لم تكن بالضرورة مشبهة لأوضاع المجتمع اليوناني، كما أن وجود هذا النموذج لدى الفيلسوفين الكبيرين كان يعني أن التصنيف للعلوم جزء من مهمة المفكر، وأنه لا يجوز لمن أخذ بسهم من الدراسة الفلسفية أن يهمل هذه الناحية، لأن مزاولتها تعني دربة فكرية على رؤية الأصول والفروع، وإبرازاً للقدرة على التصور الواضح لأنواع المقولات.

كان الجو مهياً لاستخدام تلك القدرة الفكرية في مجالين، أولهما الرد على تلك التعريفات الساذجة للعلم مثل: "العلم أربعة: الفقه للأديان،

والطب للأبدان، والنجوم للأزمان، والنحو للسان"^(٤)، أو مثل: "العلم علمان: علم يرفع وعلم ينفع؛ فالرافع هو الفقه في الدين والنافع هو الطب"^(٥)، ومن هذا القبيل ما يرويه ابن عبد البر عن أبي إسحق الحوفي (وقد تفوق في الرؤية ما سبق): "العلوم الثلاثة: علم ديناوي، وعلم ديناوي وآخر اوي، وعلم لا للدنيا ولا للآخرة؛ فالعلم الذي للدنيا علم الطب والنجوم وما أشبهه، والعلم الذي للدنيا والآخرة علم القرآن والسنن والفقه فيهما، والعلم الذي ليس للدنيا ولا للآخرة علم الشعر والشغل به"^(٦)، ولهذه الأقوال نظائر تسبقها زمنياً وتتلوها، والمراد منها في هذا المقام أن تكون مثلاً على تجاهل أصحابها للترعة الشمولية في التقسيم والتفريع، أو عجزهم عن التمرس بالنظرة الشمولية في هذا المجال، فالشيء المستقر في نفوسهم هو أن هناك معارف تتصل بالشرعية، وهذه المعارف ضرورية، وأما ما كان خارج ذلك من معارف فهم يختارون منها ما يناسب (كالطب مثلاً)، ويهملون كل ما عداه لأنه لا تحكهم رغبة في الاستقصاء والتصنيف.

وثاني هذين المجالين هو الرد على تعصب الفرد للصناعة التي يحسنها أو ما يمكن أن يسمى "غرور المعرفة القليلة"، وكانت صورة هذا كله تمثل صراعاً بين فضل الأدب - بمعناه الواسع - وفضل العلم بمعناه الشمولي أيضاً، وخبر ما يصور هذا الموقف حكاية ذكرها الرازي الطيب في كتاب الطب الروحاني^(٧)، قال: "ولقد شهدت ذات يوم رجلاً من متحذلقيه (يعني الأدباء) عند بعض مشايخنا بمدينة السلام، وكان لهذا الشيخ مع فلسفته حظ وافر من

المعرفة بالنحو واللغة والشعر، وهو يجاريه وينشده ويبدخ ويشمخ في خلال ذلك بأنفه ويطنب ويبالغ في مدح أهل صناعته ويرذل من سواهم، والشيخ في كل ذلك يحتمله معرفة منه بجهله وعجبه ويتبسم إليّ، إلى أن قال فيما قال: هذا والله العلم وما سواه ريح، فقال له الشيخ: يا بني هذا علم من لا علم له، ويفرح به من لا عقل له، ثم أقبل عليّ! وقال: سل فتانا هذا عن شيء من مبادئ العلوم الاضطرارية، فإنه ممن يرى أن من مهر في اللغة يمكن الجواب عن جميع ما يسأل عنه، فقلت: خبرني عن العلوم: اضطرارية هي أم اصطلاحية، ولم أتمم التقسيم على تعمد، فبادر فقال: العلوم كلها اصطلاحية... فقلت له: فمن علم أن القمر ينكسف ليلة كذا وكذا، وأن السقمونيا يطلب البطن متى أخذ... إنما صح له علم ذلك من اصطلاح الناس عليه؟ قال: لا، قلت: فمن أين علم ذلك؟ فلم يكن فيه من الفضل ما يبين عما به نحوت؛ ثم قال: فإني أقول أنها كلها اضطرارية، ظناً منه وحسباناً أنه يتهيا له أن يدرج النحو في العلوم الاضطرارية، فقلت له: خبرني عما علم أن المنادي بالنداء المفرد مرفوع وأن المنادي بالنداء المضاف منصوب، أعلم أمراً اضطرارياً طبيعياً أم شيئاً مصطلحاً عليه باجتماع عليه من بعض الناس دون بعض؟ فلجلج بأشياء يروم أن يثبت بها أن هذا الأمر اضطراري... وأقبل الشيخ يتضحك ويقول له: ذق يا بني طعم العلم الذي هو على الحقيقة علم".

قد يبدو هذا المثل نموذجاً فردياً، وأنه لا يصلح لأن يستنتج منه حكم عام، لولا أن الرازي يذكر في تضاعيفه أن أصحابه (أي الحكماء) كانوا

يردون على هذه العصابة (أي الأدباء) بأن علمهم اصطلاحى، فالأمر أوسع من أن يكون مقصوراً على حادثة فردية، بحيث يمكن أن يكون صراعاً بين فئتين متفautتين في الانتماء الثقافى، ويستدرك الرازى على ما تقدم بقوله: "ولسنا نقصد الاستجهال والاستنقص لجميع من عني بالنحو والعريية واشتغل بهما وأخذ منهما، فإن فيهم من قد جمع الله له إلى ذلك حظاً وافراً من العلوم، بل للجهال من هؤلاء الذين لا يرون أن علماً موجوداً سواهما، ولا أن أحداً يستحق أن يسمى عالماً إلا بهما^(٨).

كان في وسع هذا النحوي اللغوي أن ينكر كل ما سوى علمه لقصور في تصوّره، وكان في وسع المحدث أن يتجاهل كل ما لا يمت بصلة إلى علمه لأنه خاضع لمنهجية دقيقة أيضاً توازي (وليس من الضروري أن توافق) منهجية المفكر المتفلسف، ولكن لم يكن بمقدور هذا الأخير أن يقف موقفاً مشابهاً لهذين، خضوعاً أيضاً لانتمائه ولمنهجه، ولذلك كانت نظراته الشمولية إلى العلوم وتفرعاتها، ثم الخروج بتصنيف لها، أمراً يشبه الحتم، وكان هو حريصاً أشد الحرص على ذلك لكي يمنح الفلسفة (وخاصة الجانب المتأفيزيقي منها) مكاناً في تصنيفاته، ذلك أنه لم يكن يجد من ينكر عليه ناحية "المنفعة" في سائر علوم الأوائل (ما عدا الجانب التنجيمي من علم الهيئة، وما عدا الموسيقى لدى من يضيق ذرعاً بها)، إلا أنه كان يواجه حملة شعواء على مستويات مختلفة إذا هو تحدث عن المتأفيزيكا (العلم الإلهي)، فالرغبة لدى هؤلاء في التصنيف قوة حافزة ليس هدفها إيجاد مكان للمعارف المتصلة بالشرعية ضمن رؤية معينة، فهذه المعارف لها من المؤيدين ما يكفل

لها الوجود الكامل في أي تصنيف، ولكن الهدف هو إظهار "التكامل" بين معارف الأوائل والمعارف الدينية أو على الأقل: وضع تصور جديد لا ينبذ الفلسفة ولا يهمل الشريعة، ويتمتع بشمول يحترم الفكر ويجد من الفكر، نفسه كل تقدير.

وكان من أقوى التصنيفات جاذبية ذلك التقسيم الثلاثي الذي يستنتج من موقف أرسطاطاليس، أعني قسمة العلوم إلى علوم نظرية وعلوم عملية منتجة أو آلية (ميكانيكية)، ثم على وجه الخصوص قسمة العلوم النظرية في ثلاثة أيضاً هي: العلم الرياضي، والعلم الطبيعي، والعلم الإلهي (المتافيزيقا)^(٩)؛ وقد وجدت هذه القسمة الأخيرة صيغتها الحاسمة لدى ابن سينا (١٠٣٦/٤٢٨) حين لم يكتف بأخذها كما هي بل أعطاها من الوصف ما ينبئ عن تدرج في القيمة، إذ وضع العلم الطبيعي في القاعدة وسماه العلم الأسفل، وجعل العلم الإلهي في الأعلى، وسمى العلم الرياضي العلم الأوسط^(١٠)؛ وقد كان لهذه التسمية الجديدة أثرها في مختلف الفئات، وعندما وصلت في تأثيرها إلى فقيه مثل ابن عبد البر النمري في القرن الخامس (١٠٧١/٤٦٣) تحول بها إلى ما يخدم الغاية الدينية فقال: "والعلوم عند جميع أهل الديانات ثلاثة: علم أعلى، وعلم أسفل، وعلم أوسط؛ فالعلم الأعلى عندهم علم الدين الذي لا يجوز لأحد الكلام فيه بغير ما أنزله الله في كتبه وعلى السنة أنبيائه، صلوات الله عليهم، نصاً، والعلم الأوسط هو معرفة علوم الدنيا التي يكون معرفة الشيء منها بمعرفة نظيره، ويستدل عليه بجنسه ونوعه، كعلم الطب والهندسة، والعلم الأسفل هو أحكام الصناعات وضروب الأعمال، مثل السباحة والفروسية والزي والتزويق والخط، وما

أشبه ذلك من الأعمال التي هي أكثر من أن يجمعها كتاب أو يأتي عليها وصف، وإنما تحصل بتدريب الجوارح فيها"^(١١).

ولم يكن ابن عبد البر غافلاً عما أحدثته من تغيير في التصنيف الفلسفي لأنه أضاف قائلاً: "وهذا التقسيم في العلوم كذلك هو عند أهل الفلسفة، إلا أن العلم الأعلى عندهم هو علم القياس في العلوم العلوية التي ترتفع عن الطبيعة والفلك، مثل الكلام في حدوث العالم وزمانه والتشبيه ونفيه وأمور لا يدرك شيء منها بالمشاهدة ولا بالحواس"^(١٢)، وهو يعتقد أن هذا علم مستغنى عنه لأن الكتب السماوية الناطقة بالحق الصدق قد قامت مقامه.

إن هذا النموذج الأرسطاطاليسي السِّينوي ظل هو المحور المعتمد في كل تصور لأصناف العلوم، ولكن بدلاً من طرح العلم الأعلى عند الفلاسفة ووضع علم آخر موضعه - كما فعل ابن عبد البر - أصبح جهد المصنفين موجهاً نحو الإبقاء عليه كما هو، واستحداث مركب آخر ثنائي يقسم العلوم إلى قسمين: علوم الدين وعلوم الدنيا، أو علوم المسلمين وعلوم الأوائل، العلوم النقلية والعلوم العقلية، إلى غير ذلك من تسميات خلدت هذا التوازي على مرّ الزمن، ولا ندري متى بدأت هذه الرؤية الثنائية تجدد طريقها إلى التصنيف، ولكننا نعتقد أنها أقدم بكثير من التقسيمات الثلاثية، وأنها ربما كانت وليدة اشتداد حركة الترجمة في القرن الثاني الهجري، ذلك أننا نجدها عند جابر بن حيان (٢٠٠/٨١٥) الذي يرى أن العلوم تقع في ضربين: علم الدين وعلم الدنيا^(١٣)، إلا أننا إذا استرسلنا مع جابر في تفريعاته وجدناه يبيّن منهجاً غاية في الغرابة، فيقسم العلوم الدينية إلى شرعية وعقلية، والشرعية

ظاهرة وباطنة، والعقلية نوعان: علوم معان وعلوم حروف، فعلوم المعاني نوعان: فلسفية وإلهية وعلوم الحروف تنقسم أيضاً إلى قسمين: طبيعي وروحاني، فالطبيعي يتفرع إلى أربعة: هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والروحاني ينقسم بدوره إلى نوراني وظلماني . ذلك هو الهيكل الذي تمثل أركانه العلوم الدينية، أما العلوم الدنيوية فيقسمها جابر بحسب قيمتها إلى علم شريف وعلم وضيع: فالعلم الشريف هو الكيمياء - المجال الذي اختاره جابر لفكره وتجاربه، والوضيع هو علم الصنائع التي تعين الإنسان على الكسب الدنيوي^(١٤).

وليس من الواضح أن كان الكندي (٨٧٣/٢٦٠) قد اعتمد القسمة الثنائية على نحو ما، فإن رسالتيه اللتين قد توضحان موقفه لم تصلا إلينا، وهما: كتاب مائة العلم وأقسامه، وكتاب أقسام العلم الإنسي^(١٥)، غير أن استخدامه لفظة "الإنسي" في عنوان الكتاب يوحي بأنه كان يرى للعلوم مصدرين أحدهما أنساني، وذلك ما يدل عليه قوله في رسالته في كمية كتب أرسطاطاليس وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة: "فأن عدم علم الكمية وعلم الكيفية، وعدم علم الجواهر الأولى والثواني، فلم يطمع له في علم شيء بته من العلوم الإنسانية التي تتم بطلب وتكلف البشر وحيلهم ...^(١٦)، ثم يمضي في المقارنة بين علم الفيلسوف وعلم الرسل صلوات الله عليهم، فهذا الثاني يكون "بلا طلب ولا تكلف ولا بحث ولا مجلبة بالرياضيات والمنطق ولا بزمان"^(١٧). ترى هل يعد الكندي العلوم المنبثقة عما جاء به الرسل من فقه وحديث وغير ذلك - وهي جهد إنساني يتم بطلب البشر وتكلفتهم -

من ضمن العلوم الإنسانية، أو يلحقها بمصدرها الأول إتباعاً؟ ذلك ما لا تبينه رسالته في كمية كتب أرسطاطاليس التي تنبئ عن معرفة واضحة لتصنيف العلوم حسب النموذج الفلسفي المذكور، وأن كان الإحساس بالثنائية متوفراً لديه^(١٨).^(١٩)

وذلك الإحساس نفسه هو الذي كان يشعر به الفارابي (٩٥٠/٣٣٩)، وهو يحاول إحصاء العلوم، غير أنه بدلاً من أن يجعل العلوم في قسمين: دينية ودينيوية، اختط لنفسه منهجاً جديداً يمكن أن يوصف بالتفرد، فقد أبرز في البداية قيمة علمين قد يعدهما غيره آلتين للعلوم وهما علم اللسان وعلم المنطق، والثاني منهما عند أرسطاطاليس آلة (وكذلك عند ابن سينا)، وغايته من ذلك حصر الأساسين الكبيرين اللذين تبنى عليهما العلوم جملة، ما كان ليتجاهل أن هذين الأساسين بتفريقهما المختلفة قد أصبحا - وخاصة علم اللسان - علوماً جمّة، فعلم اللسان يشمل الألفاظ المفردة وعلم الألفاظ المركبة وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة وعلم قوانينها عندما تكون مركبة وقوانين تصحيح الكتاب وقوانين تصحيح القراءة وقوانين تصحيح الأشعار: سبعة علوم في مجموعها عند كل أمة تمثل "الأوليات" التعبيرية وصورها المختلفة، فهي - على أنها علم أو علوم - تمثل في سياق العلوم الأخرى ما تمثله الأبجدية في الكتابة، وأما صناعة المنطق فإنها تعطي بالجملة "القوانين التي شأنها أن تقوم العقل وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ونحو الحق في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات، والقوانين التي يمتحن بها في المعقولات ما ليس يؤمن أن يكون قد غلط فيها غلط^(٢٠)". ويقارن الفارابي بين المنطق وبين

علم النحو وعلم العروض^(٢١)، ويورد أقسام المنطق الثمانية بحسب كتب أرسطاطاليس: قاطيغوريوس باري ارمنياس، أنا لوطيقا الأولى، أنا لوطيقا الثانية، طوبيقا، سوفسطيقا، ريطوريقا، بولطيقا^(٢٢). أما العلم الثالث فهو ما يسميه أرسطاطاليس العلم الرياضي، ويسميه الفارابي علم التعاليم، ويقسمه إلى علم العدد والهندسة والمناظر والنجوم والموسيقى والأثقال والحيل، فيضيف إلى الأربعة الكبرى - وهي العدد والهندسة والنجوم والموسيقى - ثلاثة أخرى يعدها غيره أقساماً فرعية للعلوم الرياضية^(٢٣)، ويبدو هنا حرص الفارابي على التوازن العددي، فعلم اللسان سبعة وكذلك التعاليم، وعلم المنطق ثمانية، وكذلك العلم الطبيعي (وهو الرابع من حيث الترتيب)، فهو ثمانية فروع مبنية على جهود أرسطاطاليس في كتبه الآتية: السماع الطبيعي والسماء والعالم والكون والفساد والآثار العلوية وكتاب المعادن وكتاب النبات وكتاب الحيوان وكتاب النفس. فإذا عرض الفارابي للعلمين الخامس والسادس وهما العلم الإلهي والعلم المدني (أو ما يسميه غيره العلوم العلمية: من أخلاق وسياسة وتدبير)، تبين لنا أنه التزم إلى حد كبير بالمفهوم المشائي لصنوف العلوم، غير أنه يفاجئنا برؤية جديدة حين يضع العلم المدني وعلم الفقه وعلم الكلام في فصل واحد، ذلك لأنه يلمح قاسماً مشتركاً بين هذه العلوم، فإذا كانت الأخلاق تبحث في الفضائل والرذائل، وكانت السياسة هي أن تكون الأفعال والسنن الفاضلة موزعة في المدن والأمم (والتدبير يعنى بالمنزل وبشؤون الاقتصاد عامة)، فإن الفقه يتناول الأفعال التي تنظم

المعاملات، كما أن الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال التي صرح بها واضع الملة، أي هو نصر للفقه والأصول الفقهية.

ولا بد من أن نلاحظ أن إحصاء الفارابي للعلوم رغم احتفاظه بلب التصنيف الفلسفي استطاع أن يستوعب أجزاء جديدة مستوحاة من الواقع العلمي للعلوم لدى الأمة الإسلامية^(٢٤)، وإن لم يحاول أن يلجأ إلى ثنائية الدين والدنيا، بل مزج بينهما مزجاً بارعاً على نحو لم يوفق إليه من جاؤوا بعده. ومن الواضح أن منهج الفارابي يتميز بوضع "مقولات كبرى" يمكن أن تندرج تحتها تفريعات قد تجدد في المستقبل، فهو لم يحاول أن يعطي للفروع تسميات محددة، وإنما ترك الجو صالحاً لمزيد من التوالد الطبيعي في العلوم. ويبدو أن كتاب إحصاء العلوم يمثل تطوراً في نظرة الفارابي نفسه إلى التصنيف، ففي رسالته "كتاب التنبيه على سبيل السعادة"، نجده يلتزم التقسيم التقليدي، فيجعل الفلسفة النظرية ثلاثة أصناف: علم التعاليم والعلم الطبيعي علم ما بعد الطبيعيات، والفلسفة المدنية تشمل الأخلاق والسياسة^(٢٥). ولم ينسَ الفارابي أن يعرّج على تبيان ما يميز علماً من علم في المرتبة، ولهذا جعل فضيلة العلم أو الصناعة مبنية على واحد من الأمور الثلاثة، فالعلم يفضل علماً آخر بشرف الموضوع مثل علم النجوم، أو باستقصاء البراهين مثل علم الهندسة، أو بعظم الجدوى مثل العلوم الشرعية والصناعات الضرورية، وقد يجتمع ثلاث من هذه الخصائص أو اثنتان في علم واحد فيكتسب فضيلة إضافية وتلك هي حال العلم إلا نهي^(٢٦).

وليس يضيرنا أن نسأل هنا على ضوء ما جدّ بعد الفارابي من نظرات تصنيفية أين يقع في منهجه المتطور كل من الطب والفراسة، وتعبير المناطات

والطلسمات والنيرنجات والكيمياء وسائر تلك الأمور التي ستجد لها مكاناً بعده لدى أخوان الصفا وابن سينا، سواء أجعلت أصولاً أم فروعاً في البنية التصنيفية، أن هذا التساؤل يوضح إلى أي مدى كان الفارابي منحازاً إلى "الأساس الفكري" في نظريته إلى العلوم، على ما في منهجه العام من مرونة وسعة.

وحين حاول أخوان الصفا أن يلبوا حاجة الواقع الراهن حينئذ في تصنيفهم للعلوم عادوا إلى انتحال قسمة ثلاثية من نوع جديد، فجعلوا العلوم رياضية (اعني قائمة على الدربة والتمرين، وهي شيء مختلف عن الرياضيات) وشرعية وفلسفية، محاولين الاحتواء الشامل لكل ضروب النشاط الإنساني، موسعين من مدلول لفظة "علم" إلى أقصى حد تتطلبه طبيعة العصر، ولا بأس أن أورد هنا تقسيماتهم لطرافتها^(٢٨).

أ- العلوم الرياضية تسعة:

- (١) علم الكتابة والقراءة.
- (٢) علم اللغة والنحو.
- (٣) علم الحساب والمعاملات (الحساب هنا بمعنى المحاسبة، وليس علم العدد النظري).
- (٤) علم الشعر والعروض.
- (٥) علم الزجر والفأل وما يشاكله.

(٦) علم السحر والعزائم والكيمياء والحيل وما شاكلها.

(٧) علم الحرف والصنائع.

(٨) علم البيع والشراء والتجارات والحرث والنسل.

(٩) علم السير والأخبار.

ب- العلوم الشرعية ستة:

(١) علم التزويل.

(٢) علم التأويل.

(٣) علم الروايات والأخبار.

(٤) علم الفقه والسنن والأحكام.

(٥) علم التذكار والمواعظ والزهد والتصوف.

(٦) علم تأويل المنامات.

ج- العلوم الفلسفية أربعة:

(١) الرياضيات، وهي أربعة: العدد، والجومطريا، والاسطرنوميا، والموسيقى.

(٢) المنطقيات، وهي خمسة: (ترتقي إلى ثمانية بحسب كتب أرسطاطاليس يضاف إليها ايساغوجي).

(٣) الطبيعيات، وهي سبعة: (بحسب ما في كتب أرسطاطاليس في هذا المجال)

(٤) الإلهيات، وهي خمسة: معرفة الباري، علم الروحانيات، علم النفسانيات، علم السياسة، علم المعاد.

ويتضح من هذا كله مدى التغيرات التي أحدثوها في مناهج من سبقهم إضافة وتعديلاً، فقد حشدوا الأمور النفعية التي تتطلبها الحياة اليومية أو ترغب فيها تحت عنوان جديد هو العلوم الرياضية (دون أن يكون للطب أي وجود في نظامهم). وتنبهوا لأول مرة إلى علم السير والأخبار، وآثروا كلمة "تأويل" على كلمة "تفسير" خدمة لمعتقداتهم الإسماعيلية، وعدوا المواعظ والزهد والتصوف -لأول مرة- علماً، وجعلوا تأويل المنامات تحت العلوم الشرعية، ولم يغيروا شيئاً في تصنيف المنطقيات والطبيعيات عما جاء عند الفارابي، ولكنهم جعلوا السياسة في الإلهيات، وهو شيء لا وجود له في النموذج اليوناني، كما أن مفهومهم للروحانيات (التي هي ملائكة الله وخالص عباده)، والنفسانيات (التي هي معرفة النفوس والأرواح السارية في الأجسام الفلكية والطبيعية) وإضافتهم علم المعاد (وهو كيفية انبعاث الأرواح من ظلمة الأجساد وحشرها لحساب يوم الدين) كل ذلك يشير إلى استغراقهم في توصيل معتقداتهم الخاصة إلى الآخرين، وتلك هي غايتهم الكبرى من مجموع الرسائل.

وموقف ابن سينا في تصنيف العلوم مقارب لموقف أخوان الصفا، وأغلب الظن أنه متأثر بهم، فقد كان أبوه إسماعيلياً على ما حكى في سيرته،

ولكنه أشد حذراً منهم، وأكثر التزاماً بالمفهوم الأرسطاطاليسي^(٢٩). فالسياسة والأخلاق عنده ما يزالان كما هما عند الفارابي من العلم المدني (أو الحكمة العملية) إلا أنه يضيف إليهما ما يتعلق بالنبوة والشرعية، ويجعل الطب والتنجيم والفراسة والتعبير والطلسمات والنيرونجات والكيمياء فروعاً من الحكمة لا طبيعية، ويعد عمليات الحساب وعلم المساحة والحيل وجر الأثقال والموازين ونقل المياه والزيجات والتقويم متفرعة من العلوم الرياضية. ويكاد اللقاء بين ابن سينا وأخوان الصفا يكون تاماً في ما يشمل العلم الإلهي (بعد إسقاط علم السياسة)، فهذا العلم يتكون - في نظره - من خمسة أصول: النظر في معرفة المعاني العامة لجميع الموجودات من الهوية والوحدة والكثرة والوفاق والخلاف ... الخ. النظر في الأصول والمبادئ، والنظر في إثبات الحق الأول وتوحيده، والنظر في إثبات الجواهر الأول الروحانية، وتسخير الجواهر الجسمانية السماوية والأرضية لتلك الجواهر الروحانية، تلك هي أصول العلم الإلهي، أما الفروع فهي كيفية نزول الوحي، والجواهر الروحانية التي تؤدي الوحي، وعلم المعاد^(٣٠).

ويكرر أبو الحسن العامري تصور الكندي للعلوم من أنها علوم هي آلة كالمنطق واللغة، وعلوم مقصودة لذاقها، إلا أنه أوضح وأصرح من الكندي حين يجعل العلوم المالية موازية للعلوم الحكمية من حيث أن كلا من الفئتين يقصد لذاته. ويعني بالعلوم المالية صناعات ثلاثاً: صناعة الحديد وهي تشمل الأخبار والتفسير والتاريخ والحديث، وصناعة الكلام، وصناعة الفقه؛ وصحيح أن العلوم الحكمية (التي آلتها المنطق) تختلف عن العلوم المالية (التي تتخذ من اللغة آلة لها) في المنهج؛ فإحداهما قائمة على العقل والبرهان والأخرى على الخبر، ولكن الاثنتين تتعاونان على بلوغ السعادة الأبدية، وليس بينهما "عناد أو مضادة". ولا بد من أن نلاحظ هنا أن العامري يصرح بالتكافؤ في قسمته الثنائية، على غير ما جرى عليه الفارابي وابن سينا، وأنه

يلتقي مع أخوان الصفا حين يجعل "علم الأخبار والتاريخ" واحداً من العلوم
الملية (الشرعية)^(٣١).

تلك صورة للجهود النظرية التي بذلت في التصنيف حتى أوائل القرن
الخامس الهجري، وهي إذا وضعت موضع التطبيق العملي قد تتطلب تعديلاً
في مجالات مختلفة، فهناك علوم قد تجدُّ ولا يؤخذ لها حساب في المنهج
النظري (إلا أن يكون مرناً مثل منهج الفارابي)، وهناك علوم فرعية - في
نظر أولئك المصنفين - ولكن العلم الفرعي قد يتسع مع الزمن ويكبر الاهتمام
به حتى ليزاحم العلم الأصلي في أهميته وكثرة تفرعاته الجديدة، وليس يغني
كثيراً أن يقال أنه من الناحية الفكرية المحضة فرغ من العلم الطبيعي أو من
العلم النظري مثلاً. وقد تنبه الفارابي إلى شيء من هذا عندما عدَّ علم الأثقال
وعلم المناظر في صميم علم التعاليم، بينما عدَّهما ابن سينا علوماً فرعية، ولهذا
كانت حاجة المصنف العملي إلى تسمية العلوم وعدّها أكثر من حاجته إلى
تصنيفها، مع الخلط بين تيارين يبدوان متفاوتين في طبيعتهما. ولهذا عادت
القسمة الثنائية تفرض نفسها أكثر من أية قسمة أخرى في هذا المجال وخاصة
لدى الخوارزمي (٩٩٧/٣٨٧) وابن النديم (١٠٤٧/٤٣٨).^(٣٢)



وقبل أن نعرض لهذين المصنفين لا بد من الوقوف عند رسالة تبدو خارجة تماماً عن المنطق التصنيفي الذي عرفناه منذ الكندي حتى ابن سينا، فلا هي تلحظ القسمة الثلاثية ولا تحتفظ بدقة القسمة الثنائية ولا يبدو أن لها صلة بالتصنيف النظري أو العملي، وتلك هي "رسالة في العلوم"، تحمل اسم أبي حيان التوحيدي (١٠٢٣/٤١٤)، وتجيء رداً على من زعم أن "ليس للمنطق مدخل في الفقه، ولا للفلسفة اتصال بالدين، ولا للحكمة تأثير في الأحكام"، فهي دفاع عن المنطق والفلسفة (الحكمة) وعن طرق الأوائل جملة، ومؤلفها يحل على كتب ألفت من قبل، منها كتاب أقسام العلوم وكتاب اقتصاص الفضائل وكتاب تسهيل سبل المعارف^(٣٣). والكتاب الأول - أقسام العلوم - هو في الأرجح من تأليف أبي زيد البخري أحمد بن سهل^(٣٤) (٩٣٤/٣٢٢)، وأما الثاني والثالث فلم أعثر على صاحبيهما، على أن للكندي رسالة بعنوان "رسالة في تسهيل سبل الفضائل"^(٣٥)، والعنوان الذي ذكره مؤلف رسالة العلوم يجمع بين اسمي الرسالتين المذكورتين على نحو يوحي ثمة خلطاً سببه اضطراب النسخ، ويبدو - على كل حال - أن مؤلف الرسالة كان من أبناء القرن الرابع لأنه لا يتجاوز الإشارة إلى البلخي والكندي، وهو قد غادر العراق إلى بلد لم يذكره، ولكنه لقي في ذلك البلد من يتعقبه "أما أنه لو أنصف لعلم أي إلى تسمححه أحوج مني إلى تصفحه، وهو بمجاملته أسعد مني بمجادلته، وأنا لإحسانه أشكر مني لامتحانه"^(٣٦). فمؤلف الرسالة في

البلد الذي حله داعية إلى المنطق الفلسفة، وهو يجد من ينكر عليه ذلك، يتحدث إلى القوم الذين نزل بينهم بلغة الاستعلاء حين يقول: "فما هذا الذي بلغني عن بعضكم على حسن توفيدي على صغيركم وكبيركم؟"، وهذا المؤلف يمنح الكلام مقاماً كبيراً بين العلوم، فهو علم "يدور النظر فيه على محض العقل في التحسين والتقبيح والإحالة والتصحيح"^(٣٧)، بل هو متأثر بالفارابي في ما يجريه من مقارنة بين الكلام والفقه حين يقول: "وبابه مجاور لباب الفقه والكلام فيهما مشترك، وإن كان بينهما انفصال وتباين فإن الشراكة بينهما واقعة، والأدلة فيهما متضاربة، ألا ترى أن الباحث عن العالم في قدمه وحدثه وامتداده وانقراضه يشاور العقل ويخدمه ويستضيء به ويستفهمه، كذلك الناظر في العبد الجاني: هل هو مشابه للمال فيريد إليه أو مشابه للحر فيحمل عليه"^(٣٨)، وكل هذا لا ينطبق على التوحيد، لم يكن يسافر من بلد إلى بلد "مفيداً أو مستفيداً" للدعوة إلى المنطق والفلسفة، وهو أبعد ما يكون عن الشعور بأسباب السيادة والاستعلاء، وهو ضيق الصدر بالكلام والمتكلمين على حد سواء.

ومهما يكن من أمر فإن مؤلف هذه الرسالة يرتب العلوم على النحو الآتي: الفقه (ومداره على الكتاب السنة والقياس)، والكلام والنحو واللغة والمنطق والطب والنجوم والحساب المفرد بالعدد والهندسة والبلاغة ثم التصوف (وهو مضاف إلى الرسالة إلحاقاً). وباستطاعتنا أن نلاحظ أنه يعد أربعة من العلوم الإسلامية وخمسة من علوم الأوائل، فأما وضعه البلاغة

عاشراً لتلك العلوم التسعة فحجته فيه أن البلاغة تتصل بكل واحد منها، وقد منح للبلاغة ما منحه الفارابي لعلم اللسان جملة، وموضع المغالطة عند مؤلف الرسالة أنه بدلاً من أن يحدد مفهوم البلاغة وأبعادها تحدث عن البليغ الذي يستطيع بصناعته "سل السخائم وحل الشكائهم"، الذي يجب أن يبرأ من التكلف وأن يحتكم إلى سلاسة الطبع، وبدلاً من أن تجيء البلاغة عنده نتيجة لأحكام اللغة والنحو وغيرهما من الأدوات جاءت علماً مستقلاً بنفسه، ولم تكن في الواقع كذلك. وبهذا خرج على القسمة الثنائية، كما أغفل علوماً أخرى كانت جديرة باهتمامه.

ويبدو تأثر المؤلف بمن سبقه المصنفين النظريين حين ألمح بسرعة إلى انقسام كل علم من علوم الأوائل إلى اتجاه عملي وآخر نظري: كذلك هو وضع الطب والنجوم والحساب والهندسة، فمن اقتصر على الجانب العملي منها كان في درجة الصنّاع ولم يعد في العلماء، ويمكن أن نعد ذكره للتصوف تأثراً بأخوان الصفا أن كان حديثه عن التصوف يذكر بأبي حيان، وذلك حين يقول: "اعلم أن التصوف علم يدور بين إشارات إلهية وعبارات وهمية وأغراض علوية وأفعال دينية وأخلاق ملوكية"^(٣٩)، ومجيء التصوف في نهاية الجريدة كلها يدل على اضطراب في التقسيم، كما قدمت، فإذا عددناه إلحاقاً على أصل الرسالة، فإننا لا نستبعد أن يكون المؤلف قد اقتبس من أبي حيان، وبسببه نسبت الرسالة كلها له.

ويختلف التصنيف لدى الخوارزمي وابن النديم بسبب اختلاف الغاية عند كل منهما. فالأول يهدف إلى حصر المصطلحات التي جددت في كل علم، ولذلك كانت قسمته للعلوم بسيطة، فهي تقع في مقالتين، وكل مقالة تنقسم

في فصول، فالأولى منهما تضم الفقه والكلام والنحو والكتابة، والشعر والعروض، والأخبار، والثانية تضم الفلسفة والمنطق والطب وعلم العدد والهندسة وعلم النجوم والموسيقى والحيل والكيمياء، وهو يصرح أنه اختار القسمة الثنائية لأنه يريد أن يخصص المقالة الأولى للحديث عن علم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية، والثانية لعلوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم^(٤٠). وإذا كانت هذه القسمة صريحة لدى الخوارزمي فإنها ضمنية لدى ابن النديم، ويمكن بسهولة أن نرى في تتابع العلوم الإسلامية في المقالات الست الأولى ثم ذكر الفلسفة والعلوم القديمة بعد ذلك اتكاء على التقسيم الثنائي، ولكن مهما يكن من شأن هذا التصنيف الضمني فقد كانت طبيعة عمل ابن النديم تستلزم النظر إلى الكتب المؤلفة لا إلى افتراض مجالات علمية، وتلك الكتب المؤلفة أحياناً تعز على التصنيف التقليدي المتوارث حتى عهده، فهناك مثلاً علم الكلام، وهو داخل في بعض التصنيفات السابقة، ولكن هناك المتكلمون من شتى الفرق الإسلامية، وقد ألفت في أخبارهم كتب كثيرة، وهناك كتب بالعربية في مذاهب الصائبة الحرائية وغيرهم، وكلها تستحق أن تقيّد ضمن التاريخ الشمولي للحركة الفكرية، ولكن أين تقع تلك الكتب إذا اعتبرنا التصنيف المتعارف؟

لهذا يتعدى ابن النديم حدود التصنيف للعلوم إلى أمور تقع في خارجه وفاء بالغاية التي من أجلها صنع كتاب "الفهرست"، ولا يمكن أن يحاسب مثلما يحاسب مثلاً ابن سينا وأخوان الصفا، فهؤلاء جعلوا للطلسمات والنيرنجات وما أشبهها مكاناً في المبنى العلمي، وقد كان في مقدورهم أن

يسقطوها (من زاوية الفكر النظري لمفهوم لفظة علم)، ولكن ابن النديم الذي كان يحصي ما ألف من كتب في كل مجال لا يلام إذا عقد فصلاً (المقالة الثامنة)، في فنون الأسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة، ولو أسقط هذا الفصل من كتابه لكان ذلك إخلالاً بالأمانة في رصد الواقع العملي، ولما كان "الفهرست" مبنياً على أخبار المؤلفين في كل فن (ثم ذكر ما ألفه كل منهم في ميدانه)، فليس من العدل أن نطبق عليه الأحكام التي تطبق على غيره من الكتب الخاصة بالتصنيف، وقد كان في مقدور الفهرست أو يوحى بإعادة النظر في تصنيف العلوم، ولكنه لم يفعل إلا في حدود يسيرة.

في هذا السياق المشرقي المتدرج يجيء ابن حزم (١٠٤٦/٤٥٦) في أقصى المغرب (في الأندلس) ليمثل وقفة هامة لأنها تجاوزت ما تم في المشرق، وإن كان صاحبها قد تأثر بما حققه المشاركة في هذا الميدان. فقد انطلق ابن حزم نحو الحديث عن العلوم وتصنيفها من موقعين: الأول صلته بالمنطق والفلسفة، وهي صلة تكاد تلزم صاحبها بالوقوف عند العلوم ومقدمات كل علم وكيفية أخذ تلك المقدمات، وهذا ما تصدى له في كتاب التقريب لحد المنطق، والثاني نزعة التدين العملي التي كانت توجه تلامذته إلى سؤاله عن العلوم وماذا يأخذون منها وماذا يتركون، وهذا ما عرض له في رسالتيه "مراتب العلوم" و"رسالة التلخيص لوجوه التخليص".

ومن الغريب أن ابن حزم في التقريب قد تنهى في التبسيط، فلم يعباً بتلك النظرة الشمولية التي وضعها الفارابي ولا بتلك التصنيفات

الأرسطاطاليسية التي تمسك بها ابن سينا ولم يعر التقسيم الثلاثي أدنى اهتمام، بل اكتفى بتسميته العلوم الدائرة بين الناس في زمنه فوجدها على طريق الحصر اثني عشر علماً (ينتج عنها علمان) فعدها دون أن يراعي -إلا قليلاً- ثنائية الانقسام بين العلوم الإسلامية وعلوم الأوائل وهي: علم القرآن، وعلم الحديث، وعلم المذاهب، علم الفتيا، وعلم المنطق، وعلم النحو، وعلم اللغة، وعلم الشعر، وعلم الخبر، وعلم الطب، وعلم العدد والهندسة، وعلم النجوم (وينتج عنها علم البلاغة وعلم العبارة^(٤١)). وفي هذه التسمية رغم بساطتها نجد أن ابن حزم قد ذكر علمين لم يكن لهما ذكر من قبل وهما علم المذاهب وعلم الفتيا، وأكد حرصه على علم العبارة (تعبير المنامات) وعلم الخبر، ووضع البلاغة في نهاية العلوم الأصلية كما فعل مؤلف الرسالة المنسوبة لأبي حيان، ولا نظن أن ابن حزم قد زاد علماً جديداً على ما كان معروفاً، فعلم المذاهب يمكن أن يستنتجه كل من قرأ "الفهرست"، وهو تسمية جديدة لعلم الكلام، تُوسّع من حدوده أو تُضَيّق بحسب مفهومات المذهب الظاهري^(٤٢)، مثلما أن علم الفتيا تسمية جديدة لعلم الفقه (توسع من حدوده أو تضيق) لأن الفتيا تعتمد -في نظره- على مقدمات مأخوذة من القرآن والحديث والإجماع (ولم يقل القياس لأنه ينكره في مذهبه)، ومن الواضح أنه كسر التقسيم الثنائي حين تعمد أن يضع المنطق بين العلوم الإسلامية ليوحي بأنه علم مشترك بين جميع الأمم مثلما أنه في خدمة جميع العلوم، كما أنه لم يجر أي ذكر للفلسفة لأن القسم الذي يهيمه منها مثل حدوث العالم والخلاء والملا وما أشبه يقع حسب تصوره في ما سماه "علم

المذاهب"، كما أنه لم يفسح في تصنيفه هذا مجالاً للعلوم الطبيعية (عدا الطب) مثل الحيل والمناظر، والجواب على هذا أنه يحتكم إلى الأمر الدائر بين الناس في تعداد العلوم هنا، وأنه يعلم تماماً كما قال في رسالته في مراتب العلوم "إن كل ما علم فهو علم فيدخل في ذلك علم التجارة والخيطة والحياكة وتدبير السفن وفلاحة الأرض"^(٤٣). وبسبب هذا الاحتكام إلى ما دار بين الناس فارق التصنيف الفلسفي عن وعي وتعمد: "وهذه الرتبة هي غير الرتبة التي كانت عند المتقدمين، ولكن إنما نتكلم على ما ينتفع به الناس في كل زمان مما يتوصلون به إلى مطلوبهم من إدراك العلوم"^(٤٤)، وهي غاية عملية، تنسجم تماماً مع روح كتاب التقريب الذي ما وضع أصلاً إلا لتلك الغاية نفسها.

واستجابة لتساؤلات تلامذته حول العلوم استطاع ابن حزم أن يقرر الحد الأدنى الضروري لكل طالب من علم القراءات والحديث والنحو واللغة والشعر والحساب والطب^(٤٥)، كما توجه بطبيعة التساؤلات نفسها إلى المفاضلة بين العلوم، وهذا ما يوحي به عنوان رسالته "مراتب العلوم". وهو عنوان استعمله الفارابي من قبل^(٤٦)، ولعله هو ذلك الكتاب نفسه الذي سمي من بعد "إحصاء العلوم". ودّين ابن حزم للفارابي يتجاوز العنوان إلى فكرة المفاضلة نفسها التي عرضها الفارابي أيضاً في إحدى رسائله الأخرى، إلا أن ابن حزم انتقل بالمفاضلة إلى مستوى جديد لم يهتم به الفارابي، للفرق الأصيل بين توجه الرجلين، فأفضل العلوم لدى ابن حزم "ما أدى إلى الخلاص في دار الخلود ووصل إلى الفوز في دار البقاء"^(٤٧)، وذلك هو علم

الشرعية، إذ حقيقة العلم ما ينفع في الدار العاجلة والآجلة، وليس معنى هذا أن العلوم الأخرى مُطَرَّحة، بل كل علم منها له فضل في ذاته وفضل في أنه درجة تصل بصاحبها إلى إتقان العلم الأسمى، ولما كان الإنسان لا يستطيع أن يحيط بالعلوم كلها فإنه ينصح بأن يأخذ من كل علم بنصيب، "ومقدار ذلك معرفته بأغراض ذلك العلم فقط ... ثم يعتمد العلم الذي يسبق فيه بطبعه وبقلبه وبجيلته فيستكثر منه ما أمكنه، فرمما كان ذلك منه في علمين أو ثلاثة أو أكثر على قدر زكاء فهمه وقوة طبعه وحضور خاطره وإكبابه على الطلب ..."^(٤٨)، وهنا يعود ابن حزم ليقرر الحد الأدنى الصالح من كل علم ولكن على نحو متدرج لكي يرسم برنامجاً تربوياً للدارس، يوصله في النهاية إلى إتقان علم الشريعة، وهذا هو المنهج الأفلاطوني الذي تطلب فيه العلوم بالتدرج أيضاً للبلوغ إلى مرحلة الديالكتيك. كما يعرف كل من له إلمام بمنهجه التعليمي في كتاب الجمهورية، ولكن ما هي هذه العلوم التي يفترض في الدارس أن يعرفها؟ هنا يفارق ابن حزم ذلك التعداد الذي أوصلها من قبل إلى أربعة عشر علماً، ليضع قاعدة جديدة في التصنيف لم يتنبه لها أحد سوى الفارابي على نحو عام، وهي أن العلوم عند كل أمة وفي كل زمان ومكان سبعة: ثلاثة علوم تتميز بها أمة عن أخرى، وهي: علم شريعته، وعلم أخبارها، وعلم لغتها ؛ وأربعة تتفق فيها الأمم، وهي: علم النجوم، وعلم العدد، وعلم الطب، وعلم الفلسفة^(٤٩). إن العودة إلى سحر الرقم سبعة في هذه القسمة يجب أن لا يوقع في الوهم بأنها متناقضة مع القسمة الأولى إلى أربعة عشر، لأن التدقيق يجعلنا نرى أن علوم الأوائل (أو العلوم

المشتركة بين الأمم) كانت في حسب الإحصاء الأول أربعة، وهي كذلك في الإحصاء الثاني بفرق واحد وهو وضع الفلسفة في موضع المنطق لأنها أعم في الدلالة، أما العلوم الخاصة بكل أمة على حدة فإن ما عد في الإحصاء الأول هو تعريفاتها، فعلم الشريعة يساوي في الإحصاء الأول: علم القرآن، والحديث، والمذاهب، والفتيا (مع وضع لفظي الكلام والفقه موضع المذاهب والفتيا)؛ وعلم اللغة يساوي اللغة، والنحو، والشعر، وعلم الخبر على حاله في كليهما ؛ ثم هناك علمان في الإحصاءين يكونان نتيجة عن العلوم، وهما علم البلاغة وعلم العبارة.

ولا يخضع ابن حزم لواقع التأليف كما خضع مفكرو المشرق، فعدوا في العلوم أمراً لا ينطبق عليها اسم العلم مثل الطلسمات والكيمياء (بمعنى تحويل المعادن إلى ذهب) والسحر والشعوذة، لا لأن هذه الأشياء قد تتعارض مع بعض معتقده الديني، وإنما لأنها كانت علوماً عند ناس ثم درس رسمها "فمن ذلك علم السحر وعلم الطلسمات، فإن بقاياها ظاهرة لائحة، وقد طمس معرفة علمها"^(٥٠)، أي أن ابن حزم يرى أسسها ووسائلها قد خفيت ولا سبيل إلى استعادتها، ومن قبيل هذين العلمين الموسيقى، وقد يبدو هذا مستغرباً لأول وهلة، ولكن الذي يعنيه ابن حزم هو الموسيقى التي يحكون أنها كانت تشجع الجبناء وتسخر البخلاء وتؤلف بين النفوس - ثلاثة أنواع من الموسيقى لم يعد لها وجود، فأما الموسيقى التي لا تصنع مثل هذه المعجزات فإنه لا ينكر وجودها^(٥١)، ويضيف إلى هذين علم الكيمياء، فهو بخلاف الطلسمات والموسيقى اللذين ووجدا ثم عدما، لم يكن له وجود البتة: "وأما

هذا الذي يدعونه من قلب جوهر الفلز فلم يزل غير موجود وباطلاً لم يتحقق ساعة من الدهر، إذ من المحال الممتنع قلب نوع إلى نوع، ولا فرق بين أن يقلب نحاس إلى أن يصير ذهباً أو قلب ذهب إلى أن يصير نحاساً وبين قلب إنسان إلى أن يصير حماراً أو قلب حمار إلى أن يصير إنساناً^(٥٢).

يتضح من كل ما تقدم في تاريخ تصنيف العلوم ابتداء من جابر بن حيان حتى ابن حزم (وما بعد ابن حزم ينتمي إلى بحث آخر) أنه كانت لدى المصنفين المتفلسفين أو المتأثرين بالفلسفة تصورات شمولية منطلقة أساساً من موقف فكري محدد، قد يكون حيناً يونانياً في اسمه، وقد يبارح تمثل اليونانيين في تصنيفهم للعلوم (كما وضع عند ابن حزم)، وعلينا ألا ننخدع بعنوان كتاب الفارابي "إحصاء العلوم" فنظنه مجرد تعداد لأنواعها، بل هو كتاب تصنيفي دقيق المنحى واسع الأفق يعتمد أساساً فلسفياً^(٥٣)، وقد كان من الطبيعي اللجوء إلى تلك القسمة الثنائية النظرة إلى العلوم، كما كان من الطبيعي التفاوت بين المصنفين في إيلاء الأهمية أو الأفضلية لهذا القسم من العلوم دون ذاك، وقد استطاع ابن حزم أن يتجاوز حتى مفهوم "التكافؤ" بين الشقين، حين وضع نصب عينيه أن كل شيء يفعل المرء من علم وغيره فيجب أن يقوم بأدائه خالصاً لله، وعلى أساس هذه الحقيقة نظر إلى أن العلوم كلها تخدم غاية واحدة "وإجهاد المرء نفسه فيما لا ينتفع به إلا في هذا الدار من العلوم رأي فائل وسعي خاسر، لأن المنتفع به في هذه الدار من العلوم إنما هو ما اكتسب به المال أو ما حُفظت به صحة الجسم فقط منهما، وجهان لا ثالث لهما"^(٥٤)، ويرى ابن حزم أن العلم ليس أحسن السبل لكسب المال

كما أن حفظ صحة الجسد لا بد أن يكون تابعاً لحفظ صحة النفس، ولهذا استطاع أن يوحد الغاية من خلال تصنيفه فيراها في طلب علم الشريعة، مثلما كانت سائر العلوم عند المصنفين المتفلسفين في خدمة الفلسفة. فالشريعة تصلح الجسد والنفس معاً، ولهذا فهي مقدمة على الفلسفة التي هي مقصورة على إصلاح الأخلاق النفسية، ولا يمكن إصلاح أخلاق النفس بالفلسفة دون النبوة إذ طاعة غير الخالق -عز وجل- لا تلزم، والشريعة تحقق غايتين أخريين لا تحققهما الفلسفة، وهما: ترتيب الوضع الإنساني بدفع التظالم وإيجاد الأمن في هذه الدنيا، والفوز بالنجاة في الآخرة. وعلى هذا الأساس لا تفرض الفلسفة بل تندمج مع سائر العلوم في خدمة الشريعة، إذ لا ينكر ابن حزم ما لها من فائدة شأنها شأن سائر العلوم النافعة، وبذلك تجاوز ابن حزم التقسيم الثنائي للعلوم، وهي على وعي به، ليربط جميع العلوم معاً في تساندها وشده بعضها أزر بعض "فالعلوم كلها متعلق بعضها ببعض" ومن ثم لا يستغني منها علم عن غيره. وفي هذا يتجلى لنا إلى أي حد فارق ابن حزم المصنفين المشاركة في الرؤية والتنظير، وإذا كان ابن عبد البر يلتقي به، فذلك مما لا غرابة فيه، فقد كان الرجلان صديقين وبينهما مجالات لقاء كثيرة في الرؤية وتبادل الآراء، ولعل ابن حزم هو صاحب التأثير الواضح في معاصره، فقد تمت كتاباته في العلوم ومراتبها في دور مبكر، ونحن نرى في تصورهِ رسوخاً ووضوحاً أقوى من تصور ابن عبد البر وأشد منه احتفالاً بالموضوع نفسه. وتبدو في أنه خلافاً للاتجاه العام بين أبناء بلده وجد لعلوم الأوائل مكاناً "ضرورياً" في منهج التصنيفي، هل كان ابن حزم يهون من

شأن التعارض المفترض الذي يقيمه الآخرون بين ما يسمى علوم الأوائل وما يسمى علوم الشريعة؟ أن من عرف ابن حزم الذي طلب الفلسفة ودرس المنطق وألف فيه ووجهت إليه من أجل ذلك تهم مختلفة لا يستكثر منه هذا الموقف، بعد أن استبان له شخصياً سلامة منهجه الذي مارسه عملياً، فنظرته هذه هي خلاصة لتجربته الذاتية محمولة على "مركب" فكري مفلسف.

الهوامش

- (١) انظر: مسألة تصنيف المعرفة العلمية هنا في الشرقيين الأدنى والأوسط في القرون الوسطى، بقلم م.م. خيرالله يف، ص: ١٩٣-٢٠٤ (وخاصة ص: ١٩٧). مجلة التراث العربي، العددان ٤، ٥، السنة الثانية، دمشق (عدد خاص عن ابن سينا).
- (٢) حميد بن سعيد بن مختار المتعلم، كتاب "إضافة العلوم" ولعله "أصناف العلوم" ذكره ابن النديم في الفهرست الحاشية: ٢٢٠ (ط. طهران: ١٩٧١).
- (٣) في دلالة لفظة علم على الحديث وحده، انظر: مثلاً تقييد العلم للخطيب البغدادي، تحقيق: يوسف العش، الطبعة الثانية، ١٩٧٤، وخاصة الحاشية: ٢ ص: ٥.
- (٤) انظر: ربيع الأبرار للزمخشري، تحقيق: الدكتور سليم النعيمي (٣: ١٩٣) بغداد، ١٩٨٢، والأقوال كثيرة هنا في المصادر المختلفة.
- (٥) ربيع الأبرار ٣: ٢٠١.
- (٦) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر بن عبد البر (٢: ٤٩-٥٠) دار الفكر، بيروت.
- (٧) رسائل فلسفية لأبي بكر الرازي، جمعها بـ. كراوس (١: ٤٣) مصر: ١٩٣٩.
- (٨) المصدر السابق نفسه ١: ٤٤.
- (٩) يعكس الأستاذ محمد وقيدى هذا الوضع حين يقول: "إن قيام الشريعة الجديدة قد أدى إلى قيام معارف جديدة لم تكن معروفة لدى الأوائل، وهذه المعارف مشروعة وضرورية لارتباطها بأهداف الشريعة، لذلك فإنه ينبغي النظر في الكيفية التي تدمج بها هذه المعارف التي كانت معروفة قبلها" انظر: المبادئ المعرفية ... في مجلة دراسات عربية (مارس: ١٩٨٢) ٧٢.

G. Sarton, Introduction to the History of Science, Baltimor, (١٠)
p. 128, n.b.

(١١) تسع رسائل في الحكمة والطبيعات للشيخ الرئيس ابن سينا (ص: ١٠٥ من الرسالة الخامسة في أقسام العلوم العقلية) مصر، ١٩٠٨.

(١٢) جامع بيان العلم ٢: ٤٦.

(١٣) المصدر السابق نفسه.

(١٤) رسائل جابر (كتاب الحدود: ١٠٠) نشر ب. كراوس، القاهرة، ١٣٥٤، وانظر: أيضاً منهج البحث العلمي عند العرب لجلال محمد عبد الحميد موسى، (ص: ٦١) بيروت، ١٩٧٢.

(١٥) انظر: التعليق السابق.

(١٦) الفهرست لابن النديم، تحقيق: رضا تجدد (ص: ٣١٦).

(١٧) رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة (١: ٢٧٢) مصر، ١٩٥٠.

(١٨) المصدر السابق نفسه ١: ٣٧٣.

(١٩) لا يتحدث الكندي في رسالته المشار إليها عن تفرعات العلوم الدينية، وإنما يتحدث عن تفرعات الفلسفة وهي تنقسم قسمين: علوم هي آلة كالمنطق والرياضيات (من عدد وهندسة وتنجيم وموسيقى) وعلوم تطلب لذاتها على المستويين النظري (كالطبيعات وعلم النفس والميتافيزيقا)، والعملية (كالأخلاق والسياسة).

(٢٠) إحصاء العلوم للفارابي، تحقيق: الدكتور عثمان أمين (ص: ٤٦-٤٧) مصر، ١٩٤٩.

(٢١) إحصاء العلوم: ٥٣.

(٢٢) إحصاء العلوم: ٥٤.

(٢٣) أصبحت أقسام المنطق تسعة عند ابن سينا (تسع رسائل: ١١٦)، لأنه عد فيها ايساغوجي أو المدخل لغرفورويوس الصوري، وقد أخذ بهذا بعض من جاؤوا بعده.

(٢٤) انظر: تسع رسائل: ١١٢.

(٢٥) استيحاء الواقع العلمي في التصنيف شيء والقول بأن التصنيف للعلوم يبين المعيار الذي تقاس به المعارف في كل عصر شيء آخر، فالمعيار لدى معظم هؤلاء الفلاسفة لم يكن يعكس معياراً عصرياً هاماً (راجع مقالة وقيدي المذكورة سابقاً، ص: ٧١-٧٢).

(٢٦) كتاب التنبيه على سبيل السعادة: (٢٠-٢١)، ضمن رسائل الفارابي، حيدر آباد الدكن، ١٣٤٥ (وكل رسالة مرقمة على حدة).

(٢٧) رسالة في فضيلة العلوم والصناعات (ص: ١) ضمن رسائل الفارابي، انظر: التعليق السابق.

(٢٨) رسائل أخوان الصفا (١: ٢٦٦-٢٧٥) بيروت، ١٩٥٧.

(٢٩) يخرج ابن سينا بعض الشيء عن مفهوم أرسطاطاليس في منطق المشرقيين (ص: ٦). السفلية، ١٩١٠، حين يجعل العلوم النظرية أربعة: العلم الطبيعي،

والعلمى الرياضى، والعلم الإلهى، والعلم الكلى، والكتاب ناقص لا ىفى بما وعد به فى المقدمة، ولذلك فلىس واضحاً ما ىعنىه بالعلم الكلى.

(٣٠) تسع رسائل: ١١٠-١١٦.

(٣١) الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق: الدكتور أحمد غراب (ط. القاهرة: ١٩٦٧):

٨٧ وما بعدها، وانظر: تصنيف العلوم لدى ابن حزم: مقالة للدكتور سالم ىفوت فى مجلة دراسات عربية (مارس: ١٩٨٣)، ص: ٦٣-٦٤.

(٣٢) رسائل ابن حىان التوحىدى (ص: ١٠٥)، تحقيق: الدكتور إبراهيم الكىلانى دمشق، دون تاریخ.

(٣٣) رسائل أبى حىان: ١٠٦.

(٣٤) الفهرست: ١٥٣.

(٣٥) الفهرست: ٣١٩.

(٣٦) رسائل أبى حىان: ١٠٤.

(٣٧) رسائل أبى حىان: ١٠٨.

(٣٨) المصدر نفسه: ١٠٩.

(٣٩) المصدر نفسه: ١١٦.

(٤٠) مفاتىح العلوم للخوارزمى (ص: ٤-٥) ط. القاهرة، ١٣٤٢.

(٤١) التقرب لحد المنطق والمدخل إىله لابن حزم، تحقيق: الدكتور إحسان عباس (ص: ١) بیروت، ١٩٥٩.

(٤٢) أشار إليه ابن حزم في موضع آخر من التثريب (ص: ١٠) باسم: "علم النظر في الآراء والديانات والأهواء والمقالات".

(٤٣) رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس (ص: ٨٠) القاهرة، ١٩٥٦.

(٤٤) التثريب: ٢٠١.

(٤٥) رسائل ابن حزم: ٦٣، وما بعدها، والرد على ابن النغيلة ورسائل أخرى لابن حزم، تحقيق: الدكتور إحسان عباس (ص: ١٦٠ وما بعدها) القاهرة، ١٩٦٠.

(٤٦) الفهرست: ٣٢١ وقد جاء في فاتحة إحصاء العلوم: "مقالة في إحصاء العلوم، كتاب أبي نصر محمد بن محمد الفارابي في مراتب العلوم".

(٤٧) رسائل ابن حزم: ٦٢.

(٤٨) رسائل ابن حزم: ٧٣.

(٤٩) رسائل ابن حزم: ٧٨.

(٥٠) رسائل ابن حزم: ٥٩-٦٠.

(٥١) يمكن أن يقارن ابن حزم هنا بمعاصرة وصديقه ابن عبد البر، فإنه رفض الموسيقى واللهو على شرائط العلم والإيمان (جامع بيان العلم ٢: ٤٧).

(٥٢) رسائل ابن حزم: ٦٠.

(٥٣) ينظر في هذا مقالة الدكتور سالم يفوب: ٥٨-٥٩ حيث يناقش أرنالديز وماسينيون فيما كتبه في كتاب لهما عن العلم العربي (باريس: ١٩٦٦ - الجزء الأول، ص: ٤٨٨)، حيث يذهبان إلى أن العرب تخلوا عن رؤية قاعدة فلسفية

في تصنيفهم للعلوم، وأن ما قاموا به هو عمل "إحصاء" وحسب، والفارابي وابن حزم - على تباعد وتقارب بينهما - يدحضان هذه المقولة.

(٥٤) رسالة مراتب العلوم (الطبعة الأولى: ٦١)، ضمن رسائل ابن حزم.

تجربتي مع التراث العربي (*)

عبد السلام هارون

نحن في حاجة التراث لنحقق كلمة (التراث)، فلسنا نجد بين مواد اللغة العربية مادة (تراث)، وليس في معاجمنا العربية من المواد المبدوعة بالتاء والمختومة بالتاء إلا ثلاث مواد، لا تزيد ولا تنقص:

الأولى مادة (تفت)، ومما ورد فيها ما جاء في القرآن الكريم: (ثم ليقضوا تفثهم) وقضاء التفث إذهاب الشعث والدرن، وهو ما يتحلل به المحرم في الحج من قص الشعر وقلم الأظافر ونحو ذلك.

والثانية مادة (تلث)، وفيها: التليث، بوزن فعيل، وهو ضرب من النجيل الذي يثبت في السباح.

والثالثة مادة (توث)، وقد ورد فيها (التوث) وهو لغة ضعيفة في التوث، تلك الثمرة المعروفة.

وهنا يتدخل التراث الصربي الذي يقضي بأن بعض الكلمات المبدوعة بالتاء تكون تأوها مبدلة من واو، كالتخمة، وهي الأزمة الناشئة عن ثقل الطعام، قالوا: أصلها (وخمة)، فهي في مادة (وخم)، وكذلك التهمة في (وهم)، ومدلولها أن المرء يتوهم أن أخاه قد أساء أو تجاوز حداً من الحدود.

ونحوهما التكلان، أصلها الوكلان، أي الاعتماد على وكيل. وكذلك (تترى) أصلها (وترى) من التواتر، و(التقى) هي الوقى، مأخوذة من الوقاية.

(*) نشر هذا البحث في كتاب الموسم الثقافي الأول لجمع اللغة العربية الأردني، سنة ١٩٨٣.

ولا يسكت الصرفيون عن عرض هذه النماذج، بل يذكرون العلة في هذا بقولهم: إن هذه التاء التي وضعها العرب في أوائل تلك الكلمات أجلد، من الجلادة، أي أقوى من الواو، التي هي دائماً في مهب الريح، لا تستقر على حال. فبدأوا تلك الكلمات بما هو أقوى وأشدّ تحملاً للصدمات.

وعلى هذا استطاعوا في حذق أن يضعوا التراث في مادة (ورث)، ولعل أقدم النصوص التي ظفرنا بها في مجال هذه الكلمة هو النص القرآني الكريم: (وتأكلون التراث أكلاً لما)، (في سورة الفجر) إذ نعى على أهل الجاهلية منعهم تورث النساء وصغار الأولاد، وأكلهم لأنصائبهم، وكانوا يقولون في جاهليتهم: "لا يأكل الميراث إلا من يقاتل ويحمي حوزة القوم. وكانوا يلُمون جميع ما تركه الميت من حلال أو حرام، ويسرفون في إنفاقه".

ومما ورد في الشعر القديم قول سعد بن ناشب، وهو شاعر إسلامي كان بلال أبي بردة قد هدم داره، لأنه أصاب دماً في قوم:

فإن تَهدموا بالغدر داري فإنها تراث كريم لا يبالي العواقبا
وظلت كلمة "التراث محدودة المعنى، تنوب عن أخيها (الميراث) في كثير من الأمر، أن دخلنا في هذا العصر الحديث، فألفينا هذه الكلمة تشيع بشيوع البحث والتنبيش عن الماضي: ماضي التاريخ، وماضي الحضارة والفنون والآداب، والعلم، والقصص وكل ما يمت إلى القديم.

ويقصد بعبارة (إحياء التراث) في عرف الأدباء والمثقفين، إبراز نصوص المخطوطات ونشرها على نطاق واسع في ثوب قشيب ومعالجة خاصة، وتوضيح وتبيين، يتطلبه بعد المسافة الثقافية واللغوية بيننا وبين أسلافنا.

وليس إحياء التراث أمراً حديثاً، بل هو عمل طبيعي قامت به الأجيال القديمة على امتداد الدهر، وعلى صور شتى، من نشر للكتب على نطاق واسع أيضاً يتولاه الوراقون، أو تلخيص لتلك المؤلفات أو نقد أو تعليق عليها، يتولاه المؤلفون والباحثون، فكم قد رأينا من كتب قديمة خلفها أصحابها فقام النساخون والوراقون بإحيائها وإذاعتها بطريقتهم الخاصة.

فالمقريري في الخطط (٢: ٢٥٣-٢٥٥)، يذكر أنه كان في خزانة العزيز بالله الفاطمي ثلاثون نسخة من كتاب العين، ومئة نسخة من جمهرة ابن دريد، وأنه كان في خزانة كتب الفاطميين ألف ومئتا نسخة من تاريخ الطبري، ذلك التاريخ الضخم الفخم.

ويروي ابن النديم في الفهرست (٣٦٩)، عند ترجمته ليحيى بن عدى المنطقي النصراني، أنه كان ينسخ كتب التفسير والكلام.

ويروى عنه أنه قال نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري، وحملتهما ملوك الأطراف - أي أطراف الدولة العباسية -. وقد كتبت من كتب المتكلمين - وهم المسلمون أيضاً - ما لا يحصى. ويقول: ولعهدي بنفسي وأنا أكتب في اليوم والليلة مئة ورقة أو أقل. أليس في هذا صورة مشرقة لنشر التراث وإحيائه والعناية به؟!

ومن طريف ما يروى عن أحد النحاة، وهو يحيى بن محمد الأرزني، ما ذكره ياقوت في شأنه، أنه كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب ببغداد، فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب الفصحى لثعلب ويبيعه بنصف دينار، ويشترى نبذاً ولحماً وفاكهة، ولا يبيت حتى ينفق ما معه جميعاً.

هذا جانب من جوانب إحياء التراث قديماً، يتمثل في صناعة الوراقين.

أما الجانب الآخر فيتمثل في شرح ذلك التراث وتفسيره والتعليق عليه، ونحن نجد أن حماسة أبي تمام، المتوفى سنة ٢٣١هـ، تناولها بالشرح أكثر من عالم وأديب: فشرحها أبو بكر الصولي، والمرزوقي، وابن جني، والآمدي، والتبريزي، والبطلينوسي، وأبو هلال العسكري، وابن سيده، والشنتمري وغيرهم، ممن أحصى عددهم صاحب كشف الظنون فارتفع العدد إلى واحد وعشرين شارحاً، وذكروا أن أول شارح لها هو أبو ريش بن إبراهيم الشيباني، المتوفى سنة ٣٣٩هـ.

وكتاب سيبويه، المتوفى سنة ١٨٠هـ، شرحه أكثر من ٥٥ عالماً، منهم السيرافي، والرماني، والزمخشري، وابن الحاجب، والشلوين وابن الباذش.

ومقامات الحريري، المتوفى سنة ٥١٦هـ، تولى شرحها كثيرون، منهم الخوارزمي، والمطرزي، والعكبري، و الشريشي الذي صنع لها وحده ثلاثة شروح : كبير، وأوسط، وصغير.

وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ، على ضخامته واتساعه، شرحه الزبيدي صاحب تاج العروس، وطبع ذلك الشرح بفاس سنة ١٣٠هـ، في ثلاثة أجزاء، ثم في الميمنة سنة ١٣١١هـ — في عشرة أجزاء.

ويتمثل الجانب الثالث من إحياء التراث في التلخيص والتهديب فكتاب الإحياء السالف الذكر، قام باختصاره أمهر بن محمد الغزالي، شقيق الأمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، كما اختصره اختصارين اثنين أبو العباس الموصللي، المتوفى سنة ٦٢٢هـ. واختصره أيضاً الأمام السيوطي. وآخر

اختصار له اليوم ما نشره عبدالسلام هارون باسم (تهذيب إحياء علوم الدين) في مجلدين.

أما إحياء التراث في هذه العهود الحديثة فقد لبس ثوباً جديداً، يمتاز بالنشاط السريع الناجم من إنتاج المطابع الحديثة، فهي بلا ريب كانت عاملاً فعالاً في نشر التراث الفكري على نطاق واسع، وعلى صور شتى ودرجات مختلفة، من الصحة والتوثيق، وعلى مراحل متدرجة من الدقة والعناية حتى وصلت ما يداني القمة في عصرنا الحاضر. وكان للعلماء المستشرقين جهد بارع في هذه الزاوية، وسبق لا يمكن إنكاره، فهم كانوا أساتذة الجيل الحاضر في الطريقة العلمية التي جروا عليها، مستضيئين بلا مريّة بجهود أسلافنا الأقدمين في رواية كتب الحديث واللغة والشعر والأدب والتاريخ، في دقة وأمانة ونظام بارع.

ولقد نبغ من بين هؤلاء المستشرقين علماء أمناء، قاموا بنشر عيون ثمينة من التراث العربي في أمانة علمية اقتبسوها من أسلافنا مقرونة بعناية خاصة في صنع الفهارس الغنية. وهذا أيضاً كان من شأن جمهور أسلافنا، فكتب الرجال عندنا تنال ترتيباً فهرسياً ممتازاً مقروناً بالأحاديث والإشارات الذكية، كما أن الدقة في مقابلة المخطوطات ومقارنتها، ميزة عربية سبقة، عرفها آباؤنا الأولون.

ولقد كانت فكرة إحياء التراث الثقافي العربي والنشاط فيه، فكرة قومية قبل أن تكون فكرة علمية، فإن طغيان الثقافة الأوروبية والنفوذ التركي وضغطه، كان أن يأخذ بمخنق العرب في بلادهم، فأرادوا لذلك أن يخرجوا

متنفساً نقيّاً يحسون فيه بكيانهم المستمد من كيان أسلافهم، في الوقت الذي ألفوا فيه الغرباء من الأوروبيين يتسابقون ينبشون كنوز الثقافة العربية.

فانطلق العربي في مصر والشام وسائر البلاد العربية، بدافع من هذه القومية، يسارعون استخراج تلك الكنوز الغالية، واستنباط تلك العيون الدافقة.

من هذا المنطلق القومي، وجدتني في سن مبكرة حقاً، أسعى وأرحب بالدخول في هذا الميدان الفسيح، مع تقيب وحذر شديدين. وأول كتاب أقحمت نفسي فيه إقحاماً، وبدأته بشيء من التحقيق، هو كتاب (متن أبي شجاع)، أمهر بن الحسين الأصفهاني، المتوفى سنة ٥٩٣هـ، في فقه الشافعية، وكان مقرراً على طلاب المعاهد الدينية في سنة ١٩٢٥م، وقد مررت في هذا الكتاب بتجربة الدقة في ضبط النصوص، وهي أعلى ما يطلب من إحياء التراث.

وخضت بعد ذلك تجربة أخرى قدمها العالم الكبير المغفور له محب الدين الخطيب، فقد كنت أكثر التردد على مكتبته التي لا تزال قائمة الآن باسم المكتبة السلفية، وألتقي حينئذ بالعلامتين الكبيرين أحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا، وقد آنس محب الدين الخطيب مني ومن أخي محمود شاكر بعض الكفاية، وكنا في بدء الدراسة الثانوية، فعهد إلينا بالاشتراك معه في تحقيق (أدب الكاتب) لابن قتيبة، الذي نهضت فيه بالعبء الأكبر، فكان ذلك تجربة مشجعة لي على الاندماج في ذلك التيار. وكان ذلك في سنة ١٣٤٦هـ.



ثم كانت المدرسة الأولى في جدية التحقيق مني، أن يكل إلي محب الدين الخطيب تنسيق التحقيق لخزانة الأدب للبغداد، في طبعها الأولى، حينما كنت طالباً بتجهيزية دار العلوم، فلم أكد أتم الدراسة في دار العلوم العليا إلا وقد أتممت تحقيق أربعة أجزاء من الخزانة، بالمشاركة مع العلامة أحمد تيمور باشا، الذي كان له بعض تحقيقات عابرة ممتازة، ومع العلامة عبدالعزيز الميمني الذي كانت تحقيقاته تمتاز بتخريج الأمثال الواردة في الخزانة، وبينها

نظرات معدودة أيضاً في التحقيق، وقد عقد هذا العمل صلة بيّني وبين المخطوطات، ودراستها وتعرف خطوطها، والخصائص الكتابية لها.

أما المدرسة الجامعة لي فكانت في نطاق كتاب الحيوان، للجاحظ، الذي بذلت فيه أقصى جهدي في فترة الشباب، وفتحت فيه النوافذ لتأمل ملابسات التحقيق وتجاربه المثيرة، التي جعلتني أستطيع أن أرسم بعض زواياه، وأن أصور أعماقه التي خضت فيها. فدفعني ذلك كله أن أبني كتابي المتواضع (تحقيق النصوص ونشرها)، وهو لا يزال بحمد الله نبراساً - إن صح هذا التعبير - لكل من أراد أن يدخل في غمار هذا الفن الشريف، لم يزاحمه كتاب آخر. وهو الآن في طبعته الخامسة.

فأول ما اهتمت إليه في هذا المجال قضية تعدد المخطوطات للكتاب الواحد، وبأيها يأخذ المحقق؟ وكيف يرتب منازلها؟ وكيف يستخدمها عندما تتعدد.

وقد اقتضاني وجود سبع مخطوطات لكتاب الحيوان أن أعقد المقارنة بينها، نسخة بعد نسخة، فكنت أقيد على جوانب الأصل الذي سيقدم المطبعة ما تقتضيه هذه المقارنة من خلاف بالزيادة أو بالنقص أو باختلاف الوجوه. وظفرت من ذلك كله أني استطعت أن أعيد النظر في هذا الكتاب قبل طبعه سبع مرات، فكأنني حفظت الكتاب حفظاً ووعيته وعياً. وعلمت تمام العلم أن من يريد تحقيق نص من النصوص، لا يجد مندوحة من أن يعاود قراءته مرة تلو مرة، حتى يكون على إمام كامل بجوانبه المختلفة، وعلى إلف خاص بأسلوبه ومرماه.

ووجدت أن هذا الكتاب، كما يقال بتعبير عصرنا، موسوعة متعددة الجوانب في الثقافة العربية.

وفي الحق أن دار العلوم القديمة كانت تزودنا بكثير من وجوه هذه الثقافة. فعلى هذا الأساس كنت أدفع نفسي الاستزادة من تلك الوجوه، حينما أجد النص الذي أمامي يحتاج مزيد من الدراسة في هذه الوجوه من اللغة والنحو والشعر، والنقد والقرآن والحديث، والتفسير والفقه، والطب القديم، والبلدانيات والتاريخ، والفلك، بل والطبيخ.

وقد لجأت، فيما لجأت إليه، كتاب في الطبيخ، لمؤلف بغدادى قديم اسمه محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم الكاتب، ألفه سنة ٦٢٣هـ. وعندي منه نسخة بتحقيق الدكتور داود الحلبي، أوصيت بإيداعها دار الكتب المصرية، حيث لا يوجد في القاهرة غيرها.

وأيقنت كذلك أن المتصدي لإحياء كتب التراث لا بد له أن يكون على صلة وثيقة ممتدة بهذه الأصول وغيرها، وهذه هي العدة الأولى للمجاهدين في إحياء التراث. وهذا كله محكوم بأمرين أساسيين لا بد منهما، وهما الأمانة الصادقة، والصبر الصادق الذي قد يقتضي من المحقق الساعات والأيام والأسابيع، بل الشهور، لتوثيق كلمة واحدة، أو علم واحد من الأعلام.

وشيء آخر ظفرت به وتعلمته من تحقيق كتاب الحيوان، هو أن المخطوطات قد يقحم في أثناء سطورها ما هو دخيل عليها، فيحتاج المحقق شيء من الفطنة ليخلص المخطوطة من هذا الزيف الذي خالطها.

فمن عجب أني وجدت في نسختين من أصول الحيوان هذه العبارة، عند الكلام على العقرب، وهي: (كنت بعجت بطن عقرب إذ كنت بمصر، فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صغار، كل واحدة نحو أرزه، حرره أبو بكى السروكى).

ومن الواضح الجلى أن هذا الأسلوب المهلهل ليس للجاحظ، والجاحظ أيضاً لم يدخل مصر ولا اقتحم أبوابها، وعبارة (حرره أبو بكر السروكى)، هذا الرجل المجهول، شاهد بأن العبارة مقحمة على الكتاب، وأن هاتين النسختين من الحيوان ترجعان إلى أم زائفة.

أمر آخر وصارخ لفت نظري في تحقيق كتاب الحيوان، وهو ما مُنيت به كتب التراث من بعض التحريفات في نصوص القرآن الكريم. فكثيراً ما لا يحفل الناظر في كتب التراث بالشك في تلك النصوص فيرى في دخيلة نفسه أن هؤلاء العلماء الأعلام لا يثبتون هذه النصوص إلا بعد حفظ وتثبت. لذلك كان من المؤسف أن أعثر على تحريفات مزعجة في هذا الكتاب لم أملك إلا أن أردّها نصابها الصحيح.

وجدت في الجزء الرابع من الحيوان، في جميع النسخ ص ٧: (فلما أتوا على وادي النمل)، وهي: (حتى إذا أتوا).

وفي ص ١٥٩: "على أن لا أقول على الله إلا الحق فأرسل معي بني إسرائيل" وهي "إلا الحق قد جئكم بينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل".

وفي ص ١٦٠ في جميع النسخ، عقب قوله تعالى: ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ من سورة النمل الآية ١٠: ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ وهي: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ أَنِّي لَا يُخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾، والتكملة الخاطئة هي من سورة القصص في الآية ٣١، اختلطت هذه بتلك.

في الجزء الخامس ص ٣٢: ﴿إِنِّي مُبْتَليْكُمْ بَنَهْرًا﴾، وهي: ﴿أَنَّ اللَّهَ مُبْتَليْكُمْ بَنَهْرًا﴾.

وفي ص ٩٣: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾، والوجه إسقاط (هو).

وفي ص ١٣٧: ﴿وَأَنْهَارٍ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ وصوابها: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾.

وفي ص ٥٥٤: ﴿ثُمَّ اسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذَلًّا﴾ وإنما هي ﴿فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذَلًّا﴾.

وفي ص ٥٤٧ في بعض النسخ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾ وفي بعضها الآخر: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ وكلاهما تحريف في تحريف، وإنما هي: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ إلى كثير غير ذلك من التحريفات التي هي كالشعرة في العجين، يحتاج المحقق استئلاها في حذر بعد مراجعة القرآن الكريم، وبعد النظر الصادق في مختلف كتب القراءات والتفسير.

لذلك آمنت بضرورة تخريج آيات القرآن الكريم ودعوت إلى ذلك في حتمية صادقة، كما دعوت إلى ضرورة الاهتمام بوضع الفهارس للآيات

القرآنية الكريمة، وقمت بإشاعة ذلك في جمهور كتيبي التي أخرجتها. وكان من نتيجة اليقظة لهذه الظاهرة

الخطيرة والتجربة المثيرة، أن أجري عمل تنقية لمختلف كتب التراث التي نفضتها.

ومن ذلك ما وجدت في كتاب (الجواري)، للجاحظ، في مجموعة راماد: "ولا تقربوا الزنى أنه كان فاحشة ومقتاً وساء سييلاً، وهي: ﴿كَانَ فاحشة وساء سبيلاً﴾ فقط.

وجاء في جميع مخطوطات كتاب تهذيب اللغة مادة (وقى): ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾، وهي: ﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ كما ورد في اللسان.

وفي مادة (فوق): "ما ينظرون ﴿إِلَّا صِيحَةً مَا لَهُمْ مِنْ فُوقٍ﴾، وإنما هي: "وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فوق:، تحريفان في آية واحدة.

وفي مخطوطات كتاب سيبويه العشرة، ونسخة المطبوعة ثلاث طبعات بباريس والهند وببلاق، هذه الآية المحرفة: "والذاكرين الله كثيراً والذاكرات والحافظين فروجهم والحافظات" عبرت الآية جميع هذه الأجيال المتطاولة على هذا الخطأ. وقد رددتها بحمد الله صوابها بالنص المنزل: "والحافظين فروجهم والحافظات، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات".

وفي أصل مقاييس اللغة مادة (نكب): "وهم على الصراط ناكبون"، وإنما هي: "وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون".

وفي خزانة ٢: ٢٠ في نسخته المطبوعة ببولاق والمخطوطة الشنقيطية، هذا النص "وما لهم من علم إلا اتباع الظن" إنما هي: "ما لهم به من علم" وهي الآية ١٥٧ من سورة النساء، وأما الآية التي فيها الواو فهي في سورة النجم ٢٨: ﴿وما لهم به من علم أن يتبعون إلا الظن﴾.

وفيهما ٣: ٦٠٥ في النسختين: "فامسحوا برؤوسكم وأرجلكم" وإنما هي: وامسحوا".

وفي توضيح ابن هشام في بعض النسخ: (أن اضرب بعصاك الحجر فانفجرت) وإنما هي (فانبحست)، وهي الآية ١٦٠ من الأعراف، وأولها: (وأوحينا موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب)، وأما آية (انفجرت) فهي الآية ٦٠ من سورة البقرة ونصها: (وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت). كثير من تلك التحريفات التي لا يفطن لها إلا حافظ حريص على نصوص الكتاب.

وقد كشفت في أثناء دراستي لكتب الحديث أنه قد وقع مثل هذا التحريف قديماً. وعثرت على هذا النص في كتاب (اختصار علوم الحديث)، لابن كثير الدمشقي ص ١٦٢. وهو: (وعن القاضي عياض أن الذي استمر عليه عمل أكثر الأشياخ أن ينقلوا الرواية كما وصلت إليهم ولا يغيروها في كتبهم، حتى في أحرف من القرآن استمرت الرواية فيها على خلاف التلاوة، ومن غير أن يجيء، ذلك في الشواذ، كما وقع في الصحيحين والموطأ، ولكن أهل المعرفة منهم ينبهون على ذلك عند السماع وفي الحواشي).

ولعل ثمرة ما ذكر من دقة التحقيق القرآني، هي أعظم الثمرات التي تنبه المحقق تجنب أضخم مزلق من مزلق الخطأ في إحياء التراث.

وشبهة أخرى اعترتني في النصوص القرآنية أن كثيراً من المؤلفين القدماء، كانوا يستشهدون بالنص القرآني تاركين بعض الحروف أو الكلمات المتصدرة للنص، كالواو والفاء أو أن أو قل، أو ما أشبه ذلك من الحروف والكلم، نحو: (وقل جاء الحق) فيقتصر على (قل جاء الحق) أو (جاء الحق). وقد أوقعني ذلك في حيرة شديدة، هل من الأمانة أن أزيد الواو أو الكلمة التي قد يخيّل للباحث أنها سقطت من صدر الآية؟ وبعد لأي وجدت الفتوى عند الإمام الشافعي، الذي أجاز حذف ذلك إجازة عملية في الفقرات ٦٤٣، ٩٧٤، ٩٧٥ من تحقيق المغفور له الشيخ أحمد شاكر.

ووجدت تلك الإجازة أيضاً في تفسير مقاتل المسمى (بالأشباه والنظائر)، (مخطوطة مكتبة أحمد الثالث) في أكثر من اثني عشر موضعاً، وقد نهت تلميذي الدكتور عبدالله شحاتة عند مناقشتي لرسالته التي صنعها تحقيقاً لهذا التفسير، على خطأ تصرفه في هذا الوجه من الاقتباس، بتغييره لأصل مقاتل بالزيادة فيها. ومع هذا التحذير الشديد ألفيته بعد تصفحي لهذا الكتاب، بعد قيامه على طبعه، قد غير النص الأصيل، وبذلك وقعت في الكتاب تلك التشويهات، كثير مما قام به من إضافات بعض الآيات في صلب النص... وفن التحقيق وضميره يُعدّ مثل هذا العمل عدواناً على الكتاب وعلى مؤلف الكتاب.

انتقل بعد ذلك القول في بعض مزائق التحقيق، وهو السرعة أو التسرع في الحكم على صحة النص، أو توجيه النص.

أما الحكم بصحة النص فكثيراً ما يكون تابعاً للإلف، وكثرة مروره في ذهن المحقق على صورة لا تختلف، فكلما ورد نظير لما انطبع في الذهن سكت المحقق، ولم يرسل عامل الشك ليستيقن من صحته، فيتركه كما هو مع ما يحمل من خطأ، وهذا أمر كثير الوقوع.

ولكن الممارسة الطويلة علمتني أن أشك في كثير مما أعتقد أنه بديهي، حتى أزداد يقيناً إلى اليقين، وقد يألف المحقق صورة معينة لعلم من الأعلام، أو لقب من الألقاب، فيخيل إليه أن ما خالف الصورة الراسخة في ذهنه هو صواب النص، فيسرع التغير والتبديل ليثبت ما خاله الصواب.

ومن أمثلة ذلك ما كدت أن أقع فيه في مقدمة معجم تهذيب اللغة، للأزهري، التي يذكر فيها أن أبا عمرو الشيباني اسمه إسحاق بن مراد الشيباني، مع أن إجماع مؤلفي كتب التراجم منعقد على أنه إسحق بن مرار (بكسر الميم) وبراء ثانية في آخره، فحدثني نفسي أن أصححه بمرار، وكدت ولم أفعل، لأن عهدي بنسخة الأصل أنها دقيقة إلى حد كبير، وتوقفت ريثما أزداد يقيناً، فرجعت مرة أخرى ترجمة أبي عمرو في إنباه الرواة، للقفطي^١ : ٢٢٥-٢٢٦ أتتبعها كلمة كلمة ولفظاً لفظاً، حتى وجدته يقول: "وأما أبو منصور الأزهري الهروي، رحمه الله، فإنه ذكر في مقدمة كتابه في اللغة، الذي سماه التهذيب، أسماء جماعة من علماء العربية، منهم أبو عمرو الشيباني، عفا

الله عنه، فأخطأ في اسم أبيه وأورده مصحفاً فقال: "مراد"، وهو خطأ كبير من مثله، ورئي ذلك بخطه في مقدمة الكتاب.

أخبرني ياقوت، واسمه ياقوت الرومي مولى عسكر الحموي، قال: شاهدت بمرو نسخة من الكتاب بخط الأزهري عند بني السمعاني، وفيها "مراد"، وكتب هذا المذكور من هذه النسخة نسخة وأحضرها في صحبته من خراسان".

أقول بعد هذا كله: إني لم أملك إلا أن أثبت النص على خطئه، كما ورد بخط الأزهري، ولم أستحل تغييره وتبديله، لأن هذا النص ملك للمؤلف، وليس لي من حق عليه إلا أن أنبه على الصواب في التعليق.

وأخرى، وقابلي الله شرها إذ وجدت ابن إسحاق في السيرة (٣٢٩ جوتنجن) بلقب أسماء بنت أبي بكر بذات النطاق، وعهدي وعهد الناس بها أنها "ذات النطاقين". فهممت كذلك بتغييرها في أثناء تأليفي لكتابي تهذيب سيرة ابن هشام. ولم أفعل ذلك لأني لم ألبث أن وجدت ابن هشام يعقبه على ذلك بقوله: "وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول: "ذات النطاقين" وتفسيره أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين، فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر. فلم يبدل ابن هشام ذات النطاقين، أمانة منه وحفاظاً على النص، مع شهرة اللقب الثاني وورود الحديث المشهور: "أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة".

وزاوية أخرى مقابلة لهذه الزاوية، وهي الحيرة العمياء أمام النصوص المحرفة، مع سهولة التأدي معرفة الصواب ويسره. ومن ذلك ما أثبتته الصبان في حاشيته على الأشموني ٤: ١٩٢ عند تعليقه على قول ذي الرمة:

ويسقط بينها المرئي لغواً ما ألغيت في الديّة الحوار
إذ يقول الصبان: "وقال البعض: ليس بنظم، وانظر ما ضَبَطُهُ وما معناه
فإني لم أقف عليه" ١ هـ، لكن وجد في بعض النسخ على وجه كونه نظماً
من بحر الوافر، ولفظه:

ويسقط منهما المرئي لقوا كماء العنب في الربة الحواء
ويقيد الصبان ضبط هذا بقوله: "بضمير التثنية في منهما، وضبط لقوا
كغزو، وسكون نون العنب، وتخفيف باء الربة وواو الحواء". ولو صرف هذا
الجهد الذي بذله في تقييد هذا التحريف، في الرجوع إلى ديوان ذي الرمة،
لوجد البيت مستقيماً واضحاً مفسراً.

فهذا نموذج صارخ لضعف التصرف أمام النصوص.

عوامل التصحيف والتحريف:

ووجدت في رحلتي هذه الطويلة أن هناك عوامل خفية تعمل في إحداث
التصحيف والتحريف لكثير من الكلمات أستطيع أن أجملها في ما يلي من
النماذج:

العامل الأول هو نقط الحروف، وعدد النقط، ومواضع النقط مثال
ذلك:

١. احتراز المودة = احترار المودة.

سقط منها نقطة الجيم، وزادت نقطة الزاي.

٢. التمور والبيور = النмор والبيور.

زيدت نقطة النون من أعلى، كما زيدت نقطة الباء من أسفل.

٣. ذانية من بطن الدماغ = دانية.

وضعت نقطة على الدال وأخرى على النون.

العامل الثاني: أسنان حروف الكلمات.

مثال ذلك:

١. تنبيه به = شبيه به.

نقصت سن من الشين فصارت ما ترى.

٢. ظرف الشامام = طرف الشامام.

زيدت نقطة على الطاء، وزيد سنّان على سن الثاء.

٣. جموسة النياق = حموشة الساق، أي ضمورها،

زيدت نقطة في أسفل الحاء ونقصت سن من أسنان السين، وأضيفت

نقطة علوية إلى السن الأولى من الكلمة الثانية، ونقطتان سفليان على

السن الثانية.

العامل الثالث: التصاق الحروف وانفصالها:

مثال ذلك:

١. خلق الحرص = حاق الحرص، أي شدته.

٢. مال كالدبا = مال كالدبا، أي صغار الجراد.

٣. يجب له خاطري = يميله خاطري، أي يديره.

والعامل الرابع: التباس الراء بالواو، والعكس، وهي ظاهرة واسعة النطاق.

مثالها: التعويد والأحجام = التعريد والأحجام

النجوم والوجوم = النجوم والرجوم، بالراء، لأنها التي تناسب النجوم.

المرت = الأرض الجدباء، صحفت بالموت، وكذا الموت
صحفت بالمرت.

والعامل الخامس: التباس اللام بالكاف أو الدال، والعكس:

سول القتال = شوك القتاد.

لم يتحول = لم يتحرك.

والعامل السادس: التباس الكاف بالعين والعكس:

جاء في المثل المشهور: الكلاب على البقر، وجدتها محرفة "الكلاب كل
البقر". وكانت هذه الظواهر أو القواعد التي أستنبطها في تجاربي معينة

لي على حل ألغاز كثير من التحريفات والتصحيقات. وقد أودعتها
كتابي المتواضع (تحقيق النصوص).

قراءة المخطوطات:

تراثنا الثقافي العربي، وهو أضخم أنواع التراث الإنساني وأعظمها، وصل
إلينا مصوراً في نماذج شتى من الخطوط، ولكل صورة من تلك الصور
فروع وفروع للفروع في شكلها وفي رسمها، وهو ما نسميه اليوم
بالقاعدة الإملائية. ومعنى هذا أن القارئ والدارس في كتب التراث
محتاج خبرة واسعة في تلك الخطوط والضبوط، لكي يصل إلى صواب
القراءة.

وتحتفظ خزائن الكتب ببعض صور الخط الكوفي القديم في بدء تطوره،
كما تحتفظ بالخط الشرقي الجميل الواضح.

والخط الأندلسي المشتق من الخط الشرقي والخط الأوروبي معاً، يمتاز
بشيوع الاستدارات والتقليل من الزوايا، وتداخل الكلمات وإطالة أواخر
الحروف.

والخط المغربي مشتق من الخط الكوفي ويشترك مع الخط الأندلسي في
قاعدة نقط الفاء والقاف، إذ يكفي كل منهما بوضع نقطة واحدة فوق
القاف. أما الفاء فنقطتها في كل منهما مرسومة تحت الفاء من أسفل.

وحروف الهجاء يختلف ترتيبها بين المشاركة والمغاربة: فالمغاربة يرتبون
الحروف بطريقة مخالفة لطريقة المشاركة على هذا الوضع: أ ب ت ج ح د ذ

ر ز، هذا هو بدء الترتيب عند المشاركة، ثم يختلف الترتيب فنجد بعض ذلك عندهم: (ط ظ ك ل م ن)، ثم (ص ض ع غ ف ق س ش هـ و لا ي)، وهو الترتيب الذي سار عليه أبو عبيد البكري الأندلسي (٤٨٧هـ) في معجم ما استعجم، وسار عليه أيضاً القاضي عياض السبتي المغربي (٥٤٤هـ)، في كتابه "مشارق الأنوار على صحاح الآثار"، وهو في تفسير غريب الحديث في الصحاح الثلاثة: الموطأ والبخاري، ومسلم، وكذا كتابه "ترتيب المدارك، وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك" وغير ذلك.

وقد وَجَدْتُ في تطوافي أن قراءة الخطوط المغربية والأندلسية تحتاج كثير من التمرس والاعتیاد، إذ ضل كثير من المحققين المعاصرين، سبيل القراءة الصحيحة من الخطوط.

الضبط:

وجدت الكُتَّابُ الأقدمين مختلفين في وضع بعض العلامات الدالة على إهمال الحروف، فبعضهم يدل على السين المهملة بنقط ثلاث من أسفلها، إما صفّاً واحداً وإما صفّين، وبعضهم يكتب سيناً صغيرة تحت السين، ومنهم من يضع فوق الحرف المهمل رسماً أفقياً كالهلال.

والشدة، وهي رأس الشين، نجدها في الكتابة القديمة حيناً فوق الحرف، وآناً تحته كذلك، إذا كانت مقرونة بالكسرة، والفتحة مع الشدة تكتب أحياناً فوق الشدة وأحياناً تحتها فوق الحرف أيضاً، خلافاً لمألوفنا اليوم من

تميز المشدد المكسور بكسرة تحت الشدة فوق الحرف، فيخيل لقارئ الكتب القديمة أنها كسرة مع الشدة، مع أن وضع الكسرة تحت الشدة وفوق الحرف أمر لا يكاد يوجد في المخطوطات القديمة، وإنما يكتبون كسرة الشدة تحت الحرف نفسه لا تحت الشدة.

والشدة في المغربية القديمة تكتب أحياناً كالعدد (٧) شديدة التقويس، للدلالة على الشدة والفتحة، على حين يكتبونها كالعدد (٨) للدلالة على الشدة والضمّة، وأما الشدة والكسرة فيعبر عنها بالرسم (٨) أيضاً لكن تحت الحرف.

بهذه الخبرة الكاملة وعلى ضوءها يستطيع المحقق أن يميز ضبط المخطوطات المغربية والأندلسية، وبنقص هذه الخبرة يقع في مزالق جمّة تبعده عن الصواب، وتجنح به تشويه النصوص البريئة، وتمهد له سبيل العدوان عليها.

الأبناء والأدعياء:

إن تعيين المراجع التي تعين في تحقيق النصوص أمر حتمي لا بد منه ولست بحاجة الخوض في تعيين هذه المراجع، فقد أصبحت المناهج العلمية الحديثة كفيّلة بذلك. كما أن لكل باحث طريقته الخاصة في تعيين هذه المراجع والاعتماد عليها، والقاسم المشترك الأعظم فيها، كما يقولون: هو مختلف ضروب المعاجم اللغوية، وكتب رسائل الضبط النحوي والإملائي.

لكني أريد أن أنوه بما كشفته من بعض الموسوعات القديمة، التي تضم في أحشائها كتباً كاملة أو قريبة من الكاملة، وهي بلا ريب نوع من أصول النصوص خطير. وقد أطلقت على تلك الأصول في كتاب "تحقيق النصوص" لقب (الأبناء والأدعياء)، وما هي إلا أصول قديمة منقولة في أثناء أصول أخرى، فتنتهي بالبنوة إلى أمهاتها.

وحينما نشرت وقعة صفين، لنصر بن مزاحم - وهي اليوم في طبعها الثالثة - لم أجد من أصولها إلا النسخة المطبوعة في إيران سنة ١٣٠١هـ، التي فقد أصلها المخطوط. وكنت في قراءتي لشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ألمح بين الفينة والأخرى نصوصاً طويلة مقتبسة من كتاب وقعة صفين، فاهتدي تفكيري أن أتعقب تلك النصوص في مختلف صفحات الكتاب وأجزائه العشرين، وأمكنني في قرابة شهر كامل، وبعون من الله، و بمصابرة شديدة، أن استخرج نسخة كاملة من هذا الكتاب، لا ينقصها إلا نحو عشرين صفحة من نحو ٣٥٠ صفحة. وقد بينت هذه المقارنة بالأرقام الواضحة في مقدمتي لوقعة صفين. كما عثرت فيه كذلك على جمهور كبير من كتاب "المغازي، للواقدي"، تبلغ نحو ثلاثمئة صفحة.

ومن يتعقب خزانة الأدب، للبغدادي، أو عيون الأخبار، لابن قتيبة، يجد مثيلاً لهذا الضرب من الأبناء الأدعياء.

تصحيح نسبة الكتب إلى مؤلفيها:

إن تحقيق نسبة الكتاب مؤلف يقتضي حذراً شديداً وألماً صادقا. وقد كان من المعروف المتداول أن مؤلف كتاب "مجالس العلماء" في دار الكتب

المصرية، هو أبو مسلم كاتب ابن خزابة وسجل اسم المؤلف في الفهرس أنه "كاتب ابن خزابة" فهذا هذا.

أما أبو مسلم فهو محمد بن أحمد بن علي الكاتب، وأما ابن خزابة فهو أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر، وزير بني الإخشيد بمصر مدة إمارة كافور، وكلاهما معروف.

لكني وجدت أن اسم هذا المؤلف، وقد كتب على الصفحات الأولى من الكتاب، وبخط حديث مخالف لخط الأصل، مجلبة للشبهة والشك، ومدعاة إلى التحقيق.

وبسلسلة من التحقيقات في نصوص الكتاب ومجالسه، وفي إسناده المماثلة تماماً لإسناد أمالي الزجاجي، التي كنت قد حققتها من قبل، وبأدلة سبعة أخرى لا يحتمل واحد منها خطأ، قطعت باليقين أن مؤلف هذا الكتاب هو أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي صاحب الأمالي، وأن كاتب ابن خزابة هذا ما هو إلا أحد نساخ الكتاب، وقد أوضحت هذا الأمر بأسانيده في مقدمة هذه المجالس.

ومرت بي تجربة أخرى في كتاب ظننت أنه من كتب الجاحظ، وهو برقم ٢٣٤٥، أدب، بدار الكتب المصرية، وقد كنت في أحد لقاءاتي بالمغفور له أحمد زكي باشا قد بشرني بأنه قد استحضر لدار الكتب المصرية من تركيا صيداً ثميناً، هو كتاب "تنبيه الملوك والمكايد"، للجاحظ، وقد علقت تلك البشرى بذهني قبل أن أفكر في نشر مكتبة الجاحظ وإحيائها، وحينما صار الأمر جدّاً، ونظرت نظرة الفاحص فيه، وجدت هذه النسبة

زيفاً من الزيوف، وباطلاً من الأباطيل، وبحسبك أن تجد في أحد عناوينه "باب نكت من مكاييد كافور الإخشيدي"، و"باب مكيدة توزون بالمتقى بالله"، فماذا عدا مما بدأ؟ كافور الإخشيدي كان يحيا بين سنتي ٣٩٢ و ٣٧٥هـ، والمتقى بالله كان كذلك يحيا بين سنتي ٢٩٧ و ٣٥٧هـ. وهذا كله تاريخ يجاوز وفاة الجاحظ بعشرات من السنين، إذ كانت وفاة الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ. وأعجب من ذلك أسلوب هذا الجاحظ المفتعل، إذ جاء في صدر مقدمة الكتاب:

"الحمد لله الذي افتتح بالحمد كتاباً، وفتح للعبد إذا وافى إليه باباً، قسم بين خليقته فطُوروا أطواراً وتحزبوا أحزاباً، وأنفذ فيهم سهمه، أمضى فيهم حكمه، وجعل لكل شيء أسباباً، فهم دائرون في دائرة إرادته لا يستطيعون عنها انقلاباً، داهشون في بدائع حكمته، ومشيتته وإرادته، يعز من يشاء ويذل من يشاء".

وليس هذا الأسلوب بحاجة إلى التعليق، كما أن الكتاب ليس بحاجة أن أسهب في نسبته إلى أبي عثمان الجاحظ.

صنع الفهارس:

وهذا، في عقيدتي أهم العناصر في نشر المخطوطات وإحيائها، وكان من أول من لفت أنظار الأدباء في جيلنا القديم فهرس كتاب الأغاني، الذي صنعه المستشرق الإيطالي (أغناطيوس جويدي)، وترجمه إلى العربية محمد بن مسعود، المحرر بجريدة المؤيد المصرية.

وظهرت من بعده فهارس الكتب التي حققها أحمد زكي باشا، ومنها كتاب الأصنام لابن الكلبي، وكتاب أنساب الخيل كذلك، كتاب التاج المنسوب للجاحظ.

وقد تنوعت بعد ذلك ضروب الفهارس لكتب التراث، وكان لي فيها نصيب وافر، واستحداث أنواع كثيرة منها، اقتضاها اختلاف ضروب الكتب التي قمت ببيعها.

ولعل أصعب تجربة مررت بها هي تجربة صنع فهرس (جمهرة أنساب العرب)، لابن حزم، وهو أوسع كتاب أُلّف في علم الأنساب. وقد هالني ما رأيت من كثرة الأعلام التي سردها ابن حزم في كتابه. فهو لا يكاد يفوته ذكر بطن من بطون العرب وفصائلها. وحينما يتعرض لذكر خليفة أموي أو عباسي أو أندلسي، يقوم بسرد أبناء ذلك الخليفة فرداً فرداً. وقد يكون للخليفة الواحد في الفهرس أربعون سطرًا أو خمسون أو ستون بحسب عدد أولاده. وفي هذا إسراف كبير في غير طائل.

وقد وفقني الله -بعد طول التفكير- أن أشير إلى الموضع الذي سرد ابن حزم فيه هذه الأعلام بوضعه بين قوسين تمييزاً له. وإشارة إلى أسماء الأولاد، فإذا انفرد أحدهم فيما بعد بخبر أو حادثة، خصصته في الذكر بإثبات رقم الصفحة التي ذكر فيها الخبر أو الحادثة، وأما موضع السرد فهو وأخوته في ذلك سواء، يشار إليه بوضعه بين القوسين اللتين تجمعان الأخوة جميعاً. وبذلك اختصرت فهرس الأعلام نحو الربع، وصارت نسبة الفهارس كلها صلب الكتاب مع ذلك معا يعادل ٣٦%.

$$١٨٣ = \frac{١٨٣}{٥١٢-٦٩٥} \times ٣٦\% \text{ تقريباً.}$$

٥١٢

ومعنى هذا كله أن صنع الفهارس يحتاج دقة ودراسة تتناسب مع موضوع الكتاب وحجمه، في غير ما إسراف أو تقصير.

مقدمة التحقيق:

وهي تقتضي عرض دراسة خاصة بمؤلف الكتاب وعصره، وبالكتاب وموضوعه، وعلاقته بغيره من الكتب التي تُمَتُّ إليه بسبب من الأسباب.

كما تقتضي عرض دراسة فاحصة لمخطوطات الكتاب، مقرونة بالتحقيق العلمي الذي يؤدي صحة نسبة الكتاب والاطمئنان إلى متنه، مع وصف النسخ التي كان التعويل عليها في التحقيق وصفاً دقيقاً، يتناول خطها، ورقمها، وحجمها، ومدادها، وتاريخها، وما تحمله من إجازات وتعليكات، وكذلك كل ما يلقي الضوء على قيمتها التاريخية، مع عرض بعض النماذج المصورة.

وهذا كله أصبح أمراً مقررّاً بين المحققين. وقد دلت التجربة العملية على أن تقديم هذه الدراسات للمطبعة إنما يأتي بعد الفراغ من معالجة تجارب الكتاب جميعه، واستقرار أرقام الصفحات، لكي تيسر الإشارة إلى المواضع التي تستدعي الدراسة إبرازها. فمقدمة التحقيق كعنوان الرسالة: يقرأ أولاً ويكتب آخرًا.

نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه (*)

المستشرق الفرنسي الأستاذ جيرار تروبو

أستاذ فقه اللغة العربية في السوربون - باريس

لا شك أن النظام النحويّ في كل لغة له أهمية كبرى، لأن النظام النحويّ يعبر عن بُنية اللغة ويصوغ فكر الناطقين بها؛ ويُمكننا القول إن النظام النحويّ العربيّ يحتلّ محلاً بارزاً بين النُظم النحوية الكبرى الموجودة في العالم، من أجل موقعه المتوسّط بين النظام اليوناني، في الغرب، والنظام الهندي، في الشرق؛ فكان من الطبيعيّ أن يلتفت المستشرقون أنظارهم إليه، ليدرسوا نشأته وتطوّره.

إن المستشرق الألماني Merx، الذي نشر في منتهى القرن التاسع عشر كتاباً عنوانه "تاريخ صناعة النحو عند السريان"، هو الذي زعم لأول مرة أن المنطق اليوناني أثر في النحو العربي، لأن الثاني قد اقتبس من الأول بضعة من المفاهيم والمصطلحات.

ثم نرى معظم المستشرقين قد اتخذوا هذا الرأي بدون تحفّظ؛ فقال المستشرق الفرنسي Fleisch في كتاب ألفه في علم اللغة: "إنه من الواجب أن نشير إلى تأثير يونانيّ في النحو العربي، فقد اقتبس الفكر العربي مفاهيم أصلية من العلم اليوناني، لا من النحو اليوناني، ولكن من منطق أرسطو".

غير أن المستشرق الإنكليزي Carter رفضَ هذا الرأي في مقالة نشرها منذ عدة سنوات، وسَمّاها: "في أصول النحو العربي". فبيّن في هذه المقالة أن سيبويه يستعمل في الكتاب مجموعتين من المصطلحات: مجموعة قليلة العدد

(*) نشر هذا البحث في العدد الأول من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، سنة ١٩٧٨.

تتضمّن مصطلحاتٍ لعلّها يونانية الأصل، ومجموعة كثيرة العدد تتضمن المصطلحات العربية الأصل، منقولة من الفقه إلى النحو.

ومع ذلك فإنّ المستشرق الهندي Versteegh نشر في مستهلّ هذه السنة، كتاباً عنوانه "العناصر اليونانية في الفكر اللساني العربي"، يدافع فيه عن نظريّة التأثير اليوناني في النحو العربي، فيعتبر أنّ النُحاة العرب القدامى قد اقتبسوا بضعة من المفاهيم والمصطلحات، لا من المنطق اليوناني، كما زعم Merx، بل من النحو اليوناني، وذلك بواسطة اتّصالهم المباشر باستعمال النحو اليوناني الحيّ، كما يقول، في مراكز الثقافة اليونانية الموجودة في الشرق الأدنى بعد الفتح العربي.

فأود في هذه المحاضرة أن أفحص تلك الآراء المتناقضة في نشأة النحو العربي؛ وهذا في ضوء كتاب سيوييه، الذي سمّاه الناس "قرآن النحو" حسبما روى عنه النحوي الحلبي أبو الطيّب اللغوي.

* * *

إنّ المستشرقين، ليبيّنوا التأثير اليوناني في النحو العربي، يحتجّون على العموم بأنّ النُحاة العرب القدامى قد اقتبسوا من المنطق اليوناني تقسيم الكلام الثلاثي، ومصطلحاتٍ أربعة هي: الإعراب والصرف والتصريف والحركة. فينبغي لنا أولاً أن نتساءل: هل كان من الممكن، من الناحية اللسانية، أن يكون هؤلاء النحاة قد اقتبسوا هذا التقسيم.

إنّ تقسيم الكلام أمر مهمّ جداً في كل نظام نحوي، لأنّه يشترط هذا النظام؛ وبالنسبة إلى بنية كل لغة، ميّز النحاة عدداً مختلفاً من الأقسام. فإنّ النحاة اليونان قد ميّزوا في لغتهم ثمانية أقسام، وهي، حسبما قال أرسطو في

كتابه في الشعر: الحرف: stoikeion، المجموع: syllabe، الرباط: syndesmos، الفاصلة: arthron، الاسم: onoma، الكلمة: rhema، الوقعة: ptosis، القول: logos.

أما النحاة العرب فإنهم، كما تعلمون، لم يميزوا في لغتهم إلا ثلاثة أقسام؛ وهي، حسبما قال سيبويه في الكتاب: الاسم والفعل والحرف.

ولكن، على الرغم من الفرق الكبير الذي يظهر بين عدد الأقسام في النظامين، يدّعي بعض المستشرقين أن النحاة العرب قد اقتبسوا هذا التقسيم عن المنطق اليوناني. فَلِنَسْتَطِيعَ أَنْ نَرُدَّ عَلَى هَذَا الادِّعَاءِ الْفَاسِدِ، سَنَبْحَثُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ فِي النِّظَامِ الْيُونَانِيِّ، وَعَنْ الْقِسْمِ الْمُقَابِلِ لَهُ فِي النِّظَامِ الْعَرَبِيِّ.

ليس لقِسْمِ الحرف اليوناني قِسْمٌ يقابله في النظام العربي، لأنَّ سيبويه لم يجعل حروف الهجاء قسماً مستقلاً في تقسيمه، كما فعل أرسطو. وكذلك ليس لقسم المجموع اليوناني قِسْمٌ يقابله في النظام العربي، لأنَّ مفهوم المجموع المركَّب من حرف غير مصوَّت وحرف مصوَّت، مفهوم صوتيَّ يَخْتَلِفُ عَنْ مفهوم الحرف الساكن والحرف المتحرك الذي نجده عند سيبويه.

أما قسم الرباط اليوناني فإنه لا يقابلُ إلا جزءاً من قسم الحرف العربي؛ ونجد فرقاً بينهما، لأنَّ الرباط عند أرسطو لفظ خالٍ من المعنى، بيد أن الحرف عند سيبويه لفظ له معنى.

يشتمل قسم الفاصلة اليوناني على آلة التعريف والاسم الموصول، وهما عند أرسطو لفظان خاليان من المعنى؛ فليس لهذا القسم قسم يقابله في النظام

العربي، لأنّ سيبويه يَعتَبر أن الاسم الموصول اسمٌ غير تامّ، يحتاج إلى صلة، فيدخله في قسم الاسم، كما أنه يَعتَبر أن آلة التعريف لفظ له معنى، فيدخله في قسم الحرف.

أما قسم الاسم اليوناني فإنه يقابل قسم الاسم العربي، غير أننا نجد فرقاً بين القسمين، لأن الاسم عند أرسطو لفظ له معنى يدل على شيء، بيد أن الاسم عند سيبويه لفظ يقع على الشيء، فهو ذلك الشيء بعينه.

وكذلك يقابل قسم الكلمة اليونانية قسم الفعل العربي؛ فالكلمة عند أرسطو لفظٌ له معنى يدل على زمان، والفعل عند سيبويه مثال أخذ من لفظ حدث الاسم، فيه دليل على ما مضى وما لم يمض؛ غير أننا نجد فرقاً بين القسمين، لأن الصيغة غير المبينة *aparemphtatos* مضمّنة في قسم الكلمة اليوناني، بيد أن المصدر مضمّن في قسم الاسم العربي، كما أن الصيغة المشتركة *metochikon* مضمّنة في قسمي الاسم والكلمة معاً في النظام اليوناني؛ بيد أن اسم الفاعل مضمّن في قسم الاسم فقط في النظام العربي.

وأخيراً، فليس لقسم الوقعة اليوناني قسم يقابله في النظام العربي، لأن مفهوم الوقعة التي تحدث في آخر الاسم أو في آخر الفعل، مفهوم غير موجود عند سيبويه؛ وكذلك قسم القول، الذي هو عند أرسطو مركّب من ألفاظ لها معنى، ليس له قسم يقابله في النظام العربي، لأنّ سيبويه لم يجعل من القول قسماً مستقلاً في تقسيمه.

فمن الناحية اللسانية، يظهر لنا أنه من المستحيل أن يكون التقسيم العربي منقولاً من التقسيم اليوناني، لأن عدد الأقسام ومضمونها يختلف في النظامين اختلافاً تاماً.

ثم يجب علينا أن نتساءل هل كان من الممكن، من الناحية اللغوية، أن يكون النحاة العرب القدامى قد أخذوا عن النحو اليوناني تلك المصطلحات الأربعة التي هي: الإعراب، والصرف، والتصريف، والحركة.

يزعم أتباع التأثير اليونانيّ أن كلمة الإعراب نُقلت من الكلمة اليونانية hellenismos. ما معنى هذه الكلمة في أصل اللغة اليونانية؟ hellenismos اسمُ فعلٍ يوناني تعريبه: هَلَّنَ شيئاً قهليناً، أي صَيَّرَهُ هِلِّينِيّاً.

قال أرسطو في كتابه في الخطابة: "إن أصل الكلام هو الوجه الهليني في التكلم"، أي الوجه الصحيح الذي يحصل عليه بمراعاة خمسة أشياء:

١- باستعمال الروابط، أي حروف العطف.

٢- باستعمال الكلمات الخاصة.

٣- بعدم استعمال الكلمات الملتبسة.

٤- بتمييز الأجناس في الأسماء.

٥- بتمييز الأعداد فيها.

ويرى فيلسوفٌ رواقِيٌّ أن التهليل هو التكلم الصحيح على وجه الصناعة، لا على وجه العامة.

فلاحظ أن الكلمة hellenismos كلمة عامة تختصّ بالكلام برمّته؛ فإنها اصطلاح خطابي وليس باصطلاح نحوي.

أما معاني الإعراب في أصل اللغة العربية فهي ثلاثة: أولاً الإبانة والإفصاح عن الخواطر، ثانياً إزالة الفساد في الكلام، ثالثاً تغيير آخر الكلمة.

فقال ابن جني في كتاب الخصائص: "وكان الإعراب من قولهم: عربت معدته أي فسدت، كأنها استحالت من حال إلى حال، كاستحالة الإعراب

من صورة إلى صورة". وقال ابن الأنباري في كتاب أسرار العريضة: "إن الإعراب سُمِّيَ إعراباً لأنه تَغْيِيرٌ يَلْحَقُ أواخر الكلم، من قولهم: عربت معدة الفصيل إذا تغيرت".

والواقع أن سيبويه يستعمل كلمة الإعراب ليدلّ على ما يسميه "محاري أواخر الكلم"؛ يعني التغيّرات التي تحدث في آخر الاسم الممكن، والفعل المضارع لاسم الفاعل. والإعراب عند سيبويه نقيض البناء الذي يدلّ على عدم التغيّر في آخر الكلمة.

فلاحظ أن الإعراب كلمة تختص ببعض الكلمات فقط في الكلام، فإنها اصطلاح نحوي وليست باصطلاح خطابي.

ثم يدّعي أنصار التأثير اليوناني أن كلمة الصرف نُقِلَت من الكلمة اليونانية klisis، وأن كلمة التصريف نُقِلَت من الكلمة اليونانية ptosis. ما هو السبب الذي دفعهم إلى هذا الادعاء؟ السبب هو أن النحاة اليونان كانوا يعتبرون أن الاسم، بالنسبة إلى حالته الأصلية التي هي حالة التسمية onomasticos، له ميل إلى حالات أخرى، كما أن الفعل بالنسبة إلى حالته الأصلية التي هي حالة الحاضر enestos، له ميل إلى حالات أخرى؛ وكان النحاة اليونان يسمّون كل واحدة من هذه الحالات المتغيرة وقعة: ptosis.

قال أرسطو في كتابه في الشعر: "أما الوقعة فهي للاسم أو الفعل، وتدل على معنى حرف "ل" أو حرف "إلى" وما أشبه ذلك، أو على الأفراد أو الجمع أو نوع كلام القائل، مثل الاستفهام أو الأمر".

وقال في كتابه في الخطابة: "تَغْيِرَات الاسم المائل هي وقعات الاسم، كما أن تَغْيِرَات الفعل المائل هي وقعات الفعل".

أما معنى كلمة الصرف في كتاب سيبويه، فإن هذه الكلمة تدلّ على إلحاق حرف النون للاسم، وللإسم فقط، لأن هذا الحرف علامة التمكن، يعني استقرار الكلمة في قسم الاسم.

وأما معنى كلمة التصريف فَيَسْتَعْمَل سيبويه هذه الكلمة للدلالة على التَغْيِرَات التي تَحْدُث في داخل الكلمة، فإنه لا يستعملها أبداً للدلالة على التَغْيِرَات التي تَحْدُث في آخر الكلمة.

فلاحظ أن مفهوم الميل ومفهوم الوقعة غير موجودين في النظام العربي، كما أن مفهوم التمكن ليس بموجود في النظام اليوناني.

ثم يزعم أتباع التأثير اليوناني أن كلمة الحركة تُرْجِمَت من الكلمة اليونانية: kinesis، وذلك لأن بعض النحاة اليونان حَدَّدُوا الوقعة بأنها حركة تَحْدُث في آخر الاسم، فيستنتجون من هذا التحديد أن الحركة عند النحاة العرب كانت تدلّ في الأصل على المصوت الأساسي، يعني ذلك المصوت الذي يشير إلى الوقعة في آخر الاسم، ومن ثم استُعْمِلَت هذه الكلمة بصفة عامة للإشارة إلى المصوت.

نلاحظ أولاً أن مفهوم التحريك في النظام الصوتي العربي لا يتفق أبداً ومفهوم التصويت في النظام الصوتي اليوناني؛ فإن أرسطو يقسم الحروف إلى مصوِّتة ونصف مصوِّتة وغير مصوِّتة، بيد أن سيبويه يقسم الحروف إلى متحركة وساكنة.

ثم نلاحظ أن كلمة الحركة عند سيبويه تدلّ على حركات الشفّة، من الضم والفتح والكسر، أو على حركات اللسان، من الرفع والنصب والجر أو الخفض، عند إخراج الصوت؛ أَتَحَدَّثُ هذه الحركة في صدر الكلمة أم في وسطها أم في آخرها، فإن الحركة في نظام سيبويه كلمة عامة، لا تدلّ على آخر الاسم المعرب، لأنها تُسْتَعْمَلُ أيضاً لتدلّ على آخر الاسم المبني غير المعرب، ويمكن أن تكون كلمة معربة مجرّدة من الحركة، كالفعل المضارع المجزوم مثلاً.

فمن الناحية اللغوية، يبدو لنا أنه من المستحيل أن تكون هذه المصطلحات الأربعة منقولة من اليونانية إلى العربية، لأن المفاهيم التي تدلّ عليها تتباعد في النظامين كل التباعد.

* * *

يجب علينا الآن أن نتساءل: هل كان من الممكن، من الناحية التاريخية، أن يعرف النحاة العرب القدامى النحوَ اليوناني والمنطق اليوناني فيتأثروا بهما؟ أما النحو اليوناني فلم يستطع النحاة القدامى أن يعرفوه بطريقة مباشرة، إذ أنهم كانوا يجهلون اللغة اليونانية، ولم يكن لديهم كتاب في النحو اليوناني مترجم إلى اللغة العربية، فلم يستطيعوا إذن أن يعرفوا النحوَ اليوناني إلا بواسطة النحو السرياني. فعلينا أن نبحث عن العلاقات الموجودة بين النحو السرياني والنحو اليوناني من جهة، والنحو العربي من جهة أخرى.

كان النظام النحويّ السريانيّ مرتكزاً على الأقاويل الخمسة التي ميّزها منطق أرسطو في الكلام؛ وهي حسبما قال إيليا بن شينايا: السؤال، والأمر، والدعاء، والتعجب، والنداء.

فاخترَعَ النحاة السريان نظام النُقَط، يعني نظام العلامات التي تقابلُ في الكتابة الإشارات الدالة على تلك الأقاويل في المشافهة. ثم يركز هذا النحو على القواعد الصوتية والصرفية التي اقتبسها السريان من كتابٍ في النحو اليوناني كان قد تُرجم إلى السريانية.

أما النحاة السريان فنقتصر على ذكر أشهرهم، وهم ثلاثة:

في القرن السابع: الأسقف يعقوب الرهاوي، الذي صَنَّف الكتاب الأول في النحو السرياني.

في القرن التاسع: المترجم المعروف حنين بن إسحاق، الذي أَلَف كتاباً في النحو سماه "كتاب النُقَط".

في القرن الحادي عشر: إيليا بن شينايا، مطران نصيبين، الذي صَنَّف كتاباً صغيراً في النحو.

أما تعليم النحو السرياني فكان منتشرًا في أديرة السريان ومدارسهم، كمدرسة دير قني المشهورة، بالقرب من المدائن، وكالمدارس العديدة التي كانت موجودة في الحيرة عاصمة العباد، بالقرب من الكوفة. غير أننا لا نجد أي دليل في المصادر السريانية، ولا في المصادر العربية، على أن النحاة العرب القدماء قد اتصلوا بالنحاة السريان، أو تَعَلَّموا اللغة السريانية.

وفضلاً عن ذلك، كان النحاة السريان أنفسهم يَعتَبِرون أن النحو العربي يختلف عن النحو اليوناني من جهة، وعن النحو السرياني من جهة أخرى، اختلافاً تاماً. ومما يدل على ذلك أن حنيناً بن إسحاق أَلَف كتاباً في النحو

العربي، على المنهاج اليوناني سَمَّاه "كتاب أحكام الإعراب على مذهب اليونانيين". وقد ذكر الخوارزمي فصلاً صغيراً منه في كتاب مفاتيح العلوم. وصنّف حينئذ كتاباً آخر في النحو العربي، زعم فيه، حسبما روى عنه إيليا بن شينايا: "أن العرب ليس لهم نحو يعرفون به المعاني الغامضة كما للسريانيين"، ويستدل من قوله أن نحو العرب غير كاف ولا مقنع لما يحتاج إليه.

أما إيليا بن شينايا فأفرد مجلساً من المجالس التي جرّت بينه وبين الوزير الحسين بن علي المغربي، بمقارنة بين النحو العربي والنحو السرياني، يوضح فيها الفرق بين النظامين، كما يدلّ على ذلك الحوار التالي بين الرجلين:

"قال الوزير: أترفعون الفاعل وتنصبون المفعول كما تفعل العرب؟ قلت: لا.

قال: فكيف تعرفون الفاعل من المفعول؟ قلت: يُدخل السريان على المفعول حرف اللام يُفَرِّق بينه وبين فاعله؛ ولما كان العرب إنما يرفعون الفاعل وينصبون المفعول، ليفرّقوا بينهما، وكان للسريان علامة تدلّهم على الفرق بين الفاعل والمفعول هي أبين من الرفع والنصب، ما احتاجوا أن يرفعوا الفاعل وينصبوا المفعول كما تفعل العرب".

فیدلّ كلّ ذلك على أن النحو اليوناني لم يستطع أن يؤثر على النحو العربي بواسطة النحو السرياني؛ وبعبكس ذلك، في القرن الحادي عشر، نرى إيليا مطران طبرهان يصنّف كتاباً في النحو السرياني يُدخل فيه النظام العربي؛ فالنحو العربي هو الذي أثر في النحو السرياني.

أما المنطق اليوناني فلم يستطع النحاة القدامى أن يعرفوه في القرن الثاني للهجرة، الثامن الميلادي، إذ أن تأليف أرسطو لم تنقل بعد إلى اللغة العربية؛ فإننا نعلم أن الكتاب في العبارة والكتاب في المقولات لم يُترجَمَا إلا في القرن الثالث للهجرة، التاسع الميلادي، على يد حنين بن إسحاق؛ كما نعلم أن الكتاب في الشعر لم يُترجَمَ إلا في القرن الرابع للهجرة، العاشر للميلاد، على يد مَتَّى بن يونس.

وإذا أَطَّلَعْنَا على هذه الترجمات لاحظنا أن المترجمَ السرياني لم يَسْتَعْمِلْ مصطلحات النحو العربي ليترجَمَ مصطلحات النحو اليوناني، ولكنه اخترع مصطلحات عربية جديدة.

فإنه ترجم اللفظة stoikeion بأسطقس، ولم يترجمها بحرف، وترجم اللفظة syndesmos برباط، ولم يترجمها بحرف، وترجم اللفظة rhema بكلمة، ولم يترجمها بفعل، وترجم اللفظة klisis. بميل، ولم يترجمها بإعراب، وترجم اللفظة phone. بمصوَّت، ولم يترجمها بحركة.

وفي القرن الرابع للهجرة، العاشر للميلاد، نرى الفلاسفة العرب يخترعون مصطلحات جديدة، لِيُفَسِّرُوا كتب المنطق اليوناني في اللغة العربية. فإن الفيلسوف المنطقيَّ الكبير، أبا نصر الفارابي، يقول في كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، بصدد حروف المعاني:

"إن هذه الحروف هي أصناف كثيرة، غير أن العادة لم تَجَرِّ في أصحاب علم النحو العربي إلى زماننا هذا، بأن يُفَرَّد لكل صنف منها اسمٌ يَخُصُّه؛

فينبغي أن نستعمل في تعديد أصنافها الأسامي التي تأدت إلينا عن أهل العلم بالنحو من أهل اللسان اليوناني، فإنهم أفردوا كلّ صنف منها باسم خاص".
فاخترع الفارابي خمسة مصطلحات ليدلّ على هذه الأصناف من حروف المعاني، وهي: الخوالف، والواصلات، والواسطات، والحواشي، والروابط.

وفي نفس الحقبة، يروي لنا الفيلسوف أبو حيّان التوحّيدي، في كتاب الإمتاع والمؤانسة، مناظرة مشهورة جرت بين متّى بن يونس المنطقي وأبي سعيد السيرافي النحوي؛ فمما يبيّن أن متّى كان يعتبر أن المنطق ليست له صلة بالنحو؛ الحوار التالي بين العالمين:

"قال أبو سعيد: أسألك عن معاني حرف واحد، وهو دائر في كلام العرب، وهو الواو، ما أحكامه، وكيف مواقعه، وهل هو على وجه أو وجوه؟ فبهت متّى وقال: هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه، لأنه لا حاجة بالمنطقي إليه، وبالنحوي حاجة شديدة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ".

فيدلّ كلّ ذلك على أن المنطقيين السريان والفلاسفة العرب كانوا يشعرون بأن النحو العربي لا يتعلق بالمنطق البتّة.

فمن الناحية التاريخية، يظهر لنا أنه من المستحيل أن يكون النحاة العرب القدامى قد عرفوا النحو اليوناني والمنطق اليوناني فتأثروا بهما في نظامهم.

* * *

ينبغي لنا أخيراً، أن نتساءل: هل كان من الضروري، من الناحية
المنهجية، أن يكون النحاة العرب القدامى قد اقتبسوا بضعة مصطلحات من
النحو اليوناني؟

فإذا اطلعنا على كتاب سيبويه، لاحظنا أن لغته غنيّة جداً لأنه يستعمل
عدداً وافراً من المفردات ليعرض نظامه النحوي. ولكننا لم نكن نعلم بالضبط
مبلغ هذا العدد؛ فعزمتُ أن أُحصي جميع المفردات التي استعملها سيبويه في
لغته الشخصية دون لغة الشواهد القرآنية والشعرية، فوجدت أن عددها يبلغ:
ألفاً وثمانئة وعشرين.

ما هي المعلومات التي نستطيع أن نستنتجها من هذا الإحصاء؟

إذا ضربنا صفحاً عن المفردات المستعملة في معناها العام، بدون معنى
اصطلاحي، وعددها مئتان وعشرون فقط، استطعنا أن نُميّز في الكتاب
خمسة أنواع من المفردات:

أولاً: المفردات التي تتعلق بالمفاهيم النحوية العامة، يعني: بأقسام الكلام
وأنواع الألفاظ وأحوالها.

ثانياً: المفردات التي تختص بتركيب الجُمْل، يعني بمواضع الألفاظ في
الكلام ومجراها من ناحية العمل.

ثالثاً: المفردات التي تتعلق بالتصريف، يعني بتغيير الألفاظ في اللغة
وصياغتها بالاشتقاق.

رابعاً: المفردات التي تختص بالصوتية، يعني بإخراج الأصوات ومجراها في
بنية الألفاظ.

خامساً: المفردات التي تتعلق بالمنهاج، يعني بالمفاهيم التي يستعملها سيبويه ليفسّر الوقائع النحوية والوسائل التي يستعملها ليوصلها.

أما توزيع تلك المفردات العددي، فإنّ المفردات التي تتعلّق بالمنهاج هي الأكثر، وعددها ستمئة وخمسون، ثمّ تتبعها المفردات التي تختصّ بالمفاهيم العامة، وعددها ثلاثمئة وتسعون، ثمّ المفردات المتعلقة بالتصريف والتي تساوي المفردات المتعلقة بالصوتية، وعددها ثلاثمئة وعشرون، وأخيراً المفردات التي تختصّ بالتركيب، وعددها مئتان وخمسون.

فمن البين أنّ عدداً وافراً من المصطلحات النحوية كان تحت تصرف النحاة العرب القدامى؛ فمن المستحيل أن يكونوا قد احتاجوا إلى اقتباس بضعة من المصطلحات الأجنبية، يونانية كانت أم سريانية؛ فما تعني تلك العشرة من المصطلحات التي يزعم المستشرقون أن النحاة العرب قد اقتبسوها من اللغة اليونانية؟ ما تعني تلك العشرة بالنسبة إلى المئات من المصطلحات التي كانت متناولة في لغتهم؟

أظنّ أن المستشرقين قد أخطأوا عندما اعتمدوا على بضعة من مصطلحات يونانية ليبرهنوا على مضارعة النظام العربي النظام اليوناني. لأنّ كلّ واحد من المصطلحات جزء من نظام معقد ليس له معنى، خارجاً عن هذا النظام.

* * *

فقد بيّنّا أنه من المستحيل أن يكون النحو العربي القديم قد اقتبس مصطلحات من النحو اليوناني، وذلك من جميع النواحي: من الناحية

اللسانية، ومن الناحية اللغوية، ومن الناحية التاريخية، ومن الناحية المنهجية. غير أنه تَبَقَّى علينا الإجابة على هذا السؤال: كيف نشأت هذه المصطلحات التي نرى سبويه يستعملها في كتابه؟

إذا فحصنا الكتابَ وجدنا أن سبويه لم يُحدِّد المصطلحات التي يستعملها؛ فهذا يدلُّ على أنه لم يَخْلُق مصطلحات جديدة، وأنه يستعمل تلك التي استعملها قَبْلَهُ النُّحاة القُدامى الذين يذكُرهم في الكتاب؛ كما يدلُّ ذلك على أن معاصريه كانوا يفهمون تلك المصطلحات بدون صعوبة وبدون تفسير؛ لماذا؟

لأنه من المحتمل أن سبويه استعمل المصطلحات المشتركة بين العلوم الإسلامية الأصلية التي هي: القراءات، والحديث، والفقه، والنحو، وقد تَكُونَت تلك المصطلحاتُ في وقت واحد في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، الثامن للميلاد، في مِصْرِي العراق المُسلمين، البصرة والكوفة، فكان القُرَّاء والمحدِّثون والفقهاء والنُّحاة يستعملون نفس المنهاج ونفس المفاهيم ونفس المصطلحات، لأنهم كانوا يقصدون إلى نفس الهدف الذي هو سلامة لغة التزِيل الإلهي والحديث النبوي.

وَيُمْكِنُنا القولُ إن النحو، منذ بدايته، كان مرتبطاً بالحديث والفقه، إذ أن كتب أخبار النحويين تروي لنا عن نصر بن عاصم الليثي، وهو أول من وضع العربية بعد أبي الأسود، أنه كان فقيهاً عالماً بالعربية والحديث، كما أنها تروي لنا عن يحيى بن يعمر؛ وهو أول من نَقَطَ المصاحف، أنه كان أيضاً فقيهاً عالماً بالعربية والحديث.

فكان العلماء، في غالب الأحيان، يتلقون جميع العلوم الإسلامية قبل أن يتخصّصوا في واحد منها. فنعلم مثلاً أن النحوي المشهور الخليل بن أحمد، وهو واحد من أساتذة سيبويه، قبل أن ينصرف إلى النحو، تعلّم الحديث والفقه عن أيوب السخيتاني، الذي كان فقيهاً من فقهاء البصرة ومحدثاً من محدّثيها.

وكذلك، نعلم أن سيبويه قدّم البصرة ليكتسب الحديث، فلزم حلقة حماد بن سلمة؛ ويروى عنه أنه بينما كان يستملي على حماد قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء"، فقال سيبويه: "ليس أبو الدرداء" وظنّه اسم ليس، فقال حماد، لَحَنْتَ يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبت، وإنما "ليس" وهنا استثناء؛ فقال سيبويه: سأطلب علماً لا تلحني فيه؛ فلزم الخليل فبرع.

وكذلك، يُروى عن حماد بن سلمة أنه كان يقول: "من لحن في حديثي فقد كذب"؛ فتدُلُّنا هذه الرواية على العلاقات الوثيقة التي كانت تربط الحديث بالنحو.

وكان العلماء القدامى يعتبرون أن النحو أول العلوم الإسلامية وأسبقها، فكانوا يفضلونه على العلوم الأخرى؛ وذلك لأن النحو العلم الأساسي الذي يحتاج إليه جميع العلوم، والذي لا يستغني عنه عالم.

فَيُروى عن أيوب السخيتاني أنه قال: "تعلّموا النحو فإنه جمال للوضع وتركه هجنة للشريف"، كما يُروى أيضاً عن حماد بن سلمة أنه قال: "مثلُ الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو، مثلُ الحمار عليه منخلة لا شعير فيها".

وفي الختام، فأنا أعتقد أن علم النحو أعربُ العلوم الإسلامية، وأبعدها
عن التأثير الأجنبي في طوره الأول، كما حاولتُ أن أُبين ذلك في ضوء
كتاب سيبويه، ذلك الكتاب المشهور الذي هو أقدم كتب العرب في النحو.

نشأة الثقافة العربية الإسلامية: نظرة إلى العراق^(*)

الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدُّوري

إن نشأة الثقافة العربية الإسلامية ظاهرةً معقّدة تتطلّب دراسةً بيّناها والعناصر المكوّنة لها، والاتجاهات والتطورات الخاصة. وفيما يلي محاولة أولية لرسم الخطوط العامة^(١).

أدى التوسّع العربي الإسلامي -الذي رافقه الشعور برسالة- إلى فتح أبواب البلاد الخصيبة إلى الشمال أمام القبائل المندفعة باستمرار من الجزيرة العربية، وشجّعت الخلافة الهجرية إلى الأمصار واعتبرتها لازمة للانتماء الكلّي للأمة^(٢). واعتبرت العودة إلى البادية، بعد الهجرة، أمراً مكروهاً^(٣). وهذا أدى إلى استقرارٍ متزايد للقبائل في البلاد المفتوحة.

واتجهت سياسة التمهيد ابتداءً إلى وضع المقاتلة في مجموعات متماسكة في المراكز الجديدة، في دور هجرة مثل البصرة والكوفة، وفي قرى أو مناطق قرب المدن القديمة (كما في الأجناد في الشام)، أو في أماكن استراتيجية (كما في أنحاء من الجزيرة الفراتية).

واستمرت القبيلة أو العشيرة أساساً في تنظيم السكن والعلاقات الاجتماعية في الأمصار. وكانت القبيلة -عند خروجها من الجزيرة- تتوزع عادة بين أكثر من مراكز أو منطقة، ثم نُظِّمت المجموعات القبلية، لأغراض التعبئة العسكرية، في وحدات كبيرة، على الأسباع (ثم الأرباع) في الكوفة مثلاً، وعلى الأحماس في البصرة.

(*) نشر هذا البحث في العدد الأول من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، سنة ١٩٧٨.

وساعدت الإقامة في بلد واحد، وظهر مصالحي جديدة، والمصاهرات بين القبائل، إضافة إلى تأثير المفاهيم الإسلامية، على ظهور ولايات محلية، وأوجدت ظروفًا ثقافية جديدة، وساعدت على قيام تكتلات جديدة^(٤). وهذا يوضح كيف أن القبائل الواحدة أو القريبة، والتي تعيش في أمصار أو أقطار مختلفة، لم تتخذ موقفًا واحدًا في القضايا العامة. وكل ذلك ساعد على ظهور اتجاه نحو الوحدة بين القبائل في المصر الواحد.

وكان كلٌّ من الكوفة والبصرة بابًا للبادية إلى السواد؛ وهذا يوضح، لحدِّ ما، أطراد الهجرة إليهما، وأكدَّ هذه الهجرة استمرارُ الصلات بين عشائر المصريين وبين أقربائهما من القبائل الرحالة في البوادي المجاورة. هذا إلى أن جماعات من المقاتلة (خاصة من ربيعة وتميم) استمرت على العيش في البادية مع استعدادها لتلبية النداء للمشاركة في الحملات حين استقر الآخرون في الكوفة والبصرة^(٥).

ولم تُشجَّع الإقامة بين السكان المحليين في البدء، ونُظِرَ إليها بشيء من الإنكار^(٦). وهكذا فإن عزلة المقاتلة، وهي ضرورة عسكرية واجتماعية في البدء، كان لها أثرها في توفير جوٍّ للوحدة والاستمرار الثقافي، وساعدت على جذب الآخرين إلى إطار المجموعات العربية - إلى الإسلام والعروبة.

- وكانت اللغة العربية أساس الهوية العربية، فالناس عرب أو عجم بلغتهم. أما المفاهيم المتصلة بالنسب والتي تنطوي على مفهوم الجذور البشرية عند القبائل، فإنها لم تطمس هذا الأساس. فحين قال الحجاج لأهل الكوفة: "لا يؤمنكم إلا عربي"، وثب بعضهم بالقارئ يحيى بن وثاب، وهو مولى،

لعزله عن الإمامة، فاعترض الحجاج قائلاً: "وَيَحْكُم، إِنَّمَا قُلْتُ عَرَبِي
اللسان"^(٧). وهكذا صارت اللغة، لا الدم، أساس العروبة^(٨).

ولما كانت العربية لغة القرآن، فقد ارتبطت بالإسلام، مما أكسبها حرمة
وساعد على انتشارها. فكان دخول الإسلام يعني تَعَلُّمَ العربية، وربما
المشاركة في الثقافة العربية. وتكاد "العربية" أن تكون مرادفة للإسلام في
الفترات الأولى^(٩). فلما سأل أبو جعفر (المنصور) مولى لهشام بن عبد الملك
عن هويته، قال: "إن كانت العربية لساناً فقد نطقنا بها، وإن كانت ديناً فقد
دخلنا فيه"^(١٠).

- كانت القبائل العربية تندفع باستمرار إلى الأراضي الخصبة. وقد
انتشرت في الجزيرة الفراتية بين دجلة والفرات قبل الميلاد، وكان بعضها
متبدلاً والآخر مستقراً^(١١). فكان مركز قضاة في الحضر^(١٢)، وكانت ربيعة
وتنوخ في الجزيرة^(١٣)، والتمر بن قاسط في عين التمر^(١٤). وانتشرت تغلب
من عين التمر وعانات على الفرات شمالاً حتى جبل بشري، وكانت من
رعاة وفلاحين^(١٥). وكان في حاضر الرقة (ريفها) قوم من العرب^(١٦).
وكانت إياد في الفرات الأوسط وأطراف الجزيرة الفراتية، ثم تحركت في فترة
الفتوح إلى الجزيرة^(١٧).

وكانت في الحيرة قبائل عربية - تنوخ والعباد وجماعات أخرى
(الأحلاف)، وامتدَّ بعضها إلى الأنبار^(١٨). ويقول الهمداني: "الأنبار
والحيرة والقصر الأبيض ... وسنداد والخورنق والسدير وبارق،
محاضر العرب القديمة من حيز العراق"^(١٩). وانتشرت بكر ابن وائل
في البوادي المَطَّلَة على السواد بين القادسية والخليج العربي^(٢٠).

هكذا وبنهاية القرن السابع للميلاد كانت مناطق الفرات الأسفل والأوسط والجزيرة الفراتية قد تعرّبت لِحدٍّ كبير.

وفي فترة الفتوح وبعدها جاءت قبائل وجماعات جديدة إلى العراق؛ فقد ارتفع ديوان البصرة مثلاً من ١٠,٠٠٠ إلى ٢٠,٠٠٠ أيام عثمان، ثم إلى ٤٠,٠٠٠ و(٨٠,٠٠٠ من العيالات) أيام علي، ثم إلى ٨٠,٠٠٠ (و١٢٠,٠٠٠ من العيالات) في ولاية زياد بن أبيه^(٢١)، ثم إلى ٩٠,٠٠٠ (١٤٠,٠٠٠ من العيالات) في ولاية عبيد الله بن زياد^(٢٢). وفي الكوفة ارتفع الديوان من ٢٠,٠٠٠ سنة ١٧هـ إلى ٤٠,٠٠٠ سنة ٢٥هـ^(٢٣)، إلى ٦٠,٠٠٠ في أواسط القرن الأول الهجري^(٢٤).

ونزلت مجموعات قبلية، من تميم وبكر واليمن -خاصة خولان وهمدان والأزد- الموصل في خلافة عمر. وتحوّلت الحديثة، على الزاب الأعلى، إلى قرية عربيّة بمنزلها من العرب^(٢٥). ونزلت قبائل عربية في سنجار ورأس العين^(٢٦)، وجاءت جماعات كبيرة من قيس إلى الجزيرة. ثم إن معاوية أتى بمجموعات من قيس وأسد وأوطنهم أماكن استراتيجية بين الرقة وسنجار، كما ثبتّ ربيعة في ديارها من الجزيرة^(٢٧). واستمرّت الهجرة إلى الجزيرة الفراتية، وأدّت إلى تكوين ديار مضر وديار ربيعة^(٢٨). لذا رأى مروان بن محمد، آخر الأمويين، أنه يستطيع الاستناد إلى قيس في تكوين قوّاته، وانتدب منها عشرين ألفاً^(٢٩).

- وكان للعوامل الجغرافية والبشرية أثرها في العراق، فقد كان ملتقى الثقافات الساميّة والآريّة، إضافة إلى كونه مهد الحضارة الساميّة.

كان سكان العراق (النبط)، وهم ساميون يتكلمون الآرامية. أما الفرس فكانوا فئة حاكمة في المدن الرئيسية (مثل طيسفون ونصيبين)، وبينهم الملاكون الكبار والجنود في الحاميات، وجُلُّهم طردوا أثناء الفتح أو أُسِّروا^(٣٠). ولكنَّ بعضهم بقي في المدن، مثل الحيرة ونصيبين وسنجار، أو على الحدود الشرقية للسهول، بينما جاء آخرون إلى المراكز الجديدة (خاصة الكوفة والبصرة). وبقي كثير من الدهاقين، وبعضهم من أهل البلاد (نبطاً أو عرباً)، وأسلموا وحافظوا على أراضيهم^(٣١).

وكانت لفظة "نبط" ابتداءً ذات دلالة بشرية^(٣٢)، ثم صارت بعدئذٍ مرتبطة بالفلاحة والري^(٣٣). وكان يشار للنبط عادة بـ"أهل السواد" أو "العلوج" تمييزاً لهم عن العجم^(٣٤). وتباين الروايات عن وضعهم، بين ما يشير إلى الشعور بالرابطة والكيان^(٣٥) وبين الادعاء بالأصل الفارسي^(٣٦).

اعتُبر المسلمون النبط غير محاربين، ولم يتعرَّضوا لهم في أثناء الفتح^(٣٧). يذكر المدائني أن عمر بن الخطاب "رفع الرقَّ عنهم، ووضع عليهم الخراج في رقابهم، وجعلهم أكرَّة الأرض"^(٣٨). وكان بإمكانهم استغلال الأرض وبيعها ورهنها^(٣٩). وإذا أسلموا أُعْفُوا من الجزية عادة، ولكنهم يستمرُّون على دفع الخراج. ورأى عمر بن عبدالعزيز أن لهم الحرية في ترك الأرض عند إسلامهم، ولكن أرضهم تؤول إلى القرية، وإلا صارت للدولة.

ومع أن النبط اعتُبروا أحراراً من حيث المبدأ، إلا أن المفاهيم الحليَّة الموروثة التي تربطهم بالأرض والاعتبارات الاقتصادية أثَّرت على وضعهم.

وكانت الهجرة من الريف إلى المدينة أمراً مألوفاً، بل وواسعة أحياناً؛ وهي ظاهرة ساعدت على التعريب. ومما يَسَّرُ التعريب أن النبط ساميون يتكلمون لغة لها قرابة بالعربية. ولعلَّ هذا يفسِّرُ سكوت المصادر عن انتشار التعريب بينهم^(٤٠).

هناك إشاراتٌ قليلةٌ إلى موالٍ من النبط مع أنهم -عددياً- يكوّنون جمهرة الموالى؛ ولعل ذلك يعود إلى ارتباطهم بالعرب في الأصول والثقافة. فالْحَجَّاج، وقد أغضبه اشتراك مجموعة من القراء في ثورة ابن الأشعث، قال عنهم: "إنما الموالى علوج، وإنما أُتِيَ بهم من القرى"، ونفاهم إلى قراهم^(٤١). وتَمَيَّزَ بعض النبط في أمور المال^(٤٢)، مثل عميرة وحسان النبطي^(٤٣)، وفي الحرب، مثل مقاتل بن حيان. وكان لهم أثرهم خاصة على العربية في الكوفة^(٤٤).

ولقي العربُ في الفرات الأوسط^(٤٥) وتَغَلَّبُ في الجزيرة^(٤٦)، معاملةً مفردة، مما يُشعِرُ بالتوجيه الإسلامي، إذ كانوا أحراراً في بيع أراضيهم، وعند إسلامهم تصبح أرضهم عشيرة.

كان أثر العرب في المدن والريف واسعاً؛ فقد أصبح التسجيل في الديوان محدوداً زمن الروانيين، ولم يعد مفتوحاً للجميع؛ وكان على الذين لا يسجلون في الديوان (وبالتالي لا يأخذون العطاء) أن يبحثوا عن وسائل أخرى للعيش، في التجارة أو الزراعة أو المهن. يذكر المبرد أن المهلب دَسَّ الجواسيس إلى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم "فإذا حشوة ما بين قصار

وصباغ وداعر وحداد... "٤٧". ويبدو أن هذه الظاهرة عامة لا تختصّ بالعراق، ففي أخبار حملة ابن أبي بكرة على سجستان (٦٩٩/٧٩) قاتلت جماعة متطوعة من مذحج وهمدان^(٤٨). كما أن بعض الأعراب القادمين إلى المدن، مثل البصرة، صاروا في عداد "المساكين" على أطرافها^(٤٩). هذا إلى أن بعض المقاتلة بقوا في البوادي المطلة على السواد يرعون مواشيهم وإبلهم^(٥٠). وتردّ أخبار شعراء يتنقلون بين قبائلهم في البوادي وبين عشائرها الموجودة في المراكز الحضرية، وخاصة تميم^(٥١). وهذه الجماعات اختلطت بحريّة بأهالي البلاد السابقين.

والتفت العرب، وخاصة الأشراف وأهل المدن، إلى امتلاك الأراضي، وحصلوا عليها بطرق مختلفة - بالإقطاع من الصوافي، وبإحياء الأرض الموات (خاصة في منطقة البصرة)، وبتجفيف المستنقعات (خاصة قرب الكوفة)، وباستثمار الأراضي الخالية^(٥٢)، وبالشراء، وخاصة في منطقة الحيرة حيث كان بيع الأراضي مباحاً^(٥٣). وكان جُلُّ الضياع في البصرة من الأرض الموات التي تم إحيائها بحفر القنوات وباستيراد الأيدي العاملة (من الزنج خاصة). وشمل الشراء أراضي الخراج على نطاق واسع، حتى أن منع بيع الأرض الخراجية من قبل عمر بن عبدالعزيز وأخلافه لم يوقف هذا النشاط. وساعد الإحياء على توسيع الملكيات.

أدى هذا الإقبال على الأرض إلى ظهور ملكيات كبيرة، بعضها يشمل قرى بكاملها. وقد أدّت هذه التطورات إلى خلخلة المجتمعات القروية المتماسكة وإلى فتحها للمؤثرات الخارجية.

واعتماد العرب أن يستخدموا "وكلاء" للإشراف على ضياعهم، وكان على الوكلاء أن يجلبوا الفلاحين إلى الأرض، أو أن يشغلوا فلاحين من القرى المجاورة. ومما يَسَّر مهمة الوكلاء ضرب الإقطاع القديم وحالة الفراغ الناشئة عن ذلك، مما دفع الفلاحين للتحرك إلى مَواطن العمل الجديدة. وقد أدَّى هذا الوضع، إضافة إلى العلاقات المتزايدة بين القرى والمراكز العربية - وهي الأسواق الرئيسية للريف-، والصلات بين القرى والقبائل في البوادي المجاورة للكوفة والبصرة، إلى انتشار العربية تدريجياً وبصورة متزايدة في الأرياف^(٥٤).

وفي مطلع القرن الثاني للهجرة بدأ العرب بالاستقرار في القرى، وساعدت السياسة العباسية على ذلك؛ فقد اتخذ العباسيون موقفاً سلبياً من بعض القبائل (المضرية) منذ بداية عهدهم، ثم انتهوا إلى إسقاط العرب من الديوان أيام المأمون والمعتمد، وهذا دفع العرب إلى التوسع في الاستقرار على الأرض (في الريف)، وإلى اتخاذ مَهَن أخرى. فانتشر العرب في سواد الكوفة^(٥٥)، وانتقل الكثيرون من البوادي المجاورة إلى الأرياف^(٥٦)؛ وهكذا ترد إشارات إلى قرى عربية^(٥٧). وفي الجزيرة الفراتية تزايد عدد الجماعات العربية التي استقرت في القرى وانتشرت في الريف^(٥٨). ويعطي ديونيس التلمحري البيّنات على وجود عدد كبير من القرى العربية في الجزيرة^(٥٩)، ويُشعر بوقوفهم إلى جانب أهل القرى المحليين في وجه الإدارة العباسية^(٦٠)، ويشير إلى حصول مصاهرات بين الطرفين^(٦١). وهذا يشير إلى تغيّر العلاقات

بين العرب والآخرين، وإلى توسّع التعريب؛ وهو تطوّر بلغ مدى بعيداً في القرن الثالث الهجري، وجعل التعريب شاملاً.

ويُنتظر أن تكون العربية الدارجة في الريف ضعيفة، كما يُتوقع أن لا تنجو عربية القرويين من اللحن^(٦٢)، وهذا لا يمنع أن تكون لغة البعض حسنة؛ فقد أشار الجاحظ إلى أن بعض أهالي سواد الكوفة يتكلّمون عريية حسنة بألفاظ متميزة، ومع ذلك يُحسّ السامع بأنهم نبط^(٦٣).

وكان انتشار الإسلام، وحركة العرب، ونظام الولاء، عوامل في نجاح العربية وفي التعريب.

ترجع جذور الولاء إلى الجزيرة قبل الإسلام. وقد يكون أثر عرب الجنوب مُهمّاً في تطوّر الولاء، ولكن تراثهم لا يزال ينتظر الدراسة. فهناك إشارات في النقوش الجنوبية إلى أن قبائل (سيدة) كانت تربط مجموعات أضعف بها عن طريق الحلف بسبب المصلحة لا النسب. وقد تطلّب استغلال الأرض ربط جماعات خارجية بالقبيلة، وأدّى إلى نوع من الطبقة الاجتماعية: فهناك جماعات تستثمر الأرض (العائدة لقبيلة) لقاء جزء من الحاصل، وهناك طبقة أدنى محمية تعمل لقبيلة في فلاحه الأرض^(٦٤).

أما بين عرب الشمال فإن الولاء بالعتق أو الحلف أو الحماية كان مألوفاً. وكان بإمكان جماعات أن ترتبط بقبائل قوية بالحلف، ويُسمّون موالي موالاة^(٦٥). والحلف لا يعني بالضرورة المساواة في المنزلة، مع أنه قد يعني مساواة في بعض المسؤوليات^(٦٦).

هذه المفاهيم استمرت في صدر الإسلام: ففي ديوان عمر بن الخطاب جُعِلَت القبيلة ومواليها في سجل (ديوان) واحد وبعطاء واحد^(٦٧)، وفي الكوفة والبصرة حالفت الكتائب الفارسية (حمراء ديلم والأساورة)، إضافة إلى الأندغان والسيابجة، قبيلة تميم^(٦٨). وانتقل بنو العم من الأهواز إلى البصرة وحالفوا بني تميم^(٦٩).

وكان الموالي ابتداءً من أرقاء (أسرى حرب) أعتقوا (موالي عتاقة)^(٧٠)، ولكنَّ جُلَّ الموالي كانوا من أحرار أسلموا وانتقلوا إلى المراكز العربية، وأكثرهم نبط^(٧١). وبعد أن أوقف عمر بن الخطاب سبي العرب^(٧٢)، صارت كلمة "مولى" تشير إلى غير العرب، بينما تشير كلمة "حليف" عادة إلى العرب^(٧٣).

واستمر الولاء بهذه المفاهيم أيام الأمويين: فقد صنّف عمر بن عبدالعزيز الموالي إلى: موالي عقد (اتفاق)، وموالي رحم، وموالي عتاقة.

وكان ارتباط البعض بأمر أو قائد سبباً لظهور "مولى التباعة"؛ وهو اتجاه يفسر ما فعله العباسيون بعدئذ^(٧٤).

وكان الولاء يعني "الإسلام" "والعربية" في وقت واحد^(٧٥): فالأعاجم (من غير المسلمين) كانوا يَرَوْنَ أنَّ مَنْ دخل الإسلام صار عربياً^(٧٦). وكان الموالي يتعلمون العربية ويتخذونها لغتهم؛ وهكذا اعتبر الحجاج القراء من الموالي عرباً^(٧٧). ويلاحظ أن بعض الموالي سُمُّوا بـ "المستعربة"^(٧٨)، وهو تعبير يطلق عادة على عرب الشمال. جاء في اللسان: "والعرب المستعربة هم

الذين دخلوا فيما بعد فاستعربوا. قال الأزهري: المستعربة عندي قوم من العجم دخلوا في العرب، فتكلموا بلسانهم، وحكوا هيئاتهم، وليسوا بصرحاء فيهم^(٧٩). ويبدو أن المصاهرات، وكانت مألوفة قبل فترة الحجاج ورائجة في الكوفة أيام عمر بن عبدالعزيز^(٨٠)، ساعدت على توسيع التعريب. وهكذا اخترق الولاء إطار النسب القبلي، ووسّع الإطار العربي، وساعد على انتشار العربية.

ظهر الإسلام في بيئة مدنية، وأكّد على طلب العلم، وعنه نشأت اتجاهات الدراسة الأولى في المجتمع الإسلامي. وهذه الدراسات، مع اهتمامات العرب الثقافية الموروثة، كوّنّت الخطوط الأولية للثقافة العربية الإسلامية. واستمرّ الحال كذلك لدرجة أن النظر إلى الثقافات القديمة كان عرضياً خلال فترة تتجاوز القرن. وفي حين أن العربية اضطرّت لمواجهة المفاهيم القبلية المحافظة والضيقة، بما فيها من عصبية، قبل أن تستطيع تحقيق قاعدة ثقافية واسعة، فإن الإسلام كان قوة دافعة متوسعة، وكان بشكل ملحوظ عوناً للعربية.

تركّزت الفعاليات الثقافية في صدر الإسلام في دور الهجرة -البصرة والكوفة خاصة-، واقتصرت في الأساس على الموضوعات الإسلامية والدراسات العربية. كان هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥هـ) يرى أن أسس الثقافة هي القرآن، والآثار، وأحاديث العرب، وأشعارهم، وأيامها، وأنساب قريش وسائر بني نزار^(٨١).

وبدأت الفعاليات الثقافية بين العرب، وبدرجة متواضعة بين الموالي الذين أتقنوا العربية^(٨٢). وتأثرت هذه الفعاليات بتيارين أساسيين: الأول - الإسلامي، ممثلاً في الدراسات القرآنية والحديث والفقه والمغازي، والثاني - العربي (القبلي) وهو استمرار لميول سابقة، في الشعر والأيام والأخبار والأنساب واللغة.

ويسترعي الانتباه أن التطورات الثقافية سارت في خطوط متوازية ومتدرجة: روايات فردية ومحدودة ابتداءً، ثم حلقات من الطلبة يأخذون عن شيخ ويضيفون أبحاثهم إلى عمله^(٨٣)، ثم تراكم للمعرفة والدراسات يؤدي إلى ظهور مدارس محلية، وأخيراً تبادل المعرفة والتأثير بين المراكز أو المدارس المحلية عن طريق الرحلات، مما أدى إلى ظهور علماء متميزين رسموا خطوط التطور المقبل. ويتضح هذا التطور في دراسة الحديث والفقه والتاريخ وفي الدراسات اللغوية.

واجهت الأمة الإسلامية الناشئة مشاكل وحاجات مباشرة - منها إنشاء الخلافة ومشاكلها، ومعاملة المغلوبين والأراضي المفتوحة، وتطبيق المبادئ الإسلامية في الأمصار لمواجهة الحاجات الجديدة. وكانت هذه النواحي بالغة الأهمية للتطور الثقافي.

لقد شهد القرن الأول للهجرة رسم الخطوط الأساسية لمؤسسة الخلافة، مع ما رافقها من تبأين واختلاف في الاتجاه؛ ونشأت الأحزاب السياسية وطوّرت آراءها التي كان لها بعض الأثر في الفقه^(٨٤). وظهرت آراء في الجبر

والاختيار ومسؤولية البشر عن أعمالهم، وبدأ التنظيم الإداري والمالي من التراث المحلي بعد تعديله بضوء مفاهيم إسلامية، وكان يختلف في واقعه بين قطر وآخر، ثم عُرب وطُور بالتدريج لينتهي إلى إطار موحد في بلاد الخلافة في أواخر الفترة الأموية.

وفي حين أن الفعاليات الثقافية بدأت عربية إسلامية ولم تأخذ من الثقافات القديمة إلا في فترة تالية، فإن الموقف من التراث الإداري والمالي المحلي المتباين في الأقطار اتخذ اتجاهًا معاكسًا، إذ عُرب وطُور لينسجم مع المفاهيم الإسلامية بصورة تدريجية، حتى أدخل أخيرًا في النطاق الإسلامي الثقافي والحضاري.

ارتبطت الفعاليات الثقافية بالحاجات الناشئة: فالدراسات الإسلامية الأولى تتصل بالقرآن، إذ حاول القراء أن يعلموا الناس القراءة الصحيحة، وأن يُصَرِّوهم بالمفاهيم الإسلامية^(٨٥). بَعَثَ عمر بن الخطاب بعض الصحابة إلى الأمصار (مثل ابن مسعود في الكوفة، وأبي موسى الأشعري في البصرة) ليعلموا الناس القرآن والسنة^(٨٦). قال أهل الكوفة لابن مسعود: "جُزِيتَ خيرًا فقد علّمتَ جاهلنا، وثَبَّتَ عالمنا، وأقرأتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين"^(٨٧). ويُروى الكثير عن عدد تلاميذ ابن مسعود وعن نشاطهم في الكوفة، إذ كانوا "سُرُجَ هذه القرية (الكوفة)" كما قال سعيد بن جبیر^(٨٨). وقد نالوا منزلة اجتماعية عالية بسبب تقواهم وحرصهم على رسالتهم^(٨٩). وشاركوا في الحياة العامة وفي الأحداث الكبرى من أيام عثمان إلى ثورة ابن

الأشعث^(٩٠). وكانوا يدافعون عن المبادئ الإسلامية، وعن العدالة الاجتماعية. وانضمَّ إليهم بعض الأشراف، وتزايد عدد الموالي بينهم^(٩١)؛ ولعلَّ هذا يوضح سبب الارتباك في بداية ظهورهم. وتُشعرُ فعاليتهم بالصلة الوثيقة بين النشاط الثقافي وبين الحياة العامة.

وشهد جيل التابعين بين القراء قضاة، وأصحاب فتيا^(٩٢)، وعلماء^(٩٣)، وفقهاء^(٩٤). يقول ابن سعد: "ثم كان التابعون بعد أصحاب رسول الله من أبناء المهاجرين؛ والأنصار وغيرهم فيهم فقهاء وعلماء، وعندهم رواية الحديث والآثار والفقه والفتوى"^(٩٥). وشملت دراساتهم الحديث والنحو والتفسير والفقه^(٩٦).

وكان دور القراء والعلماء والقضاة مُهمًّا لتطوُّر الفقه، وبجنب الاعتماد على القرآن رجعوا إلى السنة؛ ويشار إلى سنة الرسول في فترة مبكرة. ثم إن المشاكل الجديدة في الأمصار أدت إلى الاجتهاد بالرأي منذ زمن الراشدين^(٩٧). وواضح أن قيام الخلافة ومعاملة البلاد المغلوبة تطلّبت الاجتهاد والرأي. وبالإضافة إلى ذلك كان هناك الاتجاه إلى اعتماد المفاهيم والقيم الإسلامية في مختلف نواحي الحياة، وإلى تطوير العرف المحلي ليلئم الإسلام.

وقد لجأ الصحابة إلى الاجتهاد بصورة فردية أو بالشورى، وصارت أقوالهم جزءاً من الآثار، كما كان للتابعين رأيهم واجتهادهم. وأدى الوضع في الحديث إلى تحديد استعماله من قِبَل البعض، بينما لجأ آخرون -مع

التشدّد في النقد- إلى الآثار. وكان الرأي يعطى بالقياس، أو وفق متطلبات المصلحة. ونشأ خَطَّان في الفقه: فقه الرأي وفقه الأثر، وذلك بضوء التوسُّع في استعمال الرأي أو تقييده. ولم يكن التقسيم يستند إلى قاعدة جغرافية (الكوفة - المدينة) بل إلى الوجهة الخاصة بالفقيه^(٩٨).

وأدى التباينُ في الظروف المحلية ومدى الأخذ بالرأي أو الاستناد إلى الحديث والآثار، إلى أن تظهر بصورة تدريجية سنن محلية أو طرق "عمل". وتطورت هذه البدايات المحلية بعد فترة، ليخلفها الإجماع بمفهومه العام، وليكون أصلاً آخر من أصول الفقه.

وقد أدت الجهود الجماعية والمتكاملة للعلماء إلى قيام مدارس فقهية في العقود الأولى من القرن الثاني للهجرة. ويسترعي الانتباه أنه لا توجد خلافات أساسية بين هذه المدارس في المبادئ أو الطريقة. وعلى العموم فإن الرجوع للرأي كان أوسع في العراق، بينما كان التأكيد على الحديث أقوى في المدينة. وتَمَيَّز بعض العلماء بدراساتهم الواسعة وبعلمهم في المدارس (المراكز العلمية)، مثل إبراهيم النخعي (٧١٥/٩٦) وحماد بن سليمان (٧٩٨/١٢٠) في الكوفة؛ والزهري (٧٤١/١٢٤) وربيعه الرأي (٧٥٣/١٣٦) في المدينة، وكان دورهم بداية التطور الذي أدى إلى ظهور أئمة المذاهب (أبو حنيفة، مالك، الشافعي، أحمد بن حنبل). وهذا التطور من الدراسات المشتركة المتكاملة (في المدارس) إلى قيام أئمة (في الفقه) -وهو اتجاه يظهر أيضاً في حقول ثقافية أخرى- يُشعر بنضج المدارس الفقهية، مما أدى إلى ظهور المذاهب بطلوع القرن الثالث للهجرة^(٩٩).

وبدأت دراسة حديث الرسول (ص) في فترة مبكرة بين الصحابة، ثم شملت الدراسة آثار وسنن الصحابة. وكانت التطورات والحاجات الجديدة سبباً لذلك، كما أدت هذه إلى الوضع في الحديث: فالمصالح السياسية والحزبية والمحلية والمذهبية وجدت مجالاً في وضع الأحاديث، وأدى الوضع بدوره إلى التدقيق في نقد الحديث؛ وهو تدقيق بدأ في المتن، وتركز تدريجياً وبمرور الزمن على الإسناد، وجاء علم الجرح والتعديل مثلاً راعياً للتدقيق والحيلة والتوثيق.

وكان الاهتمام بجمع الحديث مبكراً زمن الصحابة والتابعين في صحف وأجزاء، وتلا ذلك "تقييد" الأحاديث في الصحف والروايات في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للهجرة، ثم بدأ "التصنيف" أو جمع الأحاديث حسب الموضوعات لفائدة المشتغلين بالفقه وذلك في الربع الثاني للقرن الثاني للهجرة. وأدى حرص المحدثين على أحاديث الرسول (ص) إلى عمل مجموعات للحديث مرتبة حسب روايتها من الصحابة من أواخر القرن الثاني للهجرة، ورافق ذلك تأكيد خاص على الأسانيد. ومما يلاحظ أن كُتِب الطبقات الأولى جاءت من نفس الفترة، وأخيراً، وخلال القرن الثالث للهجرة، وُضعت المجاميع الأكثر شمولاً وتدقيقاً، وهي كتب الصحاح، ونُظمت على فصول الفقه^(١٠٠).

واستُخدمت الكتابة لحفظ الحديث جنب الرواية الشفوية؛ وقد عرف الزهري بكتابة الحديث^(١٠١). وجاءت المجموعات الأولى للحديث من الثلث

الثاني للقرن الثاني للهجرة؛ وهي نفس الفترة التي جاءت منها المؤلفات الأولى في التاريخ^(١٠٢).

بدأ التفسير مبكراً في قراءة القرآن وكان على صلة وثيقة بعلم الحديث. وكانت المحاولات الأولى في الأساس شروحات لغوية للنصوص، وإشارات إلى ظروف نزول الآيات. وقد أفيد من الشعر (الجاهلي) لتوضيح بعض الكلمات، كما استند التفسير إلى المأثور - حديث الرسول (ص) وأقوال الصحابة^(١٠٣).

وَتَطَوَّرَ التفسير بسرعة في عصر التابعين، وأَخَذَ بعضُهُم بالرأي إضافة إلى الآثار والشروح اللغوية، ورجع البعض إلى أهل الكتاب لتوضيح بعض الإشارات القرآنية، فتسربت الإسرائيليات، وأثارت شيئاً من الشك والتحفُّظ^(١٠٤). وهكذا بدت بوادر اتجاهين في التفسير: التأكيد على المأثور، والرجوع إلى الرأي.

وقد اهتمَّ بالدراسات القرآنية جماعاتٌ لهم اتجاهات دراسية مختلفة؛ إذ نرى القراء واللغويين والمحدثين يشتغلون بالتفسير. وقد أسهم بعض القراء، مثل نصر بن عاصم (٨٩هـ/٧٠٧م) ويحيى بن يعمر (١٢٩/٧٤٦) وبعض اللغويين، مثل عيسى بن عمر الثقفي (١٤٦/٧٧٦) وأبي عمرو بن العلاء (١٥٢/٧٧٠) في التفسير.

واستُعِمِلَت الكتابة في التفسير زمن التابعين، وَوُضِعَت تفاسير من أواخر القرن الأول (مجاهد ١٠٤/٧٢٢، قتادة ١١٨/٧٣٦، عطاء الخراساني ١٣٣/٧٥١).

واتسمت التفاسير من أواخر القرن الثاني بصورة عامّة بطابع الجمع، واحتوت على موادّ تاريخية وفقهية ولغوية. كما وُضِعَتْ في هذا القرن تفاسير لغوية لها أهمية خاصة، مثل مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (٨٢٥/٢١٠) ومعاني القرآن للفراء (٨٢٢/٢٠٧).

ولجأ المعتزلة إلى الرأي في التفسير (منذ القرن الثاني) مستفيدين من المواد اللغوية. ووضع المحدثون -الذين تحوي مجموعاتهم في الحديث عادة على قسم في التفسير- تفاسير منذ النصف الأول من القرن الثالث الهجري، معتمدين على الآثار بالدرجة الأولى.

وهكذا ظهر خَطّان واضحان في التفسير: التفسير بالآثار، وهذا بلغ قمته في تفسير الطبري (٩٢٣/٣١٠)، والتفسير بالرأي، الذي بلغ درجة عالية في الكشف للزمخشري (١١٤٣/٥٣٨) ^(١٠٥).

- ازدهر الشعر خلال القرن الأول الهجري، وتأثر بالأوضاع السياسية والاجتماعية الجديدة في المراكز الجديدة، كما تأثر بالمفاهيم والقيم الإسلامية. ومع أن الكثير من الشعر ينطوي على استمرار للشعر القديم في الأسلوب والأخيلة، فإن موضوعات جديدة ظهرت بالإضافة إلى النظرات والمنطلقات الجديدة (مثل الشعر الإسلامي، شعر النقائض، الشعر السياسي، شعر الغزل)؛ هذا إلى وجود الشعر الحضري جنب شعر البادية؛ كما أن تطورات جديدة حصلت في الأسلوب. وجاءت حركة التجديد الشعرية في العصر العباسي الأول بشعر أكثر رقة وأعلى ثقافة، وأكدت على موضوعات جديدة. ومع هذا بقي للشعر القديم منزلة رفيعة في عالم النظم ^(١٠٦).

خرج العرب من الجزيرة بُلُغَةً راقية وشعر رائع وتراث حضري جنوبي. وكانت للقبائل لهجاتها (لغاتهما) ولكنَّ سكانها مجتمعةً في المراكز الجديدة أدت إلى ظهور عربية مشتركة في التخاطب. يقول الجاحظ: "وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر"^(١٠٧). ولكنَّ القرآن الكريم أعطى المثال للعربية في الكتابة، وأعطاهما وحدةً واستمراراً عبر العصور.

وبدأت الدراسات اللغوية في فترة مبكرة، وهي تُشعر بالحرص على قراءة القرآن بصورةٍ صحيحة، والحماس لنقاء اللغة العربية. لقد استعملت العربية أعداداً متزايدة من الموالي، وتعرّضت للحن. واختلط العرب بالأعاجم في الأمصار، كما فُتحت بيوتهم للسبايا، مما أثّر في لغة الكثيرين^(١٠٨). ويتخذ اللحن خطورة واضحة في قراءة المصحف؛ وهي مشكلة تعرّض لها حتّى البعض من الأعراب. جاء في رسالة لعثمان تخوّفه من الابتداع "بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعمة، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن"^(١٠٩).

بدأ اللحن في أواسط القرن الأول للهجرة وانتشر في فترة التابعين، وأدى إلى ردِّ فعلٍ قويٍّ في الدوائر العربية وبين بعض الموالي المتعربين، لحماية العربية وللحفاظ على صفاتها. يُبيّن الزبيدي أن ظهور الإسلام ودخول الناس فيه وكثرة من وُجد تحت لوائه أدّى إلى أن "اجتمعت فيه الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة، ففشا الفساد في العربية. فعظُم الإشفاق من فُشو ذلك

وغلَّبته، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم إلى أن سَبَّوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه، وتثقيفها لمن زاغت عنه" (١١٠). كل ذلك أوجد دافعاً قوياً للدراسات العربية (١١١).

وترتبط بدايات النحو أولاً بقراءة القرآن: فقد أحدثت نُقْطَ لتمييز حركات الإعجام في القرآن من قِبَل أبي الأسود الدؤلي (٦٩هـ / ٦٨٨م)، ولذا يُنسَب إليه وضع النحو. ويعود إلى الفترة ذاتها وَضْعُ النقاط لتمييز الحروف المتماثلة، لضمان القراءة السليمة (١١٢).

وكان رُوَاد علم النحو: من يحيى بن يعمر (١٢٩/٧٤٧) وعبدالله بن أبي إسحق الحضرمي (١١٧/٧٣٥) إلى الكسائي (١٨٩/٨٠٥) قُرَاء (١١٣)؛ فَفَهْمُ القرآن يَعْنِي معرفة جيدة بلغته وبإعراب نصوصه. يقول الذهبي عن الكسائي: "وكان من أهل القراءة، وهي كانت علمه وصناعته" (١١٤).

ونظر البعض إلى اللغة على أنها في الأساس تواضُع واصطلاح، بينما ذهب البعض الآخر إلى أنها توقيف؛ وهما وجهتان متدرجتان، تعبّران عن نظرتين في النحو؛ فقد كان السماع من أسس الدراسات اللغوية، كما اعتُبر القياس مع التعليل قاعدةً أخرى في النحو. وكان لكلٍّ من الاتجاهين مؤيدون في البصرة (١١٥). ثم ساد القياس في البصرة (مهد النحو) والسماع في الكوفة. ويبدو أن بيئة الكوفة العربية السامية في الأساس أقرب إلى الاتجاه إلى السماع والسليقة، أما بيئة البصرة التجارية المختلطة فإنها تطلّبت قواعد أكثر تحديداً لفهم اللغة. أكدت البصرة على القياس لوضع قواعد عامة، أما الشواذُ فإنها

سُجِّلَتْ وأَهْمَلَتْ؛ وأما الكوفة فإنها رأت في أن يُسَارَ وفق السماع، وتجوَّزَتْ في وضع القواعد إلى حدِّ الاستناد إلى النوادر عند الحاجة^(١١٦). وقد ورثت بغداد المدرستين، ولكنها كانت أميل إلى الاتجاه الكوفي. وأخيراً تَفَوَّقَ الاتجاه إلى السماع على وجهة القياس، وانتصرت بذلك المحافظة. وهذا يثير السؤال عن مدى تأثير القراءات المقبولة في تَفَوُّقِ السماع^(١١٧).

وسارت الدراسات اللغوية إلى جنب دراسة النحو؛ فالحاجة إلى فهم القرآن، والحديث أحياناً، دعت إلى الرجوع للشعر وإلى عربية البادية. ذهب اللغويون إلى البادية، إلى الأعراب الفصحاء، (وجاء بعض هؤلاء الأعراب إلى المدن) للأخذ عنهم^(١١٨). وكانوا -وخاصة البصريون- حذرين في بحثهم عن العربية الصافية، ولذا تجنَّبوا في الغالب القبائل التي تأثرت بأهل الحواضر القريبة. ومع أن تأكيد الروايات على الأخذ من الأعراب البادين لا يخلو من مبالغة، فإن هذا الأخذ في عامَّته أدى إلى تسجيل ما يتَّصل أساساً بالحياة البدوية.

كان أبو عمرو بن العلاء (٧٧٠/١٥٤) شيخ الدراسات اللغوية في عصره، يُعرَف بأنه أعلم الناس بالعرب وبلغتهم، وبالشعر والأيام، وبالقرآن. وكانت "عامَّة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية". وكان أثره كبيراً في إعداد طلبة ناهيين من الجيل التالي^(١١٩). وقامت أبحاثٌ واسعة ومركزة على يد الجيل التالي في البصرة، وتَمَيَّزَ بينهم ثلاثة من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء: أبو عبيدة معمر بن المثنى (٨٢٦/٢١١) وأبو زيد الأنصاري (٨٣٠/٢١٥)

والأصمعي (٨٣١/٢١٧)، وهؤلاء أفادوا في بحوثهم من أساتذة آخرين ومن ثقات الأعراب، حتى قيل فيهم: "عنهم أخذ ما في أيدي الناس من هذا العلم، بل كله" (١٢٠). وكان أعلام المدرسة اللغوية في الكوفة الكسائي (٨٠٥/١٨٩) والفراء (٨٢٢/٢٠٧) والمفضل الضبي (٧٨٦/١٧٠) وابن الأعرابي (٨٤٤/٢٣١). وهكذا نضج هذا الاتجاه في الدراسات في أوائل القرن الثالث للهجرة (١٢١).

وكانت المجموعات الأولى للكلمات عفوية دون خطّة، ثم تلتها مجموعات تدور حول موضوع أو مادة. وأخيراً جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (٧٩١/١٧٥) بفكرة أو مُعجم (العين)، وتحقّقت فكرته على يد تلميذ له، وربما بمشاركة آخرين. وسار علماء اللغة بعده على خطته، إلى أن وضع الجوهري (١٠٠٧/٢٠٨) خطة أخرى (١٢٢).

جاءت القبائل بلهجاتها (لغاتها) إلى المراكز الجديدة (١٢٣)؛ وهذا أكسب العربية حيوية وغنى. ثم إن استعمال العربية على نطاق واسع بين غير العرب، والاختلاط في البيئات الجديدة، وتطوّر الحياة في المدن، ترك آثاره وأدّى بالتدريج وبين الطبقات الدنيا إلى ظهور عربية للتخاطب تتّصف بالبساطة، ولا تلتزم بقواعد النحو (١٢٤)؛ وبدأ ذلك بوضوح في أواخر القرن الأول. ومع ذلك فإن الحجاج كان يرى أن دور الهجرة (الكوفة، البصرة) هي "موضع الفصاحة والإعراب". وأثنى بحشل على أهل واسط لفصاحتهم، وعلّل ذلك بأن الحجاج "كان لا يدع أحداً من أهل السواد يسكن واسطاً" (١٢٥).

وفي القرن الثالث الهجري، والعربية لغة الثقافة، كانت الفصاحة ما تزال تُقرَن بعربية الأعراب الأقحاح. وبجنب هذه اللغة يشير الجاحظ إلى لغة المولدين والبلديين بتركيبها وإعرابها^(١٢٦). وعلى كلٍّ، فبالإضافة إلى لغة التخاطب اليومية، التي لا تخلو من لون محلي، صارت العربية لغة الحضارة، وفيها المرونة التي تتطلبها الحاجات الثقافية والحضرية. ومع ذلك استمرّت الجهود للحفاظ على صفاء اللغة، وعلى جعل النحو أداة فعالة تُمكن الجميع من إتقانها عن طريق التعلم^(١٢٧).

وبدأت دراسة التاريخ وكتابته في خطّين - إسلامي وقبلي: ففي المدينة اتجهت الدراسات التاريخية إلى المغازي والجماعة الإسلامية الأولى، ثم شملت تاريخ الأمة. وفي الكوفة (ثم البصرة) اتجهت الدراسات إلى نشاط الخلافة، وإلى فعاليات القبائل وشؤون الأمصار. وكان المحدثون روّاد المغازي، في حين نهض الأخباريون بالدراسات التاريخية في الكوفة، وشارك فيها لحدّ ما بعض النسايب واللغويين.

تناول الأخباريون في دراساتهم كلّ جوانب التاريخ الإسلامي في كتب يتعلق كلّ منها بموضوع أو بفترة. وبينما يلاحظ أسلوب المحدثين في التدقيق والإسناد في كتابة المغازي، فإن الأخباريين يشعرون باستمرار نواحي الاهتمام القبلية، وبأثر أسلوب قصص الأيام. وكان عروة ابن الزبير (٧١٢/٩٤) رائد مدرسة المغازي، واستقرّ هيكل السيرة على يد تلميذه الزهري (٧٤٢/١٢٤)، بينما كتّب الأخباريون في الجليل التالي له.

وهكذا نشأت الدراسات التاريخية في الإسلام، وتطورت في نطاق الثقافة العربية الإسلامية. أما الترجمات لِسِير الملوك من الفهلوية، والأخذ من الإسرائيليات، فإنها أدخَلت مادة ضعيفة إلى الدراسات التاريخية، ولكنها لم تأت بفكرة أو بمنهج.

وشهد القرن الثالث الهجري تبادل التأثير بين مدرستي التاريخ في المدينة والكوفة، في الأسلوب والأفق والمفاهيم التاريخية، يلي ذلك ظهور المؤرخين الكبار بعد منتصف هذا القرن، وهم يمثلون قمة التطور في الدراسات التاريخية في فترة التكوين^(٢٨).

وكانت الصلات بالثقافات الأخرى شفوية ومحدودة، فهناك الإسرائيليات، وبعض اللاهوت المسيحي، وبعض الأقوال القانونية التي تسرّبت عن طريق الداخلين في الإسلام، إضافة إلى قليل من الهلنية. وأثيرت أسئلة عن حرية الرأي، والصفات الإلهية، وخلق القرآن. ولا يخفى أن مسألة حرية الإرادة والاختيار - كما في كثير من القضايا الأساسية - بدأت كمشكلة سياسية في العصر الأموي، ولكن الاتصال قد يترك بعض الأثر. ويلاحظُ تسَلُّل بعض الآراء الدينية الفارسية في بيئة الكوفة عن طريق بعض المسلمين الجدد؛ وهذا يلحظ عند الغلاة. ولكن هذه الصلات كانت أولية، ولا يوجد ما يدل على اقتباس متعمّد إلا في الحاجات المادية.

وأدّى تعريب الدواوين زمن الأمويين (من أيام عبد الملك بن مروان إلى هشام ابن عبد الملك) إلى إغناء العربية، وساعدَ على أن تصبح لغة الثقافة

للمسلمين وغيرهم. وقد فتح التعريب الباب للشعوب الأخرى في المجتمع الإسلامي للمساهمة في الثقافة، وتؤكد ذلك بعد الثورة العباسية.

وكان للتراث المحلي، الإداري والمالي خاصة، أثره؛ وكان للمسلمين أن يأخذوا ما يرون ما دام لا يتعارض والمفاهيم الإسلامية، وقد أدخل المسلمون عليه ابتداءً تعديلاتٍ بضوء المبادئ الإسلامية ثم طَوَّروه وعَرَّبَوه، وأخيراً تمثّلوه في مجرى الحضارة العربية الإسلامية.

وإن وُجِدَتِ إشارات إلى بدايات أولية وفردية للترجمة زمن الأمويين، فإن العباسيين نَظَّمُوا الترجمة وشجّعوها في العلوم والطب والفلك، وأخيراً - من أواخر القرن الثاني - في الفلسفة. وهذه الترجمات لم تُدْخِلْ عنصراً غريباً غير مؤتلف في الثقافة، عدا الفلسفة التي تَضَمَّنَتْ أحياناً آراء ومفاهيم لا تنسجم والمبادئ الإسلامية. وحاول العلماء المسلمون أن يفيدوا من المنطق اليوناني، وأن يوفقوا بين الفلسفة والإسلام في الشكل والمضمون.

وهناك خَطٌّ آخر للترجمة - عن الفهلوية بالدرجة الأولى - تَبَنَّاهُ الكُتَّابُ وبعضُ رجال الأدب، وشمل مؤلفات أدبيةً وتاريخيةً ودينية. وكان لهذه الترجمات بعض الأثر في الآراء وفي بعض الحركات الدينية السياسية الخارجة، وكانت تَتَّصِلُ بالصراع الثقافي مع الشعوبية. وربما كان للاحتكاك والصراع الثقافي أثرٌ في تجديد الاهتمام بالتراث الأدبي العربي، وفي تأكيد جديد على العربية وصلتها بالإسلام، وفي تجديد التأكيد على العربية أساساً للعروبة.

وفي هذه الفترة لم تُعد الرسالة الدينية التي حملها العرب ابتداءً قاصرةً عليهم، بل شاركهم فيها المسلمون من مختلف الشعوب، وأصبحت رسالة العرب ثقافية حضارية.

الهوامش

(١) انظر:

N. Poliak - L'Arabisation de L'Orient sémitique, R. E. I. 1938, pp. 35-63

W. Marcais - Comment L'Afrique du nord a été Arabisée, Articles e Conférences (Paris 1961) pp. 171-192;

R. Blachere - Regards sur L'acculturation des Arabo - Musulmanes Aarabica, III, pp. 247-65.

(٢) الشيباني - السير، ج ١، ص ٨٨، ص ٩٤-٩٥.

(٣) الطبري - تاريخ، س ١، ص ٢٨٦. البلاذري - أنساب الاشراف، ج ٤، ق ١، ص ١١٤. قال الأحنف بن قيس أثناء الفتنة في البصرة سنة (٦٤هـ) يرد على اقتراح الغضبان القيعثري بأن تترك تميم البصرة: "أما خروجنا من المصر فإننا لا ندع مهاجرنا ومركزنا وفيء الله علينا فنتعرب بعد الفتنة". وجاء في لسان العرب: "وكان من يرجع بعد الهجرة إلى موضعه، من غير عذر، يعدونه كالمرتد"، مادة "عرب".

(٤) المبرد - الكامل (باعتناء أبي الفضل إبراهيم وشحاته، القاهرة ١٩٥٦) ج ١، ص ١٤١.

(٥) يقول ابن سعد عن الزبرقان بن بدر، الذي ثبت على الإسلام خلال الردة: "وكان يتزل أرض بني تميم ببادية البصرة، وكان يتزل البصرة كثيراً". ويقول عن الأقرع بن حابس: "وكان يتزل أرض بني تميم ببادية البصرة". الطبقات، ج ٧، ق ١، ص ٢٤.

(٦) في ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ٣٩: "سمعت أبي يقول: نهاني رسول الله، أو سمعت رسول الله (ص) ينهى عن التنازة، فمن أقام ببلاد الخراج فقد تنأ، فأنا أكره أن أقيم". وجاء في اللسان: "من تنأ في أرض العجم فعلم نيروزهم ومهرجائهم حشر معهم"، مادة "تنأ". وانظر: حلية الأولياء.

(٧) البلاذري - أنساب، (خط) ق ٢، ص ٧٥٠، ص ١٢٣٥.

(٨) انظر: رسائل الجاحظ (تحقيق عبدالسلام هارون)، ج ١، ص ١٠-١١.

(٩) الطبري، س ٢، ص ١٥٠-٦.

(١٠) البلاذري - أنساب (خط) ق ٢، ص ٧٥٠.

(١١) في طور عابدين وآمد ورأس العين وسنجار والرها.

(١٢) انظر: Dillemann - Haute Mesopotamie Orientale (Paris 1962) PP. 34-8, 88-9.

الطبري، س ١، ص ٨٢٧؛ الأغاني، ج ٢، ص ١٤٠-١.

البكري - معجم ما استعجم (باعثناء السقاء، القاهرة ١٩٥٤) ج ١، ص ٢٣.

(١٣) الطبري، س ١، ص ٢٤٨٩، ص ٢٥٠٥. البكري - معجم، ج ١، ص ٢٣-٤. ابن أعثم - فتوح، ج ١، ص ٨٨-٨٩،

Musll - Middle Euphrates (New york 1927), p. 285.

(١٤) البلاذري - فتوح، ص ٢٤٨، وانظر: ٢٤٩.

(١٥) الهمداني - صفة جزيرة العرب (باعثناء الأكوع، دار اليمامة، ص ٧٠، ص ٢٧٥، ص ٣١٩.

البكري - معجم، ج ١، ص ٢٣-٢٤. البلاذري - فتوح، ص ١٨٢. Musil, op. cit., p. 312.

(١٦) البلاذري - فتوح، ص ١٧٧.

(١٧) البكري - معجم، ج ١، ص ٦٩-٧١، E. I- (2)Bakr b. Wail

(١٨) الطبري، س ١، ص ٨٢٢-٨٢١، ص ٢٤٩. وانظر: س ١، ص ٧٢٤، ص ٧٤٧ عن قدم

العرب في العراق. البكري - معجم، ج ١، ص ٥٢-٥٣. هذا إضافة إلى جماعة من بكر بن وائل، الميرد، ج ٢، ص ٤٢٦.

(١٩) الهمداني، ص ١٤٩.

(٢٠) البكري - معجم، ج ١، ص ٨٥-٨٦. ابن أعثم الكوفي - فتوح، ج ١، ص ٨٨-٨٩.

ويذكر الهمداني أنها تمتد من الأبلّة إلى هيت، ص ١٦٩. وكان إمارة ميسين (ميسان) عند مصب دجلة يحكمها عرب وافدون من عمان وذلك قبل قيام الحيرة. كرستنس - إيران زمن الساسانيين، ص ٧٥. وانظر:

Musil, op. cit., p. 285. E. I (1) Bakr Ibn Wall

(٢١) الجاحظ - البيان والتبيين (باعثاء، عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٦٠-١)، ج ٢، ص ١٣٠. البلاذري - فتوح، ص ٤٨٨، أنساب، ج ٤، ق ١، ص ١٩٠، ص ٢٠٢. الطبري، س ٢، ص ٤٣٣.

(٢٢) الطبري، س ٢، ص ٤٣٤. البلاذري - أنساب، ج ٤، ق ٢، ص ١١٥٦.

(٢٣) الطبري، س ١، ص ٢٨٠.

(٢٤) ن، م، س ١، ص ٢٨٠. البلاذري - فتوح، ص ٣٥٠. ياقوت - معجم البلدان، ج ١، ص ٤٩٢.

(٢٥) البلاذري - فتوح، ص ٣٣٤. الأزدي - تاريخ الموصل (باعثاء علي حبيبة، القاهرة ١٩٧٦) ج ٢، ص ١٨٣، ص ٣١٣-٣١٥، ص ٣٣٢، ص ٣٥٠. ياقوت - بلدان، ج ١، ص ٤٩٢.

(٢٦) البلاذري - فتوح، ص ١٧٧.

(٢٧) ن. م. ص ١٧٨. ياقوت - بلدان، ج ٤، ص ٣٩١.

(٢٨) الهمداني، ص ٢٧٥-٢٧٦. الأزدي - تاريخ، ج ٢، ص ٣٣٢-٣٣٣، ص ٣١٤-٣١٥.

(٢٩) الطبري، س ٢، ص ١٨٧٤.

(٣٠) يشير البلاذري مثلاً إلى مسالح أو حاميات في الأبله والخريبة والعذيب وعين التمر وعلى أطراف الفرات الأوسط، فتوح، ص ٢٤٢-٣، ص ٢٤٦، ص ٢٥٤-٥، ص ٢٥٠، ص ٢٧٦-٧/ ص ٣٤١. وانظر: ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ٧٧، ص ١٢١. أبو يوسف - الخراج (بولاقي ١٣٠٢) ص ٨٣-٤. المسعودي - مروج، ج ٢، ص ٢٤٠-١.

(٣١) الصولي - أدب الكتاب، ص ٧٥. البلاذري - فتوح، ص ٢٦٥. يحيى بن آدم. الخراج، ص ٤. أبو يوسف - الخراج، ص ٨٥.

(٣٢) المسعودي - التنبيه والإشراف، ص ٣٨. أبو يوسف - الخراج، ص ٢٣.

(٣٣) تاج العروس، ج ٢، ص ٢٧٠-١ (نبط)، ويسمون أيضاً الكلدانية. ياقوت - بلدان، ج ١، ص ٢٤٧-٨، ج ٣، ص ١٧٥. المسعودي - مروج، ج ٣، ص ٩٥ وما بعدها.

- (٣٤) انظر: يحيى بن آدم - الخراج، ص ٥٧-٩.
- (٣٥) ن. م. ص ٢٢-٢٣. ابن وحشية - الفلاحة النبطية (خط - مكتبة أحمد الثالث، رقم ١٩٨٩/١)، ص ١-٢.
- (٣٦) المسعودي - التنبيه، ص ٣٩.
- (٣٧) يحيى بن آدم - الخراج، ص ٢٢، ص ٤٨. بحشل - تاريخ واسط (باعثناء: كوركيس عواد، بغداد، ١٩٦٧)، ص ٣٩-٤٠. الطبري، س ١، ص ٢٠٢٦، ص ٢٠٢٨-٩، ص ٢٠٣١، ص ٢٠٣٦.
- (٣٨) العسكري - الأوائل، ص ١٣٦. البلاذري - فتوح، ص ٢٢٦ وبعدها. وانظر: أبو عبيد - الأموال، ص ١١٣ وما بعدها. الطبري، س ١، ص ٢٣٧٠.
- (٣٩) يحيى بن آدم، ص ٤٥، ص ٥١. البلاذري - فتوح، ص ٢٤٢-٣. أبو عبيد، ص ٨٢-٨٣. قدامة بن جعفر - كتاب الخراج (باعثناء: دي خوية)، ص ١٤٥.
- (٤٠) ذكر وكيع أن داود الطائي تكلم أمام الحجاج فقال له الحجاج: "الكلام كلام عربي، والوجه وجه نبطي"، مما يشعر بأن تمييز من يسلم من النبط لم يكن مألوفاً. أخبار القضاة، ج ٢، ص ١٧٩.
- (٤١) انظر: المبرد - الكامل، ج ٢، ص ٤٣٩-٤٤٠.
- (٤٢) انظر: تاج العروس، ج ٢، ص ٢٣١، والبلاذري - فتوح، ص ٢٧٩. ومدح سعد بن أبي وقاص بأنه "نبطي في جبايته".
- (٤٣) كان عميرة كاتب أشرس بن عبدالله أمير خراسان سنة ١١٠هـ نبطياً. انظر: البلاذري - أنساب (خط) ق ٢، ص ٢٥٢.
- (٤٤) انظر: رسائل الجاحظ (تحقيق عبدالسلام هارون) ج ١، ص ٦٦.
- (٤٥) اعتبرت أراضي الحيرة وبانقيا وأليس أرض صلح، وكان أهل هذه القرى يدفعون جزية مشتركة فقط. انظر: البلاذري - فتوح، ص ٢٤٣-٤. أبو عبيد - الأموال، ص ٣٩-٤٢، ص ١١٦-١١٨. يحيى بن آدم، ص ٥. واتبع نفس الإجراء مع عين التمر، البلاذري - فتوح، ص ٢٤٨.
- (٤٦) كانت تغلب تدفع ضعف الصدقة، أبو عبيد، ص ٣٩-٤٢.

(٤٧) المبرد - الكامل، ج ٣، ص ١٠٦٣-٣. ويشير البلاذري إلى نساخ من بني سليم في الكوفة قال: "وإن ما شهدت عسكرياً قط ولا أثبت لي اسم قط في ديوان، وإنما أنا نساخ" "أنساب (خط)" ق ٢، ص ٣.

(٤٨) البلاذري - أنساب (خط) ق ٢، ص ١٦. وانظر: يحيى بن آدم - الخراج، ص ٢٠.
(٤٩) البلاذري - أنساب (خط) ق ٢، ص ٣، ص ٨٢٢. الطبري، س ٢، ص ١٦٨٣-٤.
ديدينسيوس التلمحري (الترجمة الفرنسية)، ص ٩٣.
(٥٠) يقول ابن سعد عن العباس بن مرداس بن أبي عامر: "وكان يتزل بوادي البصرة، وكان يأتي البصرة، وروى عنه البصريون، وبقية ولده ببادية البصرة، وقد نزل منهم قوم البصرة" ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ٢١.

Blachere - Histoire de la Literature, t. 3, pp. 278-7. (٥١)

(٥٢) أبو عبيد - الأموال، ص ٢٧٦. أبو يوسف، ص ١٥. ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ١١٧-٨.
الطبري، س ١، ص ٢٣٧٦. البلاذري - فتوح، ص ٢٩٨-٢٩٩، ص ٣٨٢، ص ٤١٩، ص ٤٨٠.

(٥٣) البلاذري - فتوح، ص ٢٤٣-٤. أبو عبيد - الأموال ١١٦. يحيى بن آدم، ص ٥١. وأكد عمر بن عبدالعزيز على أن أهل الحيرة من يهود ونصارى ومجوس لا يدفعون إلا الصدقة بعد إسلامهم، "فمن أسلم ... فعليه في مال الصدقة". الصولي - أدب الكتاب، ص ٧٥.

(٥٤) انظر: المبرد - الكامل، ج ١، ص ٤٣٩-٤٠.

(٥٥) الطبري، س ٢، ص ١٦٤٨.

(٥٦) ن. م. س ٢، ص ٩٧٧.

(٥٧) ن. م. س ٢، ص ١٠١٨ قرية الأعراب.

(٥٨) الأزدي - تاريخ الموصل، ج ٢، ص ١٣٩، ص ٢٨٧.

(٥٩) ديونيسيوس التلمحري - تاريخ، ص ٤٧، ص ٨٩، ص ١١٤، ص ١٢٩.

(٦٠) ن. م. ص ٤٧.

(٦١) ن. م. ص ٩٤.

(٦٢) انظر: الجاحظ - بيان، ج ٢، ص ٧١، يقول الجاحظ: "وزعم أبو العاص أنه لم يرق قروياً قط لا يلحن في حديثه، وفيما يجري بينه وبين الناس" بيان، ج ٣، ص ١٠٩.
(٦٣) يقول الجاحظ: "وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ويكون لفظة متخيراً فاخراً، ومعناه شريفاً كريماً، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه في مخارج حروفه أنه نبطي" رسائل الجاحظ (هارون) ج ١، ص ٦٦.

(٦٤) انظر: Ryckmans - Arabie Meridionale. p. 67, pp. 71-2

(٦٥) أبو عبيدة - النقائص (تحقيق بيفان) ص ٤٢٤. تاج العروس، مادة (ولاء). وانظر: البلاذري - أنساب، ج ١، ص ١٥٧، ص ١٨٩، ١٩٢.
(٦٦) انظر: ابن هشام - السيرة، ج ٢، ص ١٤٩.
(٦٧) البلاذري - أنساب، ج ١، ص ١٩٢-٣ عن عطاء خنعم والأحبيش.
(٦٨) الطبري، س ١، ص ٢٥٣٨، ص ٢٥٦٣. البلاذري - فتوح، ص ٢٨٠. الأنساب، ج ٤، ت ٢، ص ١٠٧، ص ١١٢. الأنساب (خط) ق ١، ص ٨٨٣-٤.
(٦٩) الطبري، س ١، ص ٢٥٣٨. انظر: السرخسي - المبسوط (القاهرة ١٩٣٢)، ج ٨، ص ٨١٥.

(٧٠) الطبري، س ١، ص ٢٠٢٨-٩، ص ٢٠٣١، ص ٢١٢٢، ص ٢١٦٧، ص ٢١٧٠.
(٧١) انظر: الطبري، س ٢، ص ٧٤٨، ص ٧٥٠.
(٧٢) اليعقوبي، ج ٢ (ط. هوتسما) ص ١٠٥٨. صالح العلي - التنظيمات الاجتماعية في البصرة، ص ٦٥.

(٧٣) البلاذري - الأنساب، ج ٤، ق ٢، ص ١٨٠، ص ١٨٥. ابن سعد، ج ٣، ق ١، ص ٢٦٠.
يقول الشيرازي عن عبدالله بن أبي إسحق أنه "مولى آل الحضرمي وهم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف، والخليف عند العرب مولى". طبقات الفقهاء، ص ٣٧.
(٧٤) الطبري، س ٢، ص ٨٣٤-٥. كون البعض مثل عباد بن زياد، والمختار وسليمان بن هشام بن عبد الملك، كتائب من الموالي. انظر الطبري س ٢، ص ٥٢٣-٤. البلاذري - أنساب، ج

٥، ص ١٣٦، فتوح، ص ٣٣٦. أنساب (خط) ق ٢، ص ٤٣، ص ٣٦، ابن سعد، ج ٥، ص ٢٨٥.

(٧٥) انظر: البلاذري - أنساب (خط) ق ١، ص ٥٩٩.

(٧٦) حينما وعد أشرس أمير خراسان (١١٠هـ) إعفاء من يسلم من الجزية وأقبل الناس على دخول الإسلام "فجاء دهاقين بخارى إلى أشرس فقالوا: ممن نأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً!" الطبري س ٢، ص ١٥٠-٦.

(٧٧) البلاذري - أنساب (خط) ق ٢، ص ٧٥٠.

ولما تمنى العريان صاحب شرطة خالد القسري عليه منع الموالي من استعمال العربية، أجاب مولى بلهجة ساخرة "أما الكلام فلن يتكلم إلا بالزنجية!" البلاذري - أنساب (خط) ق ٢، ص ٢٨٤.

(٧٨) الخصائص لابن جني، ج ١، ص ٢٣٩-٢٤٠، أبو الطيب - مراتب، ص ٥ (المتعربين). انظر:

الأغاني (دار الكتب) ج ١٤، ص ٢٨٨.

(٧٩) لسان العرب، مادة "عرب".

(٨٠) البلاذري - أنساب (خط) ق ٢، ص ١٢٥٨، ص ١٧٧.

ومع أن الولاء لا يساوي النسب تماماً، فإنه قد يؤدي إلى الاندماج في الجماعة العربية "الإسلامية". انظر: الخلاف حول نسب إبراهيم النخعي في المبرد، ج ٣، ص ١١٨٤. وجاء في ابن سعد على لسان سعيد بن جبير: "وقال لي ابن عباس: ممن أنت؟ قلت من بني أسد، قال: أمن عربهم أو مواليهم؟ قلت: لا، بل من مواليهم، قال: فقل أنا ممن أنعم الله عليه من بني أسد". الطبقات، ج ٦، ص ١٩٨.

(٨١) جاء في البلاذري، أن هشام بن عبد الملك سأل رجلاً من بني مخزوم (أخواله): "يا خال: أقرأ كتاب الله؟ قال: أقرأ منه ما أقيم به صلاتي، قال: أفتروي من الآثار شيئاً؟ قال: لا، قال: أفتعرف من أحاديث العرب وأشعارهم وأيامها ما يعرفه مثلك؟ قال: لا، قال: أفتنسب قريشاً وسائر بني نزار؟ قال: لا أحسن من النسب شيئاً. قال: يا غلام ... فليس من خالنا حشمة". أنساب (خط) ق ٢، ص ٢٤٠، وانظر: الجاحظ - البيان، ج ٢، ص ١٨٠.

- (٨٢) إن استعراض أسماء من ترجم لهم (من فترة صدر الإسلام) في مؤلفات مثل طبقات ابن سعد، وأخبار القضاة لو كيع، وطبقات الفقهاء للشيرازي، وتذكرة الحفاظ للذهبي، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري، يبين أن الموالي كانوا أقلية - حوالي ٢٥-٣٠%.
- (٨٣) يروي الأعمش عن هلال بن يسار: "قال: قدمت البصرة فدخلت المسجد فإذا أنا بشيخ أبيض الرأس واللحية، مستند إلى إسطوانة في حلقة يحدّثهم، فسألت من هذا؟ فقالوا: عمر بن الحصين" (ت سنة ٥٣هـ) ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ٥.
- (٨٤) انظر: ابن سعد، ج ٦، ص ٥١-٥٢، ص ٥٤، ص ٥٥، ص ١٧٣، ص ١٩٢، ص ٢١٩، ص ٢٣٦. الطبري س ٢، ص ١٩٦٦.
- (٨٥) في الذهبي - معرفة القراء الكبار (القاهرة ١٩٧٦) ج ١، ص ٤٦ "فكنا نتعلم القرآن والعمل به". وانظر: ص ٤٨، ص ٧٣-٧٤. وانظر الشيرازي - طبقات الفقهاء (باعتناء إحسان عباس، بيروت ١٩٧٠) ص ٤٣، ص ٤٤، ص ٤٦، ص ٥١.
- (٨٦) البلاذري - أنساب (خط) ق ٢، ص ٧٥٥، ص ٧٦١. وانظر: ابن سعد، ج ٤، ق ٢، ص ٢٧. الذهبي - القراء الكبار، ص ٣٤، ص ٤٤، ص ٤٦، ص ٥١.
- (٨٧) البلاذري - أنساب، ج ٥، ص ٢٦.
- (٨٨) الشيرازي - طبقات الفقهاء، ص ٨١، وانظر: البلاذري - أنساب (خط) ق ٢، ص ٧٥٥، ج ٥، ص ٢٦. ابن سعد، ج ٦، ص ٤، ص ٥، ص ٧، ص ٨، ص ٦٣، ج ٧، ق ١، ص ١٦٣. السجستاني - المصاحف (تحقيق جفري)، ص ١٣-١٥. الأصبهاني - حلية، ج ١١، ص ٩٤. الذهبي - القراء الكبار، ج ١، ص ٣٤، ص ٣٨-٩.
- (٨٩) وقد رشحهم أبو موسى لشرف العطاء، ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ٨٩، واقترح سعد بن أبي وقاص جعلهم في ألفين، البلاذري - فتوح، ص ٥٦. جاء رسول مصعب بن الزبير إلى عمرو بن النعمان بن مقرن (في البصرة) بمال فقال له: الأمير يقرئك السلام ويقول: إننا لم ندع بالكوفة قارئاً إلا وقد ناله معروفنا، فاستعن على نفقة شهر رمضان بهذا. فقال: وعلى الأمير السلام، قل له إنا والله ما قرأنا القرآن لنطلب به الدنيا، وردّه عليه". البلاذري - أنساب، ج ٥، ص ٢٨٦.

(٩٠) انظر مثلاً: الطبري، س ١، ص ٣٢٧٣، س ٢، ص ١٠٠٦، ص ١٠٧٢، ص ١٠٧٦-٧. ابن سعد، ج ٦، ص ٤٦، ص ١٢٧، ص ٢٠٤، ص ٢١٦، ص ٥٣، ج ٧، ق ١، ص ٦٥. البلاذري - أنساب (خط)، ق ٢، ص ٣٠-٣١، ص ٥٤. المبرد - الكامل، ج ٣، ص ١١٢٧، الذهبي - القراء الكبار، ج ١، ص ٦٢-٦٣، ص ٧٩.

(٩١) الطبري، س ١، ص ٢٠٩٢، البلاذري - أنساب (خط)، ق ٢، س ٥٣. ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ١١٤، ص ١٤٠، ج ٧، ق ٢، ص ٢١، ص ١٧١. وانظر: الذهبي - القراء الكبار، ص ٦٨.

(٩٢) ابن سعد، ج ٦، ص ٢٢٣-٢٢٤. الذهبي - القراء الكبار، ج ١، ص ٤٤-٥٠.
(٩٣) ابن سعد، ج ٦، ص ٤، ص ٧٤، ج ٧، ق ١، ص ١١٤، الأصبهاني - حلية، ج ٢، ص ٩٨-٩٩. الذهبي - القراء الكبار، ج ١، ص ٥٦، ص ٦٢-٣، ص ٧٥، ص ٧٩.
(٩٤) ابن سعد، ج ٦، ص ٥، ص ٦٣. الذهبي - تذكرة الحفاظ (دار المعارف العثمانية ١٣٣٣-٣٤) ج ٨، ص ١٠٦. وانظر: الشيرازي - طبقات الفقهاء، ص ٨٠، ص ٨١، ص ٨٢-٨٣، ص ٧٩. الذهبي - القراء الكبار، ص ٥٤.

(٩٥) ابن سعد، ج ٢، ق ٢، ص ١٢٨، ١٢٩.
(٩٦) انظر: الذهبي - القراء الكبار، ج ١، ص ٥٣، ص ٥٤، ص ٥٦، ص ٦٢-٦٣، ص ٩٣.
(٩٧) انظر: الطبري، س ١، ص ٢٢١٢.

Bravamann - Spiritual Background of Early Islam, pp.169
off, pp. 176off.

(٩٨) أبو زهرة - المذاهب الفقهية، ص ٢٧ وما بعدها، ص ٢٩ وما بعدها. وانظر:
Schacht - Origins of Muhammadan Jurisprudence (Oxford
1959), pp. 25 off., pp. 82 off.

Law Schacht- to law, pp. 16 off . P. 233, P. 237. P. 247 (٩٩)
Introduction

(١٠٠) انظر: فؤاد سزكين - تاريخ التراث العربي، ج ١، ص ٢٢٦، وما بعدها، ص ٢٥٤، ص ٢٦٠، ص ٢٧١ وما بعدها.

(١٠١) انظر: ابن حجر - تهذيب، ج ١٢، ص ٩٩، طلب عمر بن عبدالعزيز من أبي بكر بن حزم كتابة "ما كان من حديث رسول الله أو سنة ماضية أو حديث عمرة". اليافعي - مرآة الجنان، ج ١، ص ٢٦١. الدوري - علم التاريخ عند العرب، ص ١٠٠-١٠١. الرامهرمزي - المحدث الفاضل (بعناية محمد عجاج الخطيب) ص ٤٢٣، ص ٤٣٠.

(١٠٢) سزكين، ج ١، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(١٠٣) انظر: ابن سعد، ج ٢، ق ٢، ص ١٢٤. الطبري - تفسير، ج ٧، ص ١٢٩، ابن حجر - الإصابة (القاهرة ١٩٣٩)، ج ٢، ص ١٤٠. ألف ابن عباس كتاب لغات القرآن (نشر بإعتناء المنجد، القاهرة ١٩٦٤).

(١٠٤) انظر: الجاحظ - الحيوان، ج ١، ص ٣٤٣. وعرف مجاهد (ت ١٠٤ / ٧٢٢) باستعمال الرأي. سزكين، ج ١، ص ١٧٦، وما بعدها. جولد تسيهر - المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، ص ٧٥ وما بعدها، ص ٦٨-٨٨.

(١٠٥) سزكين، ج ١، ص ١٩٧ وما بعدها، بروكلمان - تاريخ الأدب العربي، ج ٤، ص ١٧٣ وما بعدها.

(١٠٦) انظر: بلاشير - تاريخ الأدب العربي. شوقي ضيف - التطور والتجديد في الشعر الأموي (ط ٥، ١٩٧٣).

(١٠٧) الجاحظ - البيان، ج ١، ص ١٩. انظر: السيوطي - المزهر، ج ٢، ص ٣٧٦. الزبيدي - طبقات النحويين (باعتناء أبي الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٤)، ص ١٤. الأنساب، ج ٤، ق ١، ص ١٨١. أبو الطيب - مراتب، ص ٥.

(١٠٨) يقول أبو الطيب: "إن أول ما اختل من كلام العرب فأحوج إلى التعليم الإعراب، لأن اللحن ظهر في كلام المولدين والمتعربين بعد عهد النبي". مراتب النحويين (أبو الفضل

إبراهيم، القاهرة ١٩٥٧)، ص ٥. وانظر: السيوطي - المزهري، ج ٢، ص ٣٧٦. والزبيدي - طبقات النحويين (باعثناء أبي الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٤)، ص ١٤. ويروي السيرافي أن أبا الأسود قال لزياد: "إني رأيت العرب قد خالطت الأعاجم وتغيرت ألسنتهم.." انظر: أخبار النحويين البصريين (باعثناء كرنكو) ص ١٧-١٨. وانظر: البلاذري - أنساب، ج ٤، ق ١، ص ١٨٩ عن اللحن أيام زياد. وبشير بحشل، تاريخ واسط، ص ٤٦ إلى الاختلاط في الكوفة والبصرة. ويتحدث المبرد عن عدد من العرب البارزين ممن عرفوا بلكنتهم الأعجمية (مثل عبيد الله بن زياد، وزياد الأعجم) الكامل، ج ٢، ص ٥٨٥-٦. وانظر: الزبيدي - طبقات، ص ١٤. وكان زياد يقول: إذا لم يجد أحدكم سعة لتزوج من يرغب فيه لموضة فليتزوج سبية". البلاذري - أنساب، ج ٤، ق ١، ص ١٨١.

(١٠٩) الطبري، س ١، ص ٢٨٠٣-٤.

(١١٠) الزبيدي - طبقات النحويين، ص ١-٢.

(١١١) انظر: فوك - العربية، ص ٢٩-٣٠.

(١١٢) انظر: عبد العال سالم مكرم - القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص ٤٨ وما بعدها. ابن النديم - الفهرست، ص ٥.

Haywood - Arab Lexicography, p.25 off.

الزبيدي - طبقات، ص ١٣-١٤، السيوطي - المزهري، ج ٢، ص ٣٩٨. الداني: نطق المصاحف (دمشق ١٩٦٠) من ١٣٢-٣. وينسب البعض نطق الإعجام إلى نصر بن عاصم (٧٠٧/٨٩)، انظر: المصاحف للسجستاني، ص ١٦٨. الذهبي - معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٤٩، ص ٥٨. وجاء في الذهبي: "قال خلف بن هشام: كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس وينقون مصاحفهم بقراءته عليهم". معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ١٠١، وانظر ص ١٠٢. أبو الطيب - مراتب، ص ٨.

(١١٣) السيرافي - أخبار، ص ٢١ وما بعدها. السيوطي - المزهري، ج ٢، ص ٤٠٠. الذهبي - القراء الكبار، ج ١، ص ٧٣-٥، ص ٨٤، ص ١٠١، ص ١٠٦، شوقي ضيف - المدارس النحوية، ص ١٨.

- (١١٤) معرفة القراء الكبار، ص ١٠١. وانظر: الزبيدي - طبقات، ص ٢. أبو الطيب - مراتب، ص ٢٤، ص ٢٥، ص ٢٦، ص ١٢٧، ص ١٦٥. السيوطي - المزهري، ج ٢، ص ٣٠٢.
- (١١٥) وهكذا وقف أبو عمرو بن العلاء وتلميذه يونس بن حبيب إلى جانب السماع. وانظر: السيرافي - أخبار، ص ٢٥، ص ٣٣-٤٠. شوقي ضيف، ص ١٥٧-١٦١.
- (١١٦) تتمثل نظرة الكوفة في القول: "كل ما كان لقبيلة قيس عليه"، السيوطي - المزهري، ج ١، ص ٧٥٨. انظر: أحمد أمين - ضحى الإسلام (ط٧، القاهرة ١٩٣٥)، ج ٢، ص ٢٨٣ وما بعدها. شوقي ضيف، ص ١٥٧-١٦١.
- (١١٧) قال عاصم بن أبي النجود الأسدي (القارئ): "من لم يحسن من العربية إلا وجهاً واحداً لم يحسن شيئاً". الذهبي - معرفة القراء الكبار، ص ٧٥. انظر: شوقي ضيف - المدارس النحوية، ص ١٩، ص ١٥٧-١٥٨.
- (١١٨) انظر البلاذري - أنساب (خط) ق ٢، ص ٨٣٦-٣٧، عن المفضل الضبي.
- (١١٩) الجاحظ - بيان، ج ١، ص ٣١١، والمرزباني - مختصر، ص ٣٦-٣٧، ص ٢٥. بلاشير - تاريخ الأدب العربي، ج ١، ص ١٢٣، وانظر: نهاد الموسى - أبو عبيدة معمر بن المثنى (رسالة دكتوراه خطية)، ص ٨٢ وما بعدها.
- (١٢٠) أبو الطيب - مراتب، ص ٣٩-٤٠. الذهبي - القراء الكبار، ج ١، ص ٨٣ وما بعدها. السيوطي - المزهري، ج ٢، ص ٤٠١. يقول السيرافي عن يونس بن حبيب: "وقد سمع من العرب كما سمع من قبله... وكانت حلقتة بالبصرة ينتابها أهل العلم وطلاب الأدب وفصحاء الأعراب والبادية". أخبار النحويين البصريين، ص ٢٣-٢٤.
- (١٢١) انظر: المخزومي - مدرسة الكوفة، ص ٧٩ وما بعدها. شوقي ضيف المدارس النحوية، ص ١٥٥ وما بعدها. بروكلمان - تاريخ الأدب، ج ٢، ص ١٢٨، ص ١٧٩ وما بعدها.
- (١٢٢) أبو الطيب - مراتب، ص ٣٠-١.

Haywood, op. cit. p. 24 off., p. 68 off.

- (١٢٣) ذكر المبرد: "قال معاوية يوماً: من أفصح الناس؟ فقام رجل فقال: قوم تباعدوا عن فرائية العراق وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كشكشة بكر، ليس فيهم غمعة قضاة ولا طمطمانية حمير"، الكامل، ج ٢، ص ٥٨١.

(١٢٤) الجاحظ - البيان، ج٢، ص٢٠٦، وانظر: ج١، ص٣٦٨.

(١٢٥) بحشل - تاريخ واسط، ص٢٦.

(١٢٦) يقول الجاحظ: "ولم أجد في خطب السلف الطيب والأعراب الأقحاح ألفاظاً مسخوطة ولا معاني مدخولة ولا قولاً مستكرهاً، وأكثر ما تجد ذلك في خطب المولدين وفي خطب البلديين المتكلفين، ومن أهل الصنعة المتأدين".

(١٢٧) انظر: Fuck - Arabiya (Paris 1955), P. 9 off.

(١٢٨) انظر: الدوري - بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب. روز نتال - علم التاريخ عند المسلمين. جب - دراسات في حضارة الإسلام، مقال: التاريخ.